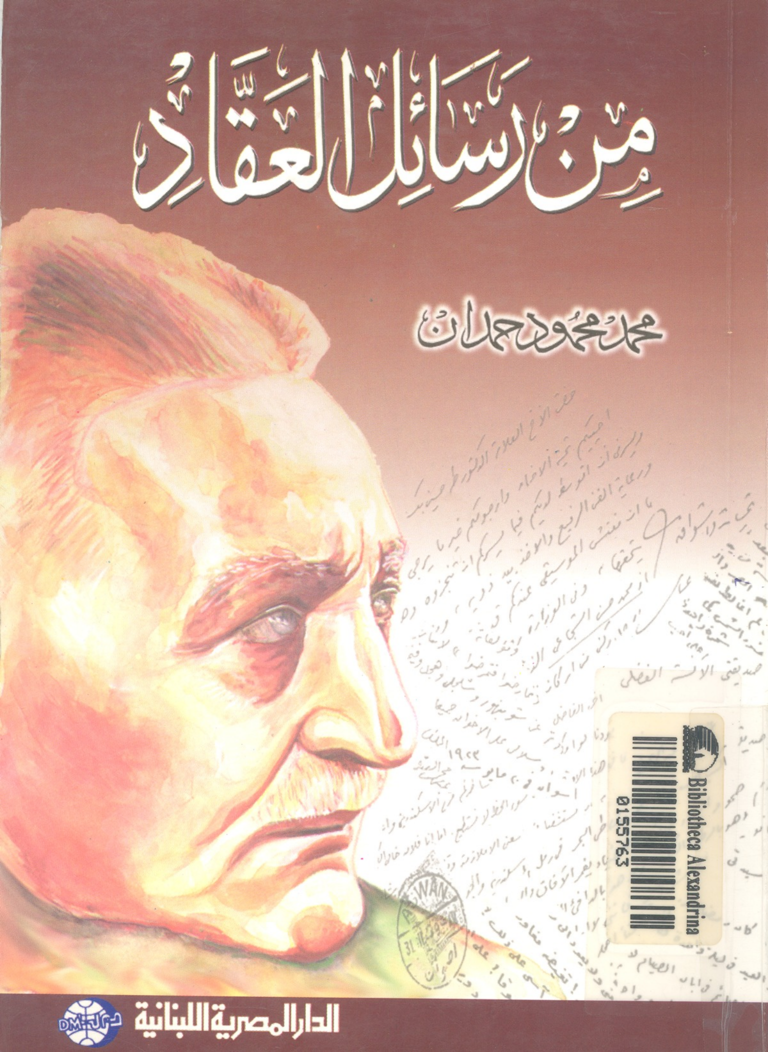

من رسائل العقاد
محمد محمود حمدان
الدار المصرية اللبنانية
Bibliotheca Alexandrina
0155763

مِن
رَسَائِلِ العَقَّادِ

محمد محمود حمدان



الناشر
الدار المصرية اللبنانية

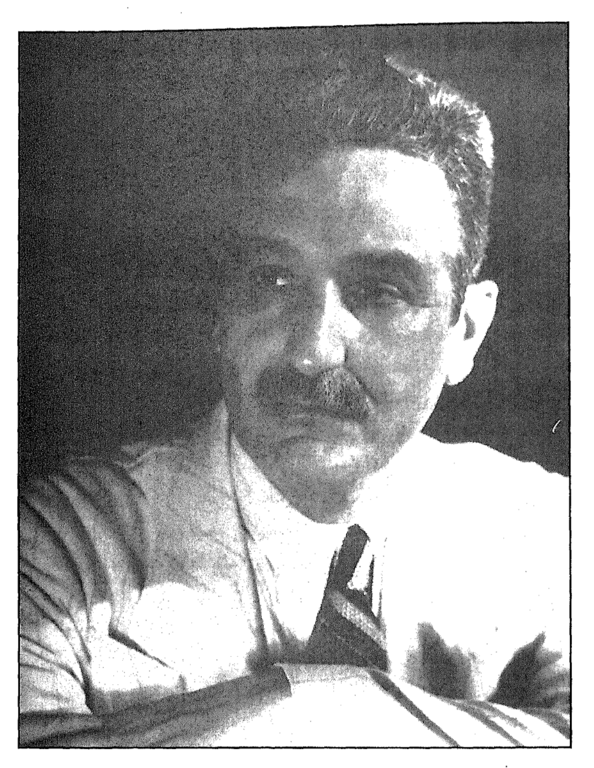
الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٩٠١٨ /١٩٩٧
الترقيم الدولى: 0 - 375 - 270 - 977
جمع : **الخانجى**
طبع : **المدنى**
العنوان: ٦٨ ش العباسية
تليفون: ٤٨٢٧٨٥١

الطبعة الأولى: جماد أول ١٤١٨ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٧م
تصميم الغلاف الفنان: **وائل حمدان**

الإهداء

إلى الذاهب الباقي

عباس محمود العقاد



عباس محمود العقاد

١٨٨٩ - ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

- ١ -

فى أدب الرسائل

يقول الأستاذ العقاد ؛ فى مقالٍ له عن كتاب « رسائل العالم الكبرى » للكاتب الأمريكى لنكولن شستر Schuster والذى نقله إلى العربية المترجم القدير الأستاذ محمد بدران بعنوان « أشهر الرسائل العالمية » ؛ أن كلمة الرسالة فى اللغة العربية «من الألفاظ التى يُستشهد بها على تطور الكلمات فى معانيها ودلالاتها على حسب أحوال الزمن ومناسباته .

فالرسالة مكتوبٌ يُرسل من إنسان إلى إنسان .

والرسالة دعوة دينية يؤديها رسولٌ من الله .

والرسالة مَهَمَّةٌ من مهّام الإصلاح والإرشاد .

والرسالة فى المصطلح الحديث كتاب صغير فى بحثٍ وجيز .

والرسالة اسم «هذه المجلة » التى تجمع بين هذه الدلالات ماعدا الرسالة السماوية التى يختص بها الرسل من الأنبياء » [١] .

و« هذه المجلة » التى يعنيها الأستاذ العقاد بهذا التخصيص الأخير هى مجلة « الرسالة » لصاحبها الأديب الكبير صاحب الأسلوب البليغ الأستاذ أحمد حسن الزيات (١٨٨٣ - ١٩٦٨) ، وفيها نشر مقال العقاد الذى أشرنا إليه ، ولعله أراد بهذا التخصيص تحية المجلة التى كانت على عهدها المجلة الأدبية الأولى فى مصر والعالم العربى . ولو شاء العقاد لقال كما قال الشريف الجرجانى فى كتاب

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد الصادر فى ٢٠ يناير ١٩٤٧

وانظر كتاب آراء فى الآداب والفنون ، صفحة (٢٥٤) .

« التعريفات » ، ونقله عنه المرتضى الزبيدى فى « تاج العروس » : أن « الرِّسالة – بالكَسْرِ – هى المجلة المشتملة على قليل من المسائل التى تكون من نوع واحد ، والجمع رسائل » . فالكلمة فى تعريفها اللغوى تعنى على التعميم ماعناه العقاد على التخصيص .

وقد حفلت الآداب العالمية على مدار عصور التاريخ بأنماط شتى من أدب الرسائل التى تندرج تحت نوعٍ من هذه الأنواع باستثناء الرسالة السماوية التى يختص بها الرسل من الأنبياء عليهم السلام . ويمكن أن يقال على الإجمال أن أدب الرسائل بأنواعه المتعددة يشغل جانبًا كبيراً من جوانب التراث الإنسانى من قديم الزمان إلى عصرنا الحاضر ، وهو كذلك يمثل عنصراً رئيساً من عناصر كتابة التاريخ فى جوانبه المجهولة وأسراره الخفية التى لا يحيط بها التاريخ المدَوّن المكتوب ، ذلك أن من بين أصحاب هذه الرسائل – كما يقول الأستاذ العقاد – « رجالاً من أعظم أعلام التاريخ فى العلم والفن والحرب والسياسة يُفْرِغون قلوبهم فى ودائع أدبية لم يقدّروا لها – أو لأكثرها – أن تصل إلى أيدى القراء ويُسِرُّون فيها أحيانًا بغير ما يعلنون من الوساوس والآراء » (١) .

ولا يتسع المجال فى هذه المقدمة للإلمام بشتى أنماط الرسائل المشهورة فى التراث الإنسانى وفى الآداب العالمية ، فهذا ما يستغرق كتابًا بمفرده . إلاّ أن الكاتب لا يملك ، ولا تطاوعه نفسه ، أن يدع الإشارة إلى بعض تلك الرسائل التى صارت مع الزمن جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإنسانية وتراثها الأدبى الباقى . وأول مايرد على الخاطر من ذلك ما حفظه لنا التراث الإسلامى من رسائل النبى محمد صلى الله عليه وسلم التى بعث بها إلى ملوك النواحى يدعوهم إلى الله تعالى ؛ تلك الرسائل التى تتفرّد بموضعها وموضوعها من أدب الدعوة أو أدب الهداية والإرشاد ، والتى ترقى إلى الذروة العليا من عبقرية البلاغة وعبقرية التبليغ ، ويصحّ على هذا الأساس أن تعدّ نمطاً نسيجَ وَحْدِه فى أدب الرسائل فى القديم والحديث . وقد أوردت أمّهات كتب السيرة نصوص هذه الرسائل ، أو الكتب كما أسمتها بعض الروايات ، وكذلك عثر على بعض هذه النصوص فى أصولها الخطّية محفوظةً

---

(١) السابق .

مقروءةً لم يمسسها سوء ، ومنها على سبيل المثال رسالته عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، ورسالته إلى هرقل قيصر الروم ، وهما معروفتان منشورتان .

والذى يطّلع على كتاب العهد الجديد ، وهو الكتاب المقدس لدى أتباع السيد المسيح عليه السلام ، يجد فى ختام أسفاره نصوصاً كاملة للرسائل التى بعث بها بولس الرسول إلى أهل « رومية وكورنثوس وغلاطية وأفسس » وغيرها من البلاد ، وكذلك الرسائل التى بعث بها كل من الرسولين بطرس ويوحنا إلى بعض الجهات الأخرى من المعمورة . وقد ألحقت هذه الرسائل وغيرها بكتاب العهد الجديد بعقب الأناجيل الأربعة وعُدَّت فى جملة أسفاره المدوّنة منذ بداية تدوين الأناجيل .

* * *

وقد عنى الباحثون باستقصاء مايشتمل عليه تراث الإنسانية من أنواع الرسائل المدونة المحفوظة فى بطون الكتب وفى مظانّها من كتابات أصحابها وأوراقهم الخاصة إنْ وُجدت ، كما عنى البعض بجمع طائفةٍ من الرسائل المحفوظة سواء كانت لكاتبٍ واحد أو لكتّابٍ متعددين ، وسواء جمعها غرض واحد أو تفرقت بين مختلف الأغراض .

وتشغل الرسائل الأدبية الشطر الأكبر من جملة أدب الرسائل ، وأكثر مانجد ذلك فى الآداب الأجنبية على الخصوص ، فما من عصرٍ من عصورها ، قديماً وحديثاً ، خلا من أشتات شتى من تلك الرسائل الأدبية على اختلاف أساليبها وأغراضها . وقد يكفى فى هذا المقام أن نستحضر فى أذهاننا ذلك الرعيل من أعلام كتّاب الرسائل المقروئين فى كل اللغات ، ومنهم على سبيل المثال وعلى غير اختيارٍ أو ترتيب : فرانسيس باكون ، وصمويل جونسون ، وجيمس بوزويل ، وساوْثى ، ولورد ستافورد ، ولوردشستر فيلد [١] ، وهوراس والبول ، والليدى مونتاجو ، ولورد بيرون ، وكولريدج ، وكارلايل ، وامرسون ، وهربرت سبنسر ، وڤولتير ،

---

(١) يقول عنه الأستاذ العقاد : « صاحب الرسائل البديعة التى خطّ بها لولده دستور الكياسة والظرف ، فجاءت طرفة من طرف البلاغة وآية فى جمال اللفظ والأسلوب » (كتاب الفصول ، صفحة ٢٠٣) .

وجيتى ، وهينى ، وماتزينى ، ونيتشه ، وجيمس هويل Howell، ووليم هازلت ، ووليم كوبر Cowper، وجوزيف أديسون ، ورتشارد ستيل ، وماكولى ، وليوناردو دافنشى ، وبيتهوڤن ، وڤان جوخ ، وتشيكوڤسكى ، وإميل زولا ، وأناتول فرانس ، وتورجنيف ، ودوستوڤسكى ، ومارك توين ، وبرناردشو ، والدوس هكسلى ، وبرتراندرسل ، وجواهر لال نهرو ، وعشرات من إخوان هذا الطراز الرفيع من أدباء العالم وعلمائه وفنّانيه وساسته ومفكريه لايحيط بهم الإحصاء .

* * *

والأدب العربى حافلٌ بدوره بنتاجٍ ضخم من الرسائل الأدبية فى أنماطها المتعددة وعصورها المختلفة ، ومن أشهرَ كتابها الذين يدور ذكرهم على الألسنة كلما تحدثتْ عن أدب الرسائل فى عصوره السالفة : عبد الله بن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وأبو بكر الخوارزمى ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد[١] ، وأبو إسحاق الصابى[٢] ، وبديع الزمان الهمذانى ، وابن دريد ، والثعالبى ، والقاضى الفاضل ، وغيرهم ، وآثارهم فى هذا الباب تذهب بالجانب الأوفر من دواوين الأدب وأمهات كتبه المتداولة .

ويذهب بعض الباحثين ممن تناولوا موضوع الرسائل الأدبية فى تراثنا العربى إلى اعتبار كل ما يحمل عنوان « الرسالة » أو « الرسائل » ؛ من الأعمال الأدبية التى تستقل بموضوعها ؛ من جملة أدب الرسائل . وذكروا فى هذا الصدد أعمالاً أدبية كبرى لها شهرتها وقيمتها التاريخية كرسالة الغفران ورسالة الملائكة لأبى العلاء المعرى ، وكرسائل إخوان الصفا ، ورسائل الجاحظ وابن حزم وابن شهيد وابن طفيل وابن زيدون وغيرهم ، وفى رأينا أن هذه الأعمال الأدبية تقوم بذاتها فى مفهوم العمل الأدبى بمعزل عن أدب الرسائل فى حيِّزِهِ الخاص ونطاقه المحدود ، وإن كانت تشترك معه ، على نحو ما ، من حيث الشكل أو من حيث المضمون .

---

(١) انظر كتاب « رسائل الصاحب بن عباد » تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور شوقى ضيف ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .

(٢) انظر كتاب « المختار من رسائل أبى إسحاق الصابى » الجزء الأول ، نشره الأمير شكيب أرسلان ، بعبدا لبنان ١٨٩٨ ، وكتاب « رسائل الصابى والشريف الرضى » تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، سلسلة التراث العربى ، الكويت ١٩٦١ .

وفى عصرنا الحديث نجد أشتاتًا من هذه الرسائل الأدبية بين عامة وخاصة ، من أشهرها رسائل الشيخ إبراهيم اليازجى (١٨٤٧ - ١٩٠٦) والرسائل العصرية لبطرس البستانى (١٨١٩ - ١٨٨٣) ، وهما رسائل إنشائية موضوعة يقصد بها إلى الناحية التعليمية . ومن هذا القبيل كتاب « الوسائل الأدبية فى الرسائل الأحدبية » لعبد الهادى نجا الأبيارى (١٨٢٠ - ١٨٨٨) ويحتوى على الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ إبراهيم الأحدب من علماء عصره .

على أنه قد ظهرت كتب برأسها تتميز بوحدتها الموضوعية ، إلى جانب غرضها التعليمى ، ومن أمثلتها كتاب « من والد إلى ولده » للأستاذ أحمد حافظ عوض (١٨٤٧ - ١٩٥٠) وكتاب « إلى ولدى » للأستاذ أحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) ، وقد صدر أولهما فى سنة ١٩٢٣ ، وصدر الثانى فى سنة ١٩٥١ ، فهما ينتميان إلى جيلين مختلفين من حيث طرائق التربية وبرامج التعليم ، ولكنهما معاً أشبه بمنهج حياة واحد يرسمه والدٌ لولده من واقع تجربته الشخصية وخلاصة فكره وثقافته . ويمكن أن يلحق بهذين الكتابين الرائدين ، مع التجوز الكثير ، كتاب « ولدى » للدكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) الذى ينحو منحى آخر ، فهو وصف مسهب لرحلةٍ قام بها المؤلف للتعزى عن فقد ولده ، والكتاب - فى جملته - أشبه برسالة مطولة « إلى روح فقيده الراقد فى صحراء القاهرة إلى جوار ربّه » كما جاء فى كلمة إهدائه . ويذكرنا هذا الكتاب برسالة حزينة كتبها الشيخ على يوسف (١٨٦٣ - ١٩١٣) فى يوم تشييع ولده « عمر » قال فيها : « إلى الله مآبك ياعمر ، وإلى الله مآبك أيها الزهر الذى قطفه الموت فى أزكى شذاه . إلى الله مآبك أيها الكبد الذى يمشى على الأرض ثم هوى إلى حفرة أبدية يسمونها القبر ، ولو استطعنا لكان فى القلب ، بل هناك قلبان أولى بهما أن يكونا قبره : قلب والده الحزين وقلب أمّه الثّكْلى » [١] .

وأروع مايكون أدب الرسائل حين يتناول رثاء عزيز راحل ، أو مناجاة حبيب عائد ، أو نداء صديق غائب ، وأمثال هذه المواقف التى تعمل فيها العاطفة الإنسانية عملها ، وتتوفز فيها المشاعر والأحاسيس ، وتتلاقى القلوب والأرواح . وأذكر من

---

(١) انظر : رجال عرفتهم للعقاد ؛ « على يوسف » صفحة ٢٣

قراءاتى فى أوائل الأربعينات رسائل ضافية كان ينشرها فى مقالات الكاتب الضليع الأستاذ عباس حافظ (١٨٩٣ - ١٩٥٩) تحت عنوان « حسرات ذاهبة على نبيلة الغائبة » فى رثاء ابنته ، وفيها يخاطبها بمثل هذه النجوى الباكية : « يابنية ، إن ماعند الله أطيب مما عند أبيك ، ولكن أبوّته متمردة على إيمانه ، وحسب الأب الواله أن يكون إيمانه متراجعاً أمام حنانه فى تصوير مافى نفسه من لوعةٍ هيهات مالها آخر العمر انطفاء .. » ، ويقول عن نفسه فى رسالة ثانية : « إنّى مشوق أيها الناس وبى من غيبة « نبيلة » الحلوة لوعةُ وَجْدٍ وحريقُ كَبِدٍ ، ولى عند تباريح الشوق أخيلة ، وبجانب العقل الصابر ذاكرة غير صابرة ، ومع مطلع كلّ صبح على قوام « نبيلة » ومحيّاها ، وأحاديثها ولُغاها ، لهفةٌ مستمرة ، وعلى المساء ومزار الكرى أبداً حنين » .

ويقول فى رسالة أخرى : « يابنيّتى ، سلامى إليك وتحيتى ، وأنت عند الله يرعاك ويحنو على أبوّتى ، فلست أسأل سلوانًا فإن السلوان هو فى حقك إهانة ، ولست أحاول نسياناً ولكنى أبتغى من الله عاصماً من النسيان ، لأعيش فيك بذكراك على الزمان ، حتى يحين لقاء فى ندوة الأرواح وملتقى الأعزاء فى السماء » [١] .

وأحسب أن لو جمعت هذه الرسائل الضافية ، فى بيانها العالى الرفيع وعباراتها الشجية الباكية ، لكان لنا منها سِفرٌ من أروع أسفار أدب الرسائل فى باب الرثاء .

* * *

ولرسائل الحب نصيبها من أدب الرسائل كنصيب رسائل الموت أو الرثاء ، ومنها رسائل أبيلار الفيلسوف الكاهن وهلواز الفاتنة المترهبة ، وقصة حبهما الفاجع - كما يقول الأستاذ العقاد - كأغرب القصص التى تروى عن عشاق العرب المشهورين [٢] . ومنها رسائل الحب المتبادلة بين الشاعر الإنجليزى روبرت براوننج والآنسة اليزابيث باريت التى صارت فيما بعد زوجته اليزابيث براوننج . ومن أشهر رسائل الحب فى تاريخ الأدب الفرنسى رسائل مدام دى سيفينى Mme de

---

(١) أوردت هذه الفقرات من مقالات الأستاذ عباس حافظ لأنها مثلٌ عالٍ من أمثلة البلاغة العربية الرفيعة فى هذا العصر الحديث ، ولأنها لم تجمع بعدُ فى كتاب يتيح الاطلاع عليها لمن يشاء من القراء . وقد نشرت للمرة الأولى والوحيدة بصحيفة « المصرى » الغرّاء بين أغسطس ١٩٤٠ ، ويولية ١٩٤١.

(٢) آراء فى الآداب والفنون صفحة ٢٥٦

Sevigne التى تشتمل على تصوير صادق لعصر لويس الرابع عشر ، ومنها رسائل الموسيقار الكبير تشايكوفسكى إلى نصيرته وراعيته (ندجدافن ملك) ورسائلها إليه ، وهى تحكى تفاصيل قصة من أعجب قصص الحب فى العالم وأكثرها إثارة للأشجان .

وقد حفظ لنا التاريخ من رسائل الحب فى العصر القديم رسالة كليوبطره ملكة مصر إلى مارك انطونيوس ، وفيها تعبّر كليوبطره عن حبّها بأشواق امرأةٍ وكبرياء ملكة . وهذه مقتطفات منها :

« تحية وسلام يحملهما رسول كليوبطره حاكمة النيل المبارك وسليلة البطالسة العظام ، إلى انطونيوس الشريف النجم الجاثم على ضفاف التيبر .

« لقد كنت أظنك ، أيها القائد الشريف ، تكتفى بما قد نلته من جاهٍ ومنعة ، وتمسك عنان مطامعك عند الحدّ الذى بلغته من الشهرة والعظمة ، فإنى أتصوّر شبحك الهائل المحبوب وقد ثبّت إحدى قدميك على ضفاف التيبر ، والأخرى على ضفاف الفرات ، فلم يبق أمامك مزيد للشهرة إلاّ فى مخيّلة الآلهة ، لذلك أحبتك العذارى وصارت كل منهن تتغنى بنشيد الحكيم العبرانى القائل « أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان ، لا تنظرْن إلىّ لكونى سمراء لأن الشمس قد لوّحتنى ، بنو أمّى غضبوا علىّ جعلونى ناطورة الكروم » .

كُنْ مُعَافًى أيها الشريف انطونيوس ولتحرسك الآلهة من قساة الأعداء ، ولكن لا تنس وأنت مستوٍ على منصّة « سلفيا » أن فى الأقاليم البعيدة عن حقول رومية مليكة تضحى تاجها فى سبيل مسرّتك ولا ينعم لها بال إلاّ إذا أشرقت عليها أشعة ابتسامك . فتعالَ نتمتع بهذه الحياة فى حمى « أفروديت » ، تعال نُقِمْ لها معبداً فى حقول الآلهة فنأكل ونشرب لأننا غداً نموت . لا تغرّنك بَسْطة الملك وسعة الجاه فإن الحياة مستمدة من أشعة الشمس لا من سهام مارس ، وكرسىّ رعمسيس ليس أقلّ مجداً من عرش رومالس .. تَعالَ لأن الحياة أقصر من أيام البنفسج ، والأحلام التى أتعلّل بها أبهج من أن يتمتع بها بنو البشر »[١] .

---

(١) من كتاب « رسائل غرامية » لسليم عبد الأحد ، نقلاً عن مجلة المشكاة العدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ١٩٢٣ ، بتصرف يسير .

ونأتى أخيراً إلى نوع فريد من أدب الرسائل هو « الرسائل الخاصة » ، وقد أسماه الأستاذ العقاد « الأدب الخاص » وعرّفه بأنه « الأدب الذى لم يقصد للنشر وإن كان فيه مايشوق الاطلاع عليه كثيرين غير أصحابه فى حياتهم الخصوصية » .

وقد جاء هذا التعريف الوجيز فى صدد حديث العقاد عن رسائل الآنسة ميّ زيادة إلى الأدباء ورسائل الأدباء إليها ، وأضاف فى تقويم هذه الرسائل قوله : «لو جمعت الرسائل التى كتبتها ميّ أو كتبت إليها من نوع هذا الأدب الخاص لتمت بها ذخيرة لا نظير لها فى آدابنا العربية ، وربما قلّ نظيرها عند الأمم الأوربية التى تصدرت فيها المرأة مجالس الأزياء الأدبية والأزياء الاجتماعية ، إلاّ أن يكون ذلك فى عصر « الصالونات » أو عصر النهضة منذ القرن السابع عشر إلى ماقبل القرن العشرين » [١] .

وليس بمستغربٍ أن يكون هذا رأى العقاد فى الأدب الخاص الذى لم يقصد أصلاً للنشر ، فقد أوشك أن يعدّ الكتابة الأدبية فى عمومها شريكا فى هذه « الخصوصية » للأدب الخاص ، ولا سيما فى الأمم التى تجتاز مراحل الانتقال من عصور الركود وتوشك أن تستقبل عصر النهضة والتقدم ، والتى يقل فيها عدد القراء المعنيين بالقراءات الأدبية والذين لا يجتذبهم حب الاطلاع على ثمار القرائح والعقول . ومن الاتفاق النادر أن يرد هذا الرأى فى سياق إحدى رسائل العقاد إلى ميّ ، والتى يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٢٣ ، حيث يقول فى هذه الرسالة : « لم أزل أعتقد أن الكتابة الأدبية فى بلادنا إن هى إلاّ رسائل خاصة يتهاداها على البعد أو على القرب عشرون أو ثلاثون فردا من أهل الصناعة ، فهم الكاتبون وهم القارئون . أما الجمهور ففى شاغلٍ عن هذه العزلة التى قُضِى بها على المعنيّين بأمر الأدب بين ظهرانيه ، وسيظل ساهياً عمّا يتراسلون به من هذه المؤلفات » [٢] .

وليست هذه النظرة وليدة التشاؤم أو السآمة النفسية ، بل هى ظاهرة ملموسة تكاد تطالعنا فى كل عصرٍ من عصور الأدب فى الشرق والغرب . فإلى قريب من هذا المعنى الذى ذهب إليه العقاد فى رسالته إلى ميّ ، كان جيتى شاعر الألمان

---

(١) رجال حول ميّ : مقال نشر بمجلة الهلال ، مارس ١٩٦٢ ، وانظر كتاب « رجال عرفتهم » ، كتاب الهلال العدد ١٥١ ، أكتوبر ١٩٦٣ ، صفحة ٢٠٨

(٢) انظر الرسالة الثانية من رسائل العقاد إلى ميّ فيما يلى (صفحة ١٧٠)

الأعظم يقول عن روايته الشهيرة « أحزان ڤرتر » – فيما رواه عنه صاحبه إكرمان – « إنه لمن الأمور السيئة حقًّا ألاّ يعرف كلّ إنسانٍ مرّةً فى حياته فترةً يظهر له فيها أن رواية ڤرتر كتبت له وحده »[١] . وليست أحزان ڤرتر بدعاً فى هذا الشأن ، فمثلها كثير من الأعمال الإبداعية التى تتناول جانباً من جوانب النفس الإنسانية ، أو سيرة عظيم من العظماء المشهورين ، أو مأساة إنسانٍ من الآحاد المغمورين . وبِوُسع المرء أن يستعير كلمة جيتى وهو يتحدث عن هاملت لشكسبير ، أو رينيه لشاتو بريان ، أو الإخوة كارامازوف لدستوڤسكى ، أوسانين لأرتزباشف ، أو الراهب فى تاييس لأناتول فرانس ، أو إبراهيم فى « إبراهيم الكاتب » و« ابراهيم الثانى » للمازنى ، أو محسن فى زهرة العمر لتوفيق الحكيم ، أو الدكتور إسماعيل فى قنديل أم هاشم ليحيى حقى ، أو لغير واحد من أبطال الثلاثية لنجيب محفوظ .

وعلى ذكر الأعمال الإبداعية ، نذكر هنا أن أدب الرسائل قد ألقى بظلاله على هذه الأعمال وبخاصة فى مجال القصة والرواية حيث تمثل الرسالة عنصراً من عناصر البناء الفنى يعمد إليه القصصى أو الروائى كوسيلة من وسائل التشويق والإثارة ، وكعامل من عوامل الإيحاء والتأثير فى نفس القارئ ، وإضفاء مزيد من جماليات البناء الفنى للقصة أو الرواية . بل لقد يعمد الكاتب إلى إقامة بناء القصة على مجرّد سلسلة متتابعة من الرسائل على لسان البطل ، تُكَوّن فى مجموعها سياق القصة بغير تدخل من الكاتب الذى يقتصر عمله فى هذه الحالة على دور الرّاوية . هكذا فعل جيتى فى روايته أحزان ڤرتر ، وهكذا فعل توفيق الحكيم فى قصته زهرة العمر ، وهذان مثالان وحسب .

أما استخدام الرسائل فى سياق القصة أو الرواية فى مواقف القمة أو مواقف الصراع ، فهو من الظواهر البارزة فى معظم هذه الأعمال حتى ليكاد أن يكون تقليداً دارجاً مقصوداً بذاته أو متفقاً عليه ، ففى روايةٍ كرائعة توماس هاردى « تِسْ سليلة دربرڤيل »[٢] تطالعنا بضع رسائل يستخدمها المؤلف فى مواضعها الاستخدام

(١) على أدهم : صور أدبية ، جيتى فى أحاديثه مع إكرمان ، صفحة ٦٤

(٢) Thomas Hardy : Tess of the D'urbervilles, Macmillan, London, 1934.

الذى يخلع على شخوص الرواية وأحداثها نبضًا من واقع الحياة ومن مشاعر الناس فى أفراحهم وأتراحهم . ومن أقسى هذه الرسائل وقعاً على النفس وأشدّها مجلبة للشعور بالمضاضة والألم الكظيم تلك الرسالة التى كتبتها تس إلى زوجها الذى هجرها وهاجر إلى البرازيل وقد بلغت الأحداث بتِسْ إلى قمة المأساة حتى لتوشك على السقوط مرة أخرى ، فهى تستنجد به ضارعةً إليه : « زوجى الأثير ! دعنى أدعوك كذلك إذْ لابدّ لى من ذلك ، وإنْ أغضبك أن تذكر أنّ لك زوجاً مثلى غير جديرة بك ، يجب أن أفزع إليك فى بلائى فليس لى سواك مَفْزَع . إنّ الغواية مُحْدقة بى يا إينجيل ، إنى أخشى أن أذكر اسم الشخص وأكره أن أفصّل الأمر . ولكنى ألوذ بك على حالٍ لا تتصورها ، أَلَا تستطيع موافاتى حالاً قبل أن يحدث حادث فظيع ؟ إنى لأعلم أنك لا تستطيع لأنك فى بلدٍ نازح ، ويخيّل إلىّ أنى لابُدَّ هالكةٌ إذا لم تأتنى على عجلٍ ، أو تطلب إلىّ موافاتك . إنّى أستحق العقاب الذى فرضته علىّ ، أنا أعلم ذلك حقّ العلم وأنت مُحِقٌّ عادلٌ فى غضبك علىّ ، ولكنى أتوسل إليك يا إينجيل ألاّ تصرّ على العدل ، وأن تستشعر الرحمة بى وإن لم أستحقها ، وأن تأتى إلىّ إذا استطعت المجئ فسوف يطيب لى الموت فى ذراعيك ، سوف أرتاح إلى ذلك إذا أطمأننت إلى أنك غفرت لى !

ياحبيبى العزيز ! تعالَ إلىّ ، تعال إلىّ وأنقذنى ممّا يتهدّدنى !

مُحبّتك المفؤودة : تس » [١]

وفى قصة « رنيه » للكاتب الفرنسى شاتو بريان ، وهى رواية قصيرة تقع ترجمتها العربية فى ٦٤ صفحة ، نجد نصّ رسالة من بطلة القصة « امليا » إلى صاحبها رنيه تودّعه وتنبئه بعزمها على اعتزال الحياة واللجوء إلى الدير ، وتشغل هذه الرسالة نحواً من خمس صفحات [٢] .

ولم تشذ القصة والرواية فى الأدب العربى الحديث عن هذه الظاهرة ، ففى

(١) انظر الرسالة بتمامها فى الترجمة العربية الرائعة لرواية تس ، تعريب الشاعر الناقد المرحوم فخرى أبو السعود (١٩٠٩ - ١٩٤٠) ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص (٣٥٥ - ٣٥٧) .

(٢) رنيه تعريب الأستاذ على أدهم ، نشرت بمجلة البيان وطبعت بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة (بدون تاريخ) [حوالى سنة ١٩٢٠] .

أول رواية مصرية ظهرت فى مطالع هذا القرن العشرين ، وهى رواية زينب للدكتور محمد حسين هيكل تطالعنا أكثر من رسالة لحامد بطل الرواية ، فضلاً عن رسائل أخرى لبعض شخصياتها [١] .

وفى قصة « السَّمَر » للكاتب الفحل محمد السباعى – وقد صدرت فى سنة ١٩٠٩ وهو وقت مبكر جدا بالنسبة لكتابة القصة الأدبية – نراه يستخدم الرسائل على لسان زينب ومحمد بطلىْ القصة [٢] .

كما تطالعنا هذه الظاهرة فى رواية سارة للأستاذ العقاد حيث نجد همّاماً بطل الرواية يكتب لصاحبته رسالة مطوّلة تكاد أن تذهب بالشطر الأكبر من أحد فصول الكتاب [٣] .

وقد زاد الاهتمام ، فى نصف القرن الأخير ، بنشر الرسائل الأدبية والخاصة ، لكبار الأدباء والمفكرين فى مصر والوطن العربى ، والتفت الباحثون إلى أهمية هذه الرسائل فاجتهدوا فى البحث عنها فى مظانها وإظهارها للقراء . وأذكر أن الأديب الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمه كتب فى ذيل مقالٍ له كلمة تحت عنوان « رسائل ميخائيل نعيمه » يرجو فيها من جميع الذين لديهم رسائل منه أن يردوها أو نسخًا منها إليه لينشرها فى مجلد خاص [٤] . ولا شك فى أن رسائل نعيمه إذا ظهرت ستكون مصدراً مهما من مصادر دراسة حياته وأدبه ، وإضافة لازمة لسيرته الذاتية التى كتبها بعنوان « سبعون » .

ومن الكتب التى ظهرت فى خلال تلك الفترة كتاب « رسائل الرافعى » وهو يشتمل على جملة الرسائل التى بعث بها الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى (١٨٨١ – ١٩٣٧) إلى صديقه الشيخ محمود أبو رية فيما بين سنتى ١٩١٢ و ١٩٣٤ ، وهو من أوائل الكتب التى صدرت فى هذا المجال .

وصدرت كتب تشتمل على رسائل جبران خليل جبران [٥] ، وأخرى تشتمل

---

(١) زينب (طبعة كتاب الهلال ، يناير ١٩٥٣) صفحات ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٨ – ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦

(٢) السمر ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) وقد صدرت حوالى سنة ١٩٠٩ ؛ صفحات ٩٠ ، ٩١ – ٩٤

(٣) سارة (الطبعة الأولى ١٩٣٨) صفحات (٤٥ – ٥٠)

(٤) مجلة الهلال ، يونية ١٩٦٤

(٥) انظر : ميخائيل نعيمه ، « رسائل جبران إلىّ » فى آخر كتابه « جبران خليل جبران » . ودكتور جميل جبر : رسائل جبران ، بيروت ١٩٥١ .

على رسائل ميّ [١] ، ومنها ما اشتمل على رسائل جبران إلى ميّ فيما بين سنتى ١٩١٤ و ١٩٣١ ، مع الأصول الخطية لهذه الرسائل [٢] .

وذكر الأستاذ سامى الكيالى فى بحث له عن الرسائل الخاصة نشرته مجلة « المجلة » القاهرية أنه صدر لفيلسوف الفريكة الأستاذ أمين الريحانى « رسائله إلى أهله وأصدقائه وأصفيائه من رجالات الفكر ، وهى ترينا لوناً جديداً من أدب الرسائل فى فترة نصف قرن من حياتنا الفكرية » [٣] ، ولم يتح لى الاطلاع عليها .

وفى سنة ١٩٤٧ ، نشر الدكتور طه حسين عدداً من رسائله الأدبية بدأها برسالةٍ بهذا العنوان « رسالة إلى ... » ويبدو أنه كان يوجهها إلى صديقه الدكتور محمد حسين هيكل ، بعد أن تقطّعت بينهما أسباب الصداقة ، وقد استهلها بقوله : « لست أدرى كيف أدعوك ، فقد كنتُ فيما مضى من الأيام أدعوك بالأخ العزيز والصديق الكريم ، وأنا أخشى أن أسوءك وأن أسوء الحق إن دعوتك بهاتين الصفتين إحداهما أو كلتيهما . أخشى أن أسوءك بإثارة الحزن والأسى فى نفسك وبإثارة الندم فيها أيضًا ، فأنت تعلم أنك لم تبق لى أخاً عزيزاً لأنك ألغيت هذا الإخاء ، ولا صديقاً كريماً لأنك قطعت أسباب هذه الصداقة . وقد يسوءك تذكرك مامضى ، وقد يحزنك ردّك إلى ماسلف ، وقد يشقّ على نفسك أن تتبين أنْ لا سبيل إلى استدراك مافات ، ولا إلى استئناف مافرط ، فلأمرٍ ما أرسل القدماء مثلهم المعروف : « سبق السيف العذل » [٤] .

وعلى هذا الغرار كتب الدكتور طه حسين طائفةً من الرسائل وجهّها إلى من يعنيهم بها دون أن يفصح عن ذواتهم أو أن يذكر أسماءهم . وقد جمعت هذه الرسائل فيما بعد فى كتاب اختار له الدكتور عنوان « نفوس للبيع – مرآة الضمير الحديث » .

---

(١) دكتور جميل جبر : رسائل ميّ ، بيروت ١٩٥٤

(٢) الشعلة الزرقاء ، رسائل جبران خليل جبران إلى ميّ زيادة ، تحقيق وتقديم سلمى الحفار الكزبرى والدكتور سهيل بديع بشرونى ، الطبعة الثانية مؤسسة نوفل بيروت ١٩٨٤

(٣) مجلة المجلة ، العدد ٤٨ ، ديسمبر ١٩٦٠

(٤) مجلة الهلال ، يناير ١٩٤٧

وانظر كتاب « نفوس للبيع » صفحة ٣٥ (المجلد الحادى عشر من المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٤) .

وفى سنة ١٩٤٧ أصدر الأستاذان كوركيس عواد وميخائيل عواد ، من أدباء العراق ومن ثقات المحققين ، كتاب « رسائل أحمد تيمور إلى الأب أنستاس مارى الكرملى » وقد أعادا إصداره فى طبعة موسّعة مع زميلٍ لهما تحت عنوان « الرسائل المتبادلة بين الكرملى وتيمور » ، وظهرت هذه الطبعة الجديدة فى سنة ١٩٧٤ [١] .

ومن الرسائل التى نشرت ولم تجمع فى كتاب ، رسائل الشاعر العراقى الكبير جميل صدقى الزهاوى (١٨٦٣ - ١٩٣٦) إلى أحمد محمد عيش الذى نشر جانباً منها فى مجلة الكاتب المصرى التى كانت تصدر فى القاهرة فى منتصف الأربعينات [٢] .

ومنها « الرسائل المتبادلة بين شيخ العروبة أحمد زكى باشا والأب أنستاس مارى الكرملى » ، نشرت فى مجلة المورد العراقية بتحقيق حكمت رحمانى [٣] .

وثمة رسائل أخرى نشرت لكتّاب وأدباء آخرين لم نقف عليها ، إلى جانب رسائل مفردة لبعض الأعلام نشرت فى الصحف والمجلات فى مناسبات مختلفة ، وليس هنا مجال تقصّيها .

* * *

ومن المهتمين بأدب الرسائل فى وقتنا الحاضر قانونى أديب هو الأستاذ الدكتور يحيى الجمل الذى نشر عدداً من الرسائل ؛ « كتبها ولم يقدّر لها أن تصل إلى أصحابها » كما يقول ، وقد اختار لها عنواناً ثابتًا هو « رسالة إلى ... » إلى جانب عناوينها الفرعية التى تختلف من رسالة إلى أخرى ، ويلاحظ أن هذا العنوان الثابت هو العنوان الذى اختاره من قبل الدكتور طه حسين . وكأنى بالدكتور الجمل يحذو حذو الدكتور طه وينسج على منواله ، يعينه على ذلك ويُملى له فيه أسلوب سلِسٌ يشبه فى بعض خصائصه أسلوب الدكتور طه حسين دون أن يقصد إلى تقليده . ومن أمثلته ماجاء فى إحدى رسائله التى يقول فيها : « سيّدى .. صدّقنى إذا قلت لك إننى أكتب لك وأنا مثقل القلب منقبض الصدر ، فما كنت أريد أن يأتى ذلك

(١) مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٧٤

(٢) مجلة الكاتب المصرى ، سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧

(٣) مجلة المورد ، المجلد السادس ، العدد الثانى (١٣٩١ - ١٩٧٧) ص ١٤٣ - ١٩٢

اليوم الذى أراك فيه على غير ماكنت من قبل ، وما كنت أنتظر أننى سأسمع عنك كل هذا الذى سمعته .. صدّقنى إنه ليس سهلاً ولا ميسوراً أن أجد نفسى أنظر إليك على نحو ما أنظر ، وأن أراك على نحو ما أراك الآن ، فذلك يشعرنى بأنّ ركناً قد انهدم وأن هذا الركن الذى هو أنت هو جزء من كيانى ووجدانى ومشاعرى ، فهل تراه سهلاً ؟ إذا كنت تراه كذلك فما أنا بالمصدّق أن كلّ ذلك يمكن أن يكون » [1] .

وحبذا لو جمع الدكتور الجمل رسائله هذه الطريفة ، بين دفّتى كتاب سيكون بلا شك متعة لقارئيه .

* * *

(١) مجلة العربى ، العدد ٤٠٠ ، مارس ١٩٩٢ ، صفحة ١٢٦

- ٢ -
« رسائل العقاد »

يضم هذا الكتاب بين دفّتيه طائفة من رسائل الأستاذ العقاد الخاصة ، تجمّعت عندى على مدى سنوات ، ووقفت عليها فى مظانّها ومصادرها المختلفة التى أشرت إليها فى ذيل كلّ رسالة ، وعلّقت عليها بما أعلمه من تواريخها ومناسباتها ومايتصل بها وبموضوعاتها من حياة العقاد وأدبه . وتحرّيت أن تستند هذه التعليقات ، أكثر ما تستند ، إلى كتابات العقاد وأقواله ، حيث ينبغى أن يكون هو القائل والمتحدث ، وحيث تقطع « جهيزة » قول كل خطيب .

وغنىٌّ عن القول أن هذه المجموعة من رسائل العقاد الخاصة ، ليست إلاّ نزراً يسيراً من جملة رسائله التى كتبها على مدار حياته العريضة الحافلة ، والتى يمكن أن تقدّر بعشرات المئات من الرسائل ، هى الآن فى ذمّة أصحابها الذين كتبت لهم ووجّهت إليهم إذا كانوا قد حرصوا عليها وعرفوا لها قيمتها وحفظوها بين أعزّ مايحفظونه من نفائس . أو هى فى ذمّة التاريخ ، وكم فى ذمّة التاريخ من تراث مُضاع .

وقد حدثنا العقاد عن رسائل كتبها فى صدر شبابه كان لها أثرها العميق فى توجيه حياته وتحديد اتجاهه . وحديثه عن هذه الرسائل هو الأثر الباقى منها دون نصوصها الأصلية التى لا سبيل إلى العثور عليها بعد أن بعُد العهد بها وتصرّمت عليها سنوات وسنوات ، ومنها رسائله إلى الأستاذ محمد فريد وجدى ، والزعيم العظيم سعد زغلول ، والدكتور شبلى شميّل .

وأولى هذه الرسائل من حيث التاريخ ، رسالته إلى العلاّمة الجليل الأستاذ محمد فريد وجدى (١٨٧٨ - ١٩٥٤) أحد علماء عصره الأفذاذ وأحد أعلامه المعدودين ، أو هو ، كما وصفه العقاد ، فريد عصره غير مدافع .

وكانت مناسبة الرسالة حين اعتزم الأستاذ وجدى إصدار صحيفة « الدستور » فى

سنة ١٩٠٧ ، وقد أعلن عن ذلك فى الصحف وتضمّن الإعلان طلب محرّرٍ يتولى معه تحرير الصحيفة . ويروى العقاد [1] أنه كان جالساً ذات يوم بمقهى فى أول شارع شبرا قريباً من محطة السكة الحديد ، وهو يفكر فى أمر مستقبله وماعسى أن يطرقه من أبواب العمل الحرّ بعد أن استقال من وظيفته الحكومية فى الزقازيق ، فماهو إلاّ أن تصفح الصحيفة بين يديه واطلع فيها على الإعلان الخاص بصحيفة الدستور حتى كتب من فوره ، ومن مجلسه بمقهى شارع شبرا ، إلى الأستاذ فريد وجدى . ويقول العقاد فيما بعد : « كتبت إليه أخبره بأننى أرشّح نفسى للعمل فى الصحافة لأول مرة .. فجاءنى الرد منه بعد يوم أو يومين يسألنى أن ألقاه بدار مطبعة الواعظ ... » [2] . ولم يكد ينتهى اللقاء الأول بينهما حتى كان العقاد محرر الدستور الوحيد إلى جانب صاحبه الكبير .

وقد كان اشتغال العقاد بتحرير صحيفة الدستور فاتحة خيرٍ فى حياته العامة وفى حياته الصحفية انتهت به إلى أرفع مكانٍ فى عالم الكتابة الصحفية لأكثر من نصف قرن ، وإن لم تكن الصحافة مجاله الأول أو مجاله الوحيد .

* * *

وكانت رسالته إلى الزعيم الخالد سعد زغلول قُبيل أن يلقاه لأول مرّة « صباح يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٨ بمكتبه فى وزارة المعارف العمومية يوم أن كانت فى ديوانها المعروف بدرب الجماميز » وذلك لإجراء حديث صحفى معه ، كان أول حديث يجريه العقاد الصحفى الناشئ يومذاك مع وزير خطير كسعد زغلول .

ويقول العقاد فى وصف ذلك اللقاء من كتابه الكبير عن سعد : « كنت يومئذ أعمل فى تحرير صحيفة الدستور ، وهى زميلة اللواء لسان حال الحزب الوطنى الذى كان يوالى الحملة على سعد وينتقد سياسته فى وزارة المعارف أشدّ انتقاد . وكنت فى التاسعة عشرة أى فى سنّ الجيل الناشئ الذى استولى عليه « اللواء » وجعله من قرائه وجنده ومصدّقى مدحه وهجائه . ولكنى كنت أعجب بسعد وأرجو لمصر خيرًا كثيراً

---

(١) فى حديث إذاعى بعنوان « ذكريات الشباب » للأستاذ العقاد فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥ . سمعته ، ونص الحديث كاملاً ليس تحت يدى .

(٢) مجلة المجلة ، العدد ٧٥ فى مارس ١٩٦٣ ، وانظر : رجال عرفتهم ؛ « محمد فريد وجدى » (كتاب الهلال ، أكتوبر ١٩٦٣) صفحة ١٦٥

على يديه ، ولا يسيغ طبعى أن يكون مثل هذا الرجل ممن يخون عهده وينسى واجبه وينقاد على غير بصيرة لأمر الموظفين الانجليز فى الوزارة ، كما كان يقال عنه فى ذلك الحين . وزادنى ثقةً به أنه كان من أصحاب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وكنت لآثاره متتبّعًا وبسيرته جدّ معجب .فلما اشتدت الحملة عليه وشاعت شيوعها بين قرائها أخذتنى حميّة الشباب ورأيت من الحقّ علىّ أن أدفعها عنه وأمهّد لإظهار الحقيقة بما فى وسعى ، فلم أجد أفضل من حديثٍ مع الباشا مدعوم بالوثائق والبراهين التى تدفع اللبس وترفع الغشاوة عن نظر السّواد .

ويمضى العقاد قائلاً : « لّما غدوت إلى مكتبه فى موعد الحديث استقبلنى واقفاً وأشار إلى كرسىّ أمامه فجلس وجلست . وسألنى : أعرفت الشيخ محمد عبده ؟ قلت : نعم ، قرأت رسائله وتفسيراته وترجمة حياته . قال : هل رأيته ؟ قلت : رأيته مرتين . قال : أين ؟ أفى الأزهر ؟ قلت : لا ، بل فى أسوان ، قدّمنى إليه أستاذى فناقشنى فى علومى المدرسية وبعض الآراء العامة ثم سمعت منه بشرى طيبة . قال : ماذا سمعت منه ؟ قلت إنه التفت إلى الأستاذ وقال وهو يُرَبِّت على كتفى : « ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعدُ » ، ثم أوصانى أن لا أقنع من العلم بوظيفة الحكومة . فتبسّم الباشا وقال : أرى أن نبوءة الإمام تتحقق ، واستطرد إلى كلامٍ عن الشيخ يثنى عليه ويحمد مناقبه . وإنما سألنى الباشا ذلك السؤال لأننىذكرتُ فى الخطاب الذى طلبت فيه محادثته أننى أكبر جماعة الإمام أن يضلّ لها قصدٌ فى الوطنية ، وإن كثرت حولها النمائم والوشايات » [1] .

* * *

---

(١) سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ١٩٣٦ ، صفحات ٦٠٠ - ٦٠٢ ، بتصرف يسير .

وقد أورد العقاد بعض تفاصيل هذا اللقاء فى مقالٍ له بعنوان (سعد قال لى) نشرته مجلة الإثنين والدنيا فى سنة ١٩٤٠ ، جاء فيه :

كان إعجابى بسعد فرعاً من إعجابى بالشيخ محمد عبده ومريديه وتلاميذه ، ومن ثم صعب علىّ أن أصدق ماكان يشاع من أن سعد زغلول – وهو أكبر تلاميذ الشيخ – أصبح بعد تولّيه نظارة المعارف مطيّة للإنجليز . وكنت إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمرى أعمل محرراً فى جريدة الدستور التى كانت وزميلاتها من جرائد الحزب الوطنى قد شنّتها على سعد غارة شعواء واتهمته فى وطنيته وعَزَت إليه كثيراً من الأمور التى كان « شعورى الباطن » ينزهه عنها للسبب الذى قدّمت . فقلت فى نفسى لماذا لا أطلب مقابلته وآخذ منه حديثاً يتضمن ردًا وافياً على كل ما اتهم به ثم أنشر هذا الرد فى نفس « الدستور » الذى ساهم فى اتهامه ؟ وفعلاً اتصلت بالمرحوم فؤاد كمال بك – الذى كان سكرتيره –=

أما رسالته إلى الدكتور شبلى شميّل ، فمناسبتها أن الدكتور كان قد طبع مجموعة مؤلفاته بمعونةٍ من أصحاب الأريحية الغيورين على العلم والثقافة ، فلما تبرع له المتبرعون بالمعونة الكافية طبع المجموعة فى جزئين ، وجعل ثمن المجموعة الواحدة جنيها مصريًّا ، وهو ثمن معتدل لنفاسة طبع الكتاب ونفاسة موضوعه ، ولكنه مرهق للشاب الخالى من العمل . ويقول العقاد : « كنت يومئذٍ خالياً من العمل مريضاً أستشفى ببلدتى أسوان ، وأشعر بما يشعر به المريض الخالى اليدين من تكاليف العلاج ، فكتبت إلى الدكتور مافحواه : إنى أعلم أنك تأبى على الأغنياء أن يحتكروا موارد المال ، فما بالك الآن تريد أن يحتكروا موارد العلم والمال معًا ، وهل تحسب أن أحداً من غير الأغنياء يقوى على شراء كتابٍ بجنيه ؟ » [1] .

وقد روى العقاد قصة هذه الرسالة فى مناسبة أخرى بعد سنوات من روايته الأولى لها ، فلم تتغير كثيراً عبارته فى كلتا الروايتين ؛ قال : « كتبت له يومئذ أقول مامعناه إنك اشتراكى غريب ، لأنك تستكثر على الأغنياء احتكار المال وتريد فى الوقت نفسه أن يحتكروا المعرفة ، إذْ مَنْ يشترى كتاباً واحداً بجنيه إن لم يكن من الأغنياء » ؟ [2] .

= وحدّد سعد لى موعداً للمقابلة . وكنت إذ ذاك أقطن فى منشية الصدر ، وشاءت الظروف أن يفوتنى القطار الذى يوصلنى إلى سعد فى الموعد الذى حدّده لى ، فركبت القطار التالى وبلغت وزارة المعارف وكانت إذ ذاك فى درب الحماميز متأخراً عن الموعد ، فلما رآنى فؤاد بك قال لى : لماذا تأخرت ، لقد ظل الباشا ينتظرك فلما لم تحضر انصرف إلى عمله ، وهو الآن مشغول مع المستشار » . فقلت له : إننى تأخرت لعذرٍ قهرىّ ، وطلبت إليه أن يخطر الباشا بحضورى فقد يرى مقابلتى . ودخل السكرتير على سعد ثم خرج وطلب إلىّ أن أنتظر . ولكنى لم أنتظر طويلاً – كما توقعت وتوقع السكرتير – وإنما رأينا المستشار بعد دقائق يغادر مكتب الوزير وقد تأبّط بعض الأوراق . وأُدخلت على سعد فحييته وقلت له : إننى وإن كنت محررًا فى جريدة « وطنية » فإننى أعتقد أن لا صحة لكثير من الاتهامات التى وجّهت إليك منذ تولّيك نظارة المعارف لأنك من تلاميذ الشيخ محمد عبده وهم جميعاً عندى أسمى من أن ترقى إليهم أمثال تلك الاتهامات . وهشّ سعد فى وجهى وذكر أن هذا الكلام قد أدخل السرور إلى نفسه . ثم فتح صدره لى فأجابنى بصدق وصراحة عن سائر الأسئلة التى وجهتها إليه . وخرجت من مكتبه فدونت الحديث الذى أخذته منه ، وأدركت أن الرجل الذى يصرف المستشار من حضرته ليستقبل صحفيا شابًّا حضر متأخرًا عن الموعد المضروب له لا يمكن أن يكون مطيّةً لهذا المستشار » .

(١) « فى سوق الوراقين » مجلة الرسالة ، العدد ٣٩٥ فى ٢٧ يناير ١٩٤١

(٢) يوميات الأخبار فى ٣٠ سبتمبر ١٩٥٦ ، وانظر اليوميات ، الجزء الثالث (صفحة ٣٢٩)

وبقية القصة يرويها العقاد فيقول : « فما هو إلاّ أن وصل الخطاب إلى الدكتور ووصلت الصحف اليومية إلى أسوان ، حتى قرأت فيها أن الدكتور شميّلاً قد أهدى مائة نسخة من مجموعته إلى الأدباء والطلاب ، ولم يمض يوم أو يومان حتى جاءنى الجزء الأول ومعه خطاب منه يشبه الاعتذار لما فاته من ذكر هذه الحقيقة بغير تذكير ، ويشبه الشكر على أننى نبهته إلى ما كان خليقًا أن يتنبّه إليه » [1] .

وهكذا يقفنا العقاد على إحدى رسائله المطوية التى لم تصل إلينا ، بل يقفنا معها على رسالةٍ مجهولةٍ للدكتور شبلى شميل ، قد لا يعنينا كثيرا ذكرها فى هذا السياق ، ولكنها تعنى الكثير لمن يهمهم الوقوف على مناقب هذا الرجل الحرّ الصريح الشريف ، كما وصفه العقاد .

* * *

إن المرء ليأسى حين يفكر فى أمثال هذه الرسائل المفقودة من تراث العقاد ، ويزداد أساه حين يعلم أن حياة العقاد التى لم تسلم فى أكثر عهودها من الأزمات النفسية وعوامل القلق والاضطراب ، فضلاً عن أعاصير السياسة ومؤامراتها الخفية والمنظورة ، قد دفعته إلى التخلص من كثير من أوراقه الخاصة ومذكراته ومايتعلق بذكرياته وودائع عمره الغالية التى يُضّن بها على الإفشاء ، أو على الضياع ، فآثر أن يحرقها بنفسه ويحرق معها كما يقول « رسائل شتى وصُوَراً وأوراقاً لها فى حياتى الخاصة أثر لا يزول » . ولم تكن « ليلة المذبحة » إلاّ واحدة من هذه الأزمات التى ألـمّت بالعقاد وأطاشت رأسه وهو القوى الجليد ، وما أدراك ما ليلة المذبحة ؟

يحدثنا العقاد عن هذه الليلة فى مقالٍ له بمناسبة ذكرى يوم ميلاده – ويالسخرية المفارقة – عرض فيه لذكريات تلك الليلة الفاجعة عشية سفره المفاجئ إلى السودان . وفى تصوير خواطره فى تلك الليلة يقول العقاد فى أسىً غامرٍ كظيم ، وفى صدقٍ كصدق الاعتراف :

« فى هذا اليوم بعَيْنه وصلتْ جيوش روميل إلى العلمين ، وأوشكت أن تعبرها إلى طريق العامرية فالاسكندرية فالقاهرة ، وهو الهوان على أيدى أناس هم أخبر الناس بالهوان . ولا فِرار من الموت إنْ وجب ، ولكن البقاء للهوان إخلالٌ بكل واجب

---

(١) فى سوق الوراقين .

يحرص عليه إنسان . وإلى أين الفرار ؟ إلى وادى التِّيه الذى يرجع منه الغائب أو لا يرجع ، ولكنه لا يدرى أين يذهب ولا كيف يكون الرجوع . وليس هذا أفجع مافى الصفقة الفاجعة ، بل أفجع منه الليلة التى قبلها ، أو هى ليلة المذبحة كما سميناها ، لأنها جرأة على الماضى تهون معها الجرأة على المستقبل ، وعلى المجهول .

كلّ ما أتركه بعدى لا أباليه .

الكتب يصنع الله بها مايشاء ، وما أكتم القارئ أننى على خطوةٍ من إحراقها فى كثيرٍ من الأوقات ، غضباً على تكاليف المعرفة حيث يسعد الجهل بغير تكليف .

وماذا أترك غير الكتب مما أباليه ، إن كنت أترك الكتب ولا أباليها ؟

هباء أو كالهباء !

إلاّ أوراقاً متفرقات فيها ودائع العمر التى يموت عنها الإنسان ولا تسخو نفسه بأن تموت قبله . وهى لا تُنقل إلى حيث تفتح وتقرأ فى مدخل كل أرضٍ مطروقة ، وهى لا تُودع عند أحدٍ كائناً من كان . فلا موئل لها أكرم من التمزيق ، ثم نار الحريق ..

وانقضت ساعتان قبل تمزيق الورقة الأولى ... ولم تنقضِ إلاّ دقائق قبل تمزيق الورقة الأخيرة .

وانجلت الثورة عن كَوْمةٍ من الورق كل قطعة منها موصـــولة بعِرْقٍ ممزّق ، وشُعَلٍ من النار لم تكن من قديم عهدها إلاّ شُعَلاً من النار ، ولكنها اســتحالت إلى رماد ! » [١] .

وأأسفاه ...

كلا ، بل لا أسف ! فعزاؤنا عن ذلك الذى فقدناه من تراث العقاد أن مابقى منه ، وهو جمّ وفير ، يحيط بالقليل الذى نفتقده منه ويدلّ عليه ويكاد يشير إليه . وحسبنا من مجموعة كهذه المجموعة من رسائله التى بين أيدينا أن تكون مثالاً مصغّراً لأدبه وعبقريته ، وأنها تعطينا صورة صادقة له فى مراحل عمره المختلفة ، فنرى ثمة عقاد الثالثة والعشرين وهو فى بداية الطريق ، ثم نمضى فى صحبته لنلتقى

---

(١) من مقال « عيد ميلاد » المنشور بمجلة الرسالة ؛ العدد ٥٢٣ فى ١٢ يولية ١٩٤٣ ، وانظر الكتاب المسمى « ردود وحدود » صفحات ١٤٨ – ١٥٠

بعقاد الثلاثينات والأربعينات ، ثم عقاد الخمسينات والستينات ، ولا نبرح حتى نقف معه على مشارف الخامسة والسبعين حين انقطعت به رحلة الحياة فى هذه الدنيا وبدأت رحلته فى عالم البقاء والخلود .

وفى كل مرحلة من هذه المراحل تبرز لنا صورة العقاد من خلال رسائله ، كما تبرز من خلال أدبه كله ؛ شعراً ونثراً ؛ حياةً حيَّةً متجددة الأوطار والأشواق ، موفورة المشاعر والأحاسيس ، متعددة الوجوه والملامح والسمات .

وفى كل رسالةٍ من هذه الرسائل ، لمحة إلى أفق من آفاق العقاد ، وإضاءة لجانبٍ من جوانب عبقريته ، وتفسير لنزعةٍ من نزعات فكره أو خصيصة من خصائص أدبه . وكلها تشير إلى الرصيد الضخم الذى تمتلئ به نفسه ويزدحم به عالمه .

وعسى أن تكون هذه المجموعة من رسائله بمثابة المفتاح الصغير الذى يفضى بالقارئ إلى ذلك العالم الرحب الكبير ؛ عالم العقاد .

* * *

ولا يفوتنى فى الختام ، أن أسجل تقديرى لكل من سبقنى إلى إظهار شئ من رسائل العقاد ، ولا سيما فى أصولها الخطِّية . وأخصّ بالذكر الكتاب الرائد « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » للكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور ،وكتاب « لمحات من حياة العقاد المجهولة » للمرحوم الأستاذ عامر العقاد ، وكتاب « العقاد وأنا » للمرحوم الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى . ومجموعة الرسائل التى نشرها البحاثة الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحميد ابراهيم تحت عنوان « كنوز طه حسين » ومنها رسائل الأستاذ العقاد . ولا أحاشى أحداً ممّن أخذت عنهم سائر نصوص الرسائل التى تضمّنها الكتاب ، وقد حرصت على ذكر مصادرى عنهم تسجيلاً لسبقهم واعترافاً بفضلهم .

وشكرى البالغ للأصدقاء الأجلّاء الذين زودونى بالصور الخطِّية لما لديهم من رسائل العقاد ، جادوا بها متفضلين كرماء ، وهم الأستاذ المستشار رابح لطفى جمعه ، والأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم ، والأستاذ أحمد إبراهيم الشريف ، والدكتور عبد الفتاح الديدى .

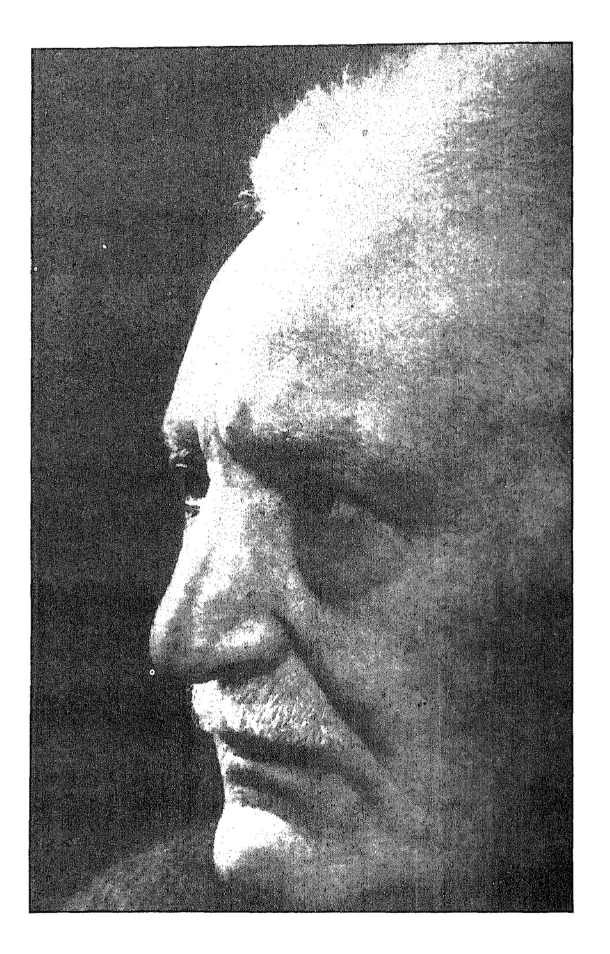
ويطيب لى أن أسجل لهم جميعاً فضل المشاركة فى هذه التحية التى نرفعها إلى روح العقاد تقديراً لعبقريته وتخليداً لذكراه .

وسلامٌ على العقاد فى الخالدين ، وسلامٌ عليه فى علّيين .

محمد محمود حمدان

القاهرة ، الدقى

فى أول ديسمبر ١٩٩٦





الرسائل

رسالة إلى
الأستاذ محمد لطفى جمعه (*)
(١٨٨٦ - ١٩٥٣)



[كان فى آدابنا الحديثة فراغ حاول فريق من الأدباء أن يملؤوه ، فكتب الأديب عيسى اسكندر معلوف فصلاً فى الهلال الأغر ، ثم دوّن الألمعى أحمد حافظ عوض فصلاً فى مجلة الموسوعات ، ثم أقبل الكاتب العبقرى عباس محمود العقاد ففسّر بعض رباعيات الخيام فى جريدة الدستور] .

محمد لطفى جمعه

« رباعيات الخيام »

(مجلة البيان ، مارس ١٩١٢)

(*) انظر ترجمته فى :
- الأعلام للزركلى (٧/١٥ - ١٦) .
- موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٤٣٩)

وترجمة حياته وسيرته الأدبية مستوفاة فى :
- كتاب « محمد لطفى جمعه » ، سلسلة الأعلام رقم (٥) ، القاهرة ١٩٧٥
- كتاب « محمد لطفى جمعه وهؤلاء الأعلام ١٩٠٠ - ١٩٥٠ » ، القاهرة ١٩٩١ ، وكلاهما لنجله المستشار الأديب رابح لطفى جمعه .
- كتاب « محمد لطفى جمعه فى موكب الحياة والأدب » لأحمد حسين الطماوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٣



محمد لطفى جمعه

(سنة ١٩١٢)

[.. أوّل صورة منشورة له تمثله شابًا عائدًا من فرنسا ، ملتحياً ، يرتدى روب المحاماة ، يده تقبض على كتاب ، وهو كتاب « الأمير » لماكيافيللى . والصورة فى صدر الترجمة العربية التى وضعها للكتاب ، لا عجب أن اختار الماكيافيلية ، لا حبًا فيها ، ولا إيمانا بها ، بل يريد أن يلقى بحجر فى مستنقع ، أن يُفاجئ ويُدهش ..]

(يحيى حقى - ناس فى الظل ، ص ١٥٤)

الرسالة

١٩١٢/١/٢١

حضرة الأخ
أبثكم تحياتى وأشواقى

وبعد ، فأذكر أنى سمعت منكم يوم لقيتكم أنكم تسرّون بتقديم المساعدة إلىّ عند الحاجة إليها . ولقد سمعت مثل هذا الكلام من كثيرين غيركم فما خطر لى أنى سألجأ يوماً إليهم أو أعوّل فى شئ عليهم . ولكننى فهمت من كلمتكم غير مافهمت من كلماتهم . وبعثت إليكم اليوم بهذا الخطاب لأقول لكم أنى فى حاجة إلى تلك المساعدة . بل لا أظن أن هناك شيئا ممّا يحتاجه الحىّ فى حياته لستُ أنا فى أشدّ الحاجة إليه الآن ، وكفى بذلك تصريحاً وإيضاحاً .

وقد شغلت منذ أسابيع بالسعى لعملٍ لو نجحت فيه لما كنت منتفعاً منه قبل شهرٍ على الأقل ، فإن كانت مساعدتى فى وسعكم فإنى أنتظرها منكم اليوم والسلام .

من أخيك المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر : كتاب « محمد لطفى جمعه وهؤلاء الأعلام ، ١٩٠٠ - ١٩٥٠ » تأليف الأستاذ رابح لطفى جمعه ، نشر دار الوزان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩١ (صفحة ٢٩٣)
وقد تفضل أخى الأديب الفاضل الأستاذ المستشار رابح لطفى جمعه فزوّدنى بصورة ضوئية من رسالة العقاد بخطه ، فله خالص الشكر والامتنان .

٢١/١/١٩١٤

حضرة الاخ

ابثكم تحياتى واشواقى

وبعد فانى اذكر انى سمعت منكم يوم لقيتكم انكم

تسرون بتقديم المساعدة الى عند الحاجة اليها . ولقد

سمعت مثل هذا الكلام من كثيرين غيركم فما خطر

لى انى سألجأ يوما اليهم أو أعول فى شىء عليهم

ولكنى فهمت من كلمتكم غير ما فهمت من كلماتهم .

وبعثت اليكم اليوم بهذا الخطاب لاقول لكم انى

فى حاجة الى تلك المساعدة . بل لا أظن أن

هناك شيئا مما يحتاجه الحى فى حياته لست أنا

فى أشد الحاجة اليه الآن ، وكفى بذلك تصريحا

وايضاحا . وقد شغلت منذ أسابيع بالسعى

لعمل لو نجحت فيه لما كنت منتفعا منه قبل شهر

على الاقل . فان كانت مساعدتى فى وسعكم

فانى انتظرها منكم اليوم والسلام

من اخيك المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

يرجع تاريخ هذه الرسالة إلى سنة ١٩١٢ ، وعلى وجه التحديد إلى اليوم الحادى والعشرين من يناير من تلك السنة . وهى بهذا أقدم ماتضمّه هذه المجموعة من رسائل العقاد . ونحن ندين بفضل نشرها وإظهارها لأول مرّة – بعد أن ظلت مطوية محجوبة قرابة ثمانين سنة – للأستاذ رابح لطفى جمعه فى كتابه القيم الذى أصدره عن والده بعنوان « محمد لطفى جمعه وهؤلاء الأعلام » وصدر فى سنة ١٩٩١ . وقد جاءت هذه الرسالة فى سياق الفصل الذى خصّصه المؤلف للكلام عن « العقاد والمازنى » من خلال علاقتهما بالأستاذ لطفى جمعه ، استناداً إلى ماكتبه عنهما فى مذكراته المخطوطة .

وفيما يتصل بالعقاد ، يبدأ الأستاذ رابح بالإشارة إلى بداية العقاد الصحفية ، فيقول إنه « بدأ أولى خطواته فى العمل بالصحافة منذ سنة ١٩٠٧ ، وكان لطفى جمعه إذ ذاك يعمل محرراً بجريدة اللواء لسان حال الحزب الوطنى على عهد زعيمه المغفور له مصطفى كامل . ويذكر لطفى جمعه فى مذكراته المخطوطة عن هذه الفترة أنه توسّط لدى إدارة الجريدة فى نشر بعض المقطوعات الشعرية للعقاد ، فكان أول مانشر له مقطوعة شعرية نشرتها له اللواء فى سنة ١٩٠٧ من قبيل تشجيع الأدباء الناشئين » .

ثم يشير الأستاذ رابح إلى اشتغال العقاد فى تحرير صحيفة « الدستور » منذ صدورها فى نوفمبر سنة ١٩٠٧ ، إلى أن توقفت فى أواخر سنة ١٩٠٩ ، والصحيح أنها توقفت عن الصدور لأول مرة فى منتصف سنة ١٩١٠ ، حيث نشر العقاد آخر مقالاته بها عن « فلسفة النشوء والارتقاء » فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ يونيه من تلك السنة .

ويستطرد الأستاذ رابح قائلاً : « وبتوقف الدستور عن الصدور أصبح العقاد بلاعمل وانقطعت صلته بالصحافة . وفى تلك الفترة لجأ العقاد إلى صديقه لطفى جمعه ليتوسط له للعمل فى بعض الصحف والمجلات وكتب إليه فى سنة ١٩١٢ ، يقول (ثم أورد نصّ الرسالة المتقدمة كما نشرناها) .. وقد بادر لطفى جمعه إلى

تقديم يد العون للعقاد ، فتوسّط لدى عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان التى كان قد صدر العدد الأول منها بالقاهرة فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩١١ .. وكان لطفى جمعه حينذاك ينشر فى هذه المجلة فصولاً مترجمة من كتاب « الواجب » لجول سيمون ، كما ينشر دراسة عن عمر الخيام مع ترجمة لبعض رباعياته .. وبدأ العقاد سنة ١٩١٢ ، يكتب مقالات أدبية فى مجلة البيان » .

ثم يقول الأستاذ رابح بعد استطراد غير بعيد : « وبالرغم من أن لطفى جمعه قد ساعد العقاد على ماسبق أن أوضحنا فتوسّط له تارة فى نشر بعض مقطوعاته الشعرية باللواء سنة ١٩٠٧ ، ثم توسط له تارة أخرى سنة ١٩١٢ لدى صاحب مجلة البيان لكتابة بعض المقالات إبّان الغمرة أو الأزمة التى كان يمرّ بها ، إلاّ أن العقاد لم يحفظ للطفى جمعه هذه اليد . ذلك أن لطفى جمعه كان قد ترجم أقوال نابليون المأثورة سنة ١٩١٢ تحت عنوان « حِكَم نابليون » وكتب مقدمة للكتاب فى مصر الجديدة فى مارس سنة ١٩١٢ ، ودفع به إلى الناشر ؛ مكتبة التأليف ؛ حيث تم طبعه فى ٥ مايو سنة ١٩١٢ . وكان صديقه إبراهيم رمزى (*) الكاتب المسرحى المعروف قد نقل هذا الكتاب بعد أن قدّم لطفى جمعه كتابه إلى المطبعة ، فقابله رمزى وتحدّث معه فى هذا الشأن ووسّط الشيخ عبد العزيز جاويش ليرجوه أن يعدم ماتمّ طبعه من الكتاب .. يقول لطفى جمعه : فعجبت من ذلك وقلت له – أى للشيخ جاويش – إن الكتاب قد طبعته مطبعة التأليف ولا أملك أن أسحبه بعد طبعه ، فغضب صديقى إبراهيم رمزى وأوعز للأديبيْن الفاضلين عباس العقاد وإبراهيم المازنى أن يكتبا ضدّ كتابى ففعلا أثناء غيبتى سنة ١٩١٢ ، فى أوربا ، ولما كان الشيخ جاويش مايزال فى مصر سنة ١٩١٢ ، على ما أتذكر ، فقد كان كتاب رمزى « كلمات نابليون » يطبع عنده فى مطبعة الهداية ، ولذلك سعى عندى حفظاً لمصلحته ومصلحة صديقى إبراهيم رمزى ... وانتهز صديقى وزميلى فى المدرسة إبراهيم الفرصة ليؤلّب علىّ العقاد والمازنى ، فنشرا مقالاتٍ قاسيةً فى نقد كتابى فى جريدة « الجريدة » ، وقد وصلتنى أعداد منها فى أوربا فى مدينة بوفرت حيث كنت أقيم فى صيف تلك السنة » .

* * *

(*) (١٨٨٤ – ١٩٤٩) ، وله ترجمة وافية فى كتاب (أدب ابراهيم رمزى) تأليف إبراهيم درديرى ، القاهرة (١٩٧١)

هذا الذى تقدّم نقلناه بحروفه ، مع اختصار يسير لا يخلّ بالسياق ، عن كتاب الأديب الفاضل الأستاذ رابح لطفى جمعة . وأحسب أن الأمر فيما يتعلق بالوقائع التى سردها الأستاذ رابح بحاجةٍ إلى شئ من التوضيح والبيان . فنحن قد نتفق معه فى أمر وساطة الأستاذ لطفى جمعه لنشر مقطوعات شعرية للعقاد فى صحيفة اللواء سنة ١٩٠٧ ، فقد كان العقاد آنذاك « كاتباً ناشئاً خامل الذكر » كما يقول هو عن نفسه فى صدقٍ [١] ، ولم تكن صحيفة الدستور قد خرجت بعدُ إلى الوجود ، وكان الأستاذ لطفى محرراً مرموقاً من محررى اللواء وعضوًا فى الحزب الوطنى وعلى صلةٍ وثيقةٍ برئيسه الزعيم مصطفى كامل . على أننا نعلم ، حسب رواية العقاد ، أنه لم يُنشر له باللواء غير مقطوعة وحيدة قالها فى تشييع اللوردكرومر عند خروجه من مصر [٢] ، فلعل الأستاذ لطفى جمعه أن يكون قد ساعد فى نشرها .

أما فيما يتعلق بالوساطة لنشر مقالات للعقاد فى مجلة البيان ، فقد كان أول مانشر للعقاد بالمجلة مقاله عن « الحب والزواج » المنشور بالعددين الخامس والسادس من السنة الأولى للمجلة ، والصادرين معاً فى جزء واحد بتاريخ المحرم سنة ١٣٣٠هـ (ديسمبر ١٩١١ ، ويناير ١٩١٢) . والمعروف أن مجلة البيان كانت تصدر فى أوائل الشهور الهجرية ، وكان أول شهر المحرم سنة ١٣٣٠ هـ ، يوافق اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ١٩١١ ، أى أن هذا العدد صدر قبل تاريخ رسالة العقاد إلى الأستاذ لطفى جمعه ؛ وهو اليوم الحادى والعشرون من يناير سنة ١٩١٢ ؛ بشهر كامل تقريباً ، مما ينتفى معه أن يكون الغرض من الرسالة طلب الوساطة لنشر مقالات بالمجلة ، وأن الغرض منها كان شيئًا آخر .

ومن محاسن الاتفاق أن يكون أمامى الساعة وأنا أكتب هذه السطور ، العدد الثامن من السنة الأولى من مجلة البيان ، والصادر فى الثلاثين من شهر ربيع الأول

---

(١) العقاد : رجال عرفتهم ، كتاب الهلال ، اكتوبر ١٩٦٣ ، صفحة (١٦١)

(٢) العقاد : يوميات ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٤٥ ، ويقول العقاد عن هذه القصيدة : « لا أذكر منها إلاّ أننى قلت مامعناه : إن الشهور التسعة التى مضت بعد حادث دنشواى هى أشهر الحمل التى تمخضت فيها الليالى عن سقوطك وخروجك من هذه الديار » . ولم يتيسر لنا البحث عن هذه القصيدة فى مجلدات صحيفة اللواء

سنة ١٣٣٠ هـ (مارس ١٩١٢) ، وفيه للأستاذ العقاد مقال مطوّل فى نحو عشر صفحات من صفحات المجلة تلخيصاً لبعض فصول كتاب « الأكاذيب المقررة فى المدنيّة الحاضرة للنقادة الاجتماعى الأشهر ماكس نورداو » ، وهو العدد نفسه الذى يشتمل على الدراسة التى أشار إليها الأستاذ رابح عن رباعيات الخيام للأستاذ لطفى جمعه . وفى هذا المقال يقول الأستاذ لطفى : « كان فى آدابنا الحديثة فراغ حاول فريق من الأدباء أن يملؤوه فكتب الأديب عيسى اسكندر معلوف فصلاً فى الهلال الأغر ، ثم دوّن الألمعى أحمد حافظ عوض فصلاً فى مجلة الموسوعات ، ثم أقبل الكاتب العبقرى عباس محمود العقاد ففسّر بعض رباعيات الخيام فى جريدة الدستور » ، وهى شهادة طيّبة من الأستاذ لطفى جمعه لعقاد سنة ١٩٠٧ ، أو لعقاد الثامنة عشرة يومذاك .

أما السبب الذى ذكره الأستاذ رابح ، والذى من أجله قرف العقاد بالجحود ، استناداً إلى ماجاء فى مذكرات والده المخطوطة ، وهو أن العقاد والمازنى[(١)] نشرا مقالاتٍ قاسيةً فى نقد كتاب « حكم نابليون » بإيعازٍ من صديقهما وصديقه إبراهيم رمزى ، فنحن نستبعد أوّلاً أن يكون العقاد والمازنى قد كتبا ماكتبا بإيعازٍ من أحد ، ولم يتيسر لى الاطلاع على مقال الأستاذ المازنى فلا أعرض له هنا . وبالنسبة للأستاذ العقاد فقد كان المقال الوحيد الذى كتبه فى الموضوع هو مقاله المنشور بصحيفة الجريدة تحت عنوان « كلمات نابليون – بحث انتقادى تاريخى أدبى سيكولوجى » [(٢)] ، وقال فى مستهلّه : « بين يدىّ الآن ترجمتان لكتابٍ واحدٍ إحداهما كلمات نابليون كما سمّاها إبراهيم أفندى رمزى والأخرى حكم نابليون كما سمّاها لطفى أفندى جمعه . ولو أننا فى غير مصر لعددنا ظهور هاتين الترجمتين فى شهرٍ واحدٍ برهاناً على رواج الأدب وإقبال القراء ، ولكننا نعلم أننا فى هذا البلد فليس فى الأمر إلاّ أنه محض اتفاق غير مقصود » . ثم استطرد إلى المقارنة بين الترجمتين على وجه الإجمال ، فأشار إلى المزايا والعيوب التى تراءت له

---

(١) لم ينشر الأستاذ المازنى نقده فى الجريدة ، بل نشره فى مجلة البيان بعددها العاشر الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ هـ (مايو ١٩١٢) ، وقد تناول فيه الترجمتين معاً .

(٢) صحيفة الجريدة ، العدد الصادر فى يوم الأحد الموافق ٢٢ رجب سنة ١٣٣٠ هـ ، ٧ يولية سنة ١٩١٢ ، صفحة (١ ، ٢)

فى كلتا الترجمتين من حيث أسلوب التناول وطريقة الترجمة . والواضح من جملة المقال – وسننشره كاملاً بعقب هذا التعليق – أن العقاد اتخذ من عرضه للترجمتين مدخلاً إلى تناول شخصية نابليون بالنقد والتحليل لبيان حقيقة مايقال عن « عظمته » الشخصية أو عن عبقريته العسكرية ، فإذا هو عنده ، كما قال ، « رجلٌ من مجانين المطامع أولئك الذين تملك عليهم الأثرة عقولهم فلا تدع فيها موضعاً لغير أطماعهم وشهواتهم » . ولم يتردد العقاد فى أن يعلن خصومته الصريحة لنابليون ومن هم على شاكلته من طغاة التاريخ ، وهى خصومة رأيٍ وموقف رآه ووقفه العقاد على مدار حياته ، مما حدا بالأستاذ أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ – ١٩٦٣) مدير الجريدة ، وهو يتناول من العقاد مقاله ويلقى عليه نظرة سريعة قبل أن يبعث به إلى المطبعة ، أن يقول له مبتسماً : « ألا تخاف من نابليون يابنى ؟! » [1] .

وقد عاد العقاد فسجّل هذا الرأى فى مقدمة كتابه « هتلر فى الميزان » الذى أصدره فى سنة ١٩٤٠ ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث أشار إلى مقاله القديم فى الجريدة ، ونقل بعض فقراته مؤكّدًا موقفه فى قضية الطغيان والحرية الإنسانية ، ويقرّر ، عوداً على بدء ، أنه خصم قديم فى هذه القضية ، ويقول بنصّ عبارته : « منذ نيف وثلاثين سنة كان لى شرف الخصومة فى هذه القضية الخالدة ، وكنت أبحث فى أعماق نفسى فلا أحسّ فيها غير المقت والازدراء لأولئك الذين سموّهم عظماء التاريخ لأنهم طلبوا المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح ، وقاسوا عظمتهم بمقدار احتقارهم للإنسان » [2] .

وبعد ، فلعلنا نتفق على أن نقد العقاد لنابليون ، بالغةً مابلغت قسوته ، ليس نقداً لكتاب الأستاذ لطفى جمعه على نحوٍ من الأنحاء ، وإن كان قد أخذ عليه تعاطفه الشديد مع نابليون ودفاعه عنه . وتلك قضية لاجرم تختلف فيها المواقف وتتباين الآراء .

* * *

ونعود إلى رسالة العقاد إلى الأستاذ لطفى جمعه فنقول إنها توحى بمضمونها

---

(١) العقاد : رجال عرفتهم ، صفحة (٢٣٨) .

(٢) العقاد : هتلر فى الميزان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٠ ، صفحة (٣)

وتكاد أن تصرح به تصريحاً صريحاً لامواربة فيه ولا خفاء ، وهو طلب المساعدة العاجلة التى كان العقاد فى أشد الحاجة إليها ، والتى لا يظن – كما يقول – « أن هناك شيئاً مما يحتاجه الحىّ فى حياته لستُ أنا فى أشدّ الحاجة إليه الآن » ، وماعسى أن يكون مايحتاجه الحىّ فى حياته أشدَّ الحاجة لوقته وساعته ، لا لغدٍ أو بعد غد ، غير « لقمة العيش » التى تسد الرمق وتقيم الأود وتحفظ الحياة ؟!

كلا ! لم يكن العقاد يومها فى حاجةٍ إلى وساطةٍ لعملٍ يتولاه بعد أيام أو شهور ولا ينتفع منه لوقته وساعته بما هو فى أشدّ الحاجة إليه ، وإنه ليذكر فى رسالته – تأكيداً لذلك – أنه شُغِل « قبل أسابيع » بالسعى لعملٍ لو نجح فيه لما كان منتفعاً منه قبل شهرٍ على الأقل ، فليست حاجته إلى المساعدة إذنْ بالتى تحتمل الإرجاء والانتظار .

فالذى لاشك فيه عندنا أن العقاد إنما كان يعنى المساعدة « المادية » البحتة ، وهو يواجه تلك الغمرة ، أو الأزمة ، كما سمّاها الأستاذ رابح . ولا غضاضة ولا ضير على العقاد – وهو يواجه تلك المحنة – أن يطلب المساعدة العاجلة من صديق يتوسّم فيه النجدة وكرم النفس ، ويعلم أنه أهلٌ لأن يعوَّل عليه فى تحقيق هذا المطلب الملحّ بغير وناء .

وأحسب أن الأستاذ لطفى جمعه ، رحمه الله ، فهم الرسالة على وجهها الصحيح ، وأنه مهما يكن ماكان من استجابته لها – وهو الأرجح – أو اعتذاره عنها – وهو بعيد – قد أبت له مروءته إلاّ أن يطوى رسالة العقاد إليه مدى حياته ، فلم يعلنها ولم يُذِعْ بها فى حديثٍ أو مقالٍ ، بل أنزلها فى موضع السرّ منه فى حرزٍ حريز وموئل عزيز ، وتلك شيمة النبلاء .

* * *

كلمات نابليون

بحث انتقادى تاريخى أدبى سيكولوجى (*)

بين يدى الآن ترجمتان لكتاب واحد إحداهما كلمات نابليون كما سمّاها إبراهيم أفندى رمزى والأخرى حكم نابليون كما سمّاها لطفى أفندى جمعة .

ولو أننا فى غير مصر لعددنا ظهور هاتين الترجمتين فى شهرٍ واحد برهاناً على رواج الأدب وإقبال القراء . ولكننا نعلم أننا فى هذا البلد فليس فى الأمر إلاّ أنه محض اتفاق غير مقصود .

قلبت من كل كتاب صفحات على غير ترتيب فرأيت الكاتبين قد نهج كلاهما نهجاً مبايناً لنهج صاحبه فى كل أجزاء الكتاب .

فأما رمزى أفندى فقد توخى الدقة فى مراعاة الأصل حرفاً حرفاً فى بعض الكلمات . وأما لطفى أفندى فقد تساهل فى التعريب فكان ربما زاد الجملة أو الجملتين على عبارة نابليون على سبيل الشرح والتفسير دون أن يضع الزيادة بين قوسين أو يشير إليها بما يفرق بين كلام نابليون وكلامه . هذا على أنه نبذ بعض كلمات الكتاب ، وربما كان فيما تركه ماهو أهم مما عرّبه . ويظهر أن الإقامة فى دار العجمة قد أنست لطفى أفندى قواعد لغته فوقع فى أغلاط نحوية لا يحسن أن يؤخذ كاتب عربى بمثلها . ورأيت فى كتابه تفاوتاً فى الأسلوب بين الركاكة والسلاسة والغموض والوضوح يدل على أن التعريب لأكثر من كاتب واحد . فإذا أضفت إلى ذلك تقديم بعض الفصول المتأخرة على ماقبلها علمت صدق ذلك ، وأنهم كانوا يطبعون مانجز من التعريب أولاً فأولاً إسراعاً فى الطبع وإظهار الكتاب .

فكان ينبغى أن يشير لطفى أفندى إلى شركائه فى عمله ولا غضاضة عليه فى ذلك ولا على شركائه . على أننا نؤاخذ صاحبنا بما هو أكبر من ذلك وهو إغفاله

(*) نشر بصحيفة « الجريدة » فى يوم الأحد الموافق ٢٢ رجب سنة ١٣٣٠ - ٧ يولية سنة ١٩١٢

كل مايلمح إلى أن الكتاب منقول عن الانكليزية فقد ضرب صفحاً عن اسم جامعه وحذف مقدمته التى افتتح بها صفحاته . ثم كتب عليه أنه « بقلم محمد لطفى جمعه » ، وذلك نقص ظاهر إن كان على غير عمد منه ، فأما إن كان مقصوداً فهو عيب لا يغتفر .

وقد افتتح رمزى أفندى ترجمته بمقدمة شرح فيها سيرة نابليون على طريقة التاريخ وفصل فيها بعض وقائعه بقدر ما يسع المقام من التفصيل .

أما لطفى أفندى فقد جرى فى مقدمته المسهبة على طريقة النقد التاريخى فأجاد فى أسلوبه ولكنه لم يصب على ما أرى .

ولو أنه وقف كصاحبه عند حد سرد الوقائع التاريخية لما ساغ لى أن أجاذبه الرأى ولكنه أراد أن يحكم على نابليون . وذلك بحث تختلف فيه الأقوال وتتشعب الآراء فلا بأس أن أناقشه بعض أقواله وآرائه .

أرى لطفى أفندى شديد الإعجاب بهذا الرجل ، فهو يحسب له من الحسنات ماجاء على يديه عفواً ثم يقرنه إلى سيئاته التى اقترفها قاصداً متعمداً ويخرج من ذلك على أن الرجل من كبار الرجال الذين نفعوا نوع الإنسان ووطأوا السبيل لارتقائه .

فمن سيئاته التى عدّها عليه قلبه نظام الحكم فى فرنسا ثلاث مرات ليصل إلى العرش ، وقتل الأشراف ونفى أصدقائه وتضييقه على الحرية الاجتماعية والسياسية بحيث لم يكن فى عهده إلاّ الجريدة الرسمية . وإهلاكه ألوف الألوف من جنود فرنسا وجنود الأمم الأخرى ، وتطليق جوزفين زوجته طمعاً فى زواجه بابنة امبراطور النمسا .

وهى سيئات يرى القارئ أن كلا منها مقصود لغرض بعده وتجتمع كل تلك الأغراض فى تحقيق مطامع نابليون فى السلطة والاستبداد بالأمر .

أما حسناته فى عرف صاحبنا فهى تحرير إيطاليا ومصر ونشر مبادئ الثورة الفرنسوية فى أوربا وسنّ القانون المدنى وتأسيس مدرسة باريس الجامعة وإنشاء بنك فرنسا وأنه بعث النخوة فى أوربا بحروبه وأحسن سيا[illegible]سا وتدبير حالتها المالية .

فإذا ردّد القارئ نظره بين تلك الحسنات علم أنها حسنات جاء أكثرها اتفاقا ومابقى منها فلأغراض وضعها نابليون نصب عينه فلو عنّ له أن يسعى إليها بأشنع الأعمال وأنكر الجرائم لما تردد فى إتيانها .

فما كان تحرير ايطاليا ومصر من أرب نابليون ، ولا كان من أربه نشر مبادئ

الثورة الفرنسوية ، وكيف ينشر مبادئ الثورة من قوّض دعائم الحكم الجمهورى وقعد للصحف والمجامع بالمرصاد ثم تفرّد بالحكم جبّاراً لا يراجع له أمر ولا يُسأل عما يفعل ؟

أما القانون المدنى فهو الحسنة التى لا أستغرب أنْ لا ينساها لطفى أفندى بصفته محامياً . على أنى لا أعلم كيف يعدّ هذا القانون من حسنات نابليون وهو إنما سنّه ليحكم به فرنسا . وأغرب من ذلك أن يحمد نابليون على تدبيره مال فرنسا وما كان يحسن تدبيره إلاّ ليستنزفه فى حروبه ، وأغرب من هذا وذاك أن يحسب لنابليون فضلاً على أوربا أنه حرّك نخوتها بعدوانه عليها كأن من يصفع رجلاً فيحرك نخوته يكون ذا فضلٍ عليه يستوجب منه الإطراء والإعجاب .

لا إخال أن من تلك الحسنات ماهو جدير بالذكر غير تأسيس جامعة باريس وهى حسنة تضيع فى تلك الذنوب كما يضيع المطر العذب فى البحر الأجاج .

لو كان نابليون ممن يحررون البلاد المستعبدة لما كان موقفه فى وطنه (كورسيكا) ذلك الموقف الذى كان يتغير كلما تغيرت مناحى أطماعه فانشق فى بادئ الأمر على عائلته وناصر (باولى) حاكم الجزيرة فى طلب استقلالها ، ثم يئس من الاستيلاء على الجزيرة بهذه الوسيلة فعمد إلى تنظيم فرقة كان يرجو أن يستخدمها فى هذا الأرب و حتى إذا أبت عليه الحكومة الفرنسوية ذلك ، لبث يترقب الفرصة السانحة . فلما شجر الشقاق بين المتطوعين والكهنوت اتخذ ذلك ذريعة إلى مهاجمة عاصمة وطنه والاستيلاء على الجزيرة من هذه الطريق ولكنه أخفق فهرب إلى أوربا . ثم عاد إلى وطنه فكان فى هذه المرة فى حزب ساليستى ضد (باولى) صديقه الأول . فلما علا طالع مجده فى فرنسا عمل على ضم وطنه إليها بعد أن كان يدبر المكيدة ضد المكيدة لينفصل به عنها .

هذا عمل نابليون فى وطنه فكيف يرجى منه أن يكون أخلص قلباً لغيره من أوطان المستعبدين .

* * *

ليس الإعجاب بنابليون إلاّ من نوع الإعجاب بأبى زيد الهلالى – كلاهما لا يجيش إلاّ بصدور العامة التى لا تعرف من أنواع العظمة إلاّ ماكان محفوفاً منها بالطبول والزمور .

يعظم مثل نابليون فى عيون الهمل بقدر استهانته بأرواح الناس وتكبر قيمة حياته بمقدار استصغاره لحياتهم وليس هو من قبيل أولئك العظماء الذين يكبرون وزان مالهم من المقدرة على تهذيب الناس وإصلاح شؤونهم وليس فى طاقة العامى أن يتصور كيف أن رجلاً يميت الألوف لا يكون أهلاً للإجلال والتبجيل وإن الإنسانية لتكونن بغيًا هلوكًا إذا هى أكبرت رجلاً يحتقرها ويرفع نفسه عنها .

نابليون رجل من مجانين المطامع أولئك الذين تملك عليهم الأثرة عقولهم فلا تدع فيها موضعاً لغير أطماعهم وشهواتهم ولا يدور بخلدهم إحساس لغيرهم أو أمل غير أملهم فلا يحسبون أن فى الوجود أرواحًا تجب صيانتها غير أرواحهم أو أن لسواهم أملاً يحرص عليه كما أن لهم أمانى وآمالا .

تلك زمرة تجمع فيها من كل أمة فرداً أو أفرادًا فيلتقى فيها تيمورلنك وهولاكو بقيصر ونابليون من الوالغين فى دماء البشر .

ولئن كان لتيمور وأضرابه عذر من همجيتهم فإن سيئات نابليون تزيدها المدنية شناعةً وقبحًا . ولسوء حظ هذا الجبار أن جرائمه الدموية لم تتنوع ولو فى شكلها تبعاً لتنوع مظاهر المدنية من عهد تيمور إلى عهده . بل كانت مثلها شكلاً وكنهًا ، فجاء نابليون تيمور أوربيًا ليس إلاّ .

نزل نابليون بيافا فأعمل ضباطه وعساكره الذبح والسلب فى أهلها ، فلما كلّت أيديهم أمر ببقية أولئك المساكين فجمعوا فإذا هم ألفا نفس أو نحو ذلك . ثم أمر بهم فصفوا على شاطئ البحر صفا فأطلق عليهم قذائف النار فحصدتهم حصداً .

فأى عذر يمحو هذا الذنب وأىّ حسنة فى قدرة إنسان لا يمحوها ذنب كهذا .

لقد جعلوا نابليون مثالاً لقوة الإرادة ، ويظهر أنها أقل صفات نابليون قبولاً للمنازعة فى رأى الناس . على أنى لا أظن أن رجلاً يأتى مثل هذه الأعمال رجلٌ مطلق الإرادة أو مختار بأتمّ معنى الاختيار .

الإرادة عند جماعة السيكولوجيين قوتان : قوة دافعة تغرى صاحبها بالإقدام وتهون عليه العوائق ، وتكون هذه القوة على نهايتها عند المجنون الذى لا يكاد يهم بأمر إلاّ فعله ، ولا يتضح له نهج إلاّ سلكه غير متدبر فى العواقب ولا حاسب حساب العوائق .

وقوة مانعة تقعد بالنفس عن كل ماتهم به فلا يكاد صاحبها يقدم على أمرٍ لفرط توجّسه وكثرة مايمثل له وسواسه من أسباب الفشل والخيبة ، وهى عند الممرورين الموسوسين على أشد ماتكون .

والإرادة الصادقة هى الموازنة بين هاتين القوتين والمداورة بينهما آناً إلى هذه وآناً إلى تلك كما تقتضى به الحال . وأتم أشكالها حسن الترجيح بين الدواعى والموانع وتغليب عامل الإقدام فى موطن الإقدام أو عامل الإحجام فى موضع الإحجام .

وماكان نابليون قوى الإرادة بهذا المعنى . ولكنه كان رجلاً قوىَّ طموح الأمل شديد اندفاع المطامع حتى لقد ينسى وهو ناهض إلى أمله مالا ينبغى أن ينساه المجرب الحكيم ، ولولا ذلك لما صرعته مطامعه صرعات آخرها تلك الصرعة التى أوقعته فى يدى هدسن لو .

* * *

ولشدّ ما رأيت صاحبنا لطفى أفندى يتسخط عند ذكر « هدسن لو » فيصمه بالنذالة والخسّة واللؤم وغير ذلك من ذميم الصفات .

والنفس من طبعها تعطف على المعدوّ عليه إذا عرفت له شخصاً وذاتًا ولكنها قد لا تتحرك لجناية لا تعرف لمن وقعت عليه إحساساً يحرّك منها مثل ذلك الإحساس عندها . ومن هذا القبيل الجرائم التى تقع على الأمم والجماهير .

إنّما تتألم النفس للنفس وتتحرك العاطفة للعاطفة . والقصّاص إذا أراد أن يعطف القراء إلى مايكتب خلق لهم بطلاً فنفخ فيه الحياة التى يحبونها وشارك بين عواطفه وعواطفهم وجمع أهواءه إلى أهوائهم ثم أضحكه وأبكاه وأسعده وأشقاه . فمهد السبيل بين نفسه ونفوسهم وجعل له منهم رحماً وقربى .

وإن هذا القصاص ليميت بطله هذا فيبكى القارئ ويحزنه ثم يأتيه المؤرخ فيلقى إليه نبأ ظالم أردى العشائر وأباد الأرواح أو يورد له حادث حريق أودى بالألوف وأهلك المدن والقرى فلا يصيب منه إلاّ روعة الدهش والاستغراب وقلّ أن يجم وجوم الحزن أو تختلج فى نفسه خلجة أسف على ذلك المصاب العميم .

وتلك سذاجة فى الطبع البشرى ينبغى أن يتنصل منها المؤرخ الناقد ساعة يعمد إلى تقدير سيئات الملوك والقواد أو الحكم على أخلاق أصحاب الجرائم الكبرى فى التاريخ .

وكنت أودّ أن لا يقع صاحبنا فى هذه الغلطة ولكنه وقع فيها . فإذا به يتوجع لمصاب نابليون ولا يذكر أنه ذلك الجلاد العظيم الذى أزهق من الأرواح مالم يزهقه وباء من أوبئة القرون الوسطى ، لأن وجوه قتلاه تتوارى فى غمار الجحافل ووحدانهم تنطوى فى رقم الألوف فلا تظهر وراءه أشلاؤهم المقطّعة ورؤوسهم المصدعة وآمالهم المودّعة وعائلاتهم المروّعة . ثم تراه ينصب على المسكين « لو » فينبزه برذيل الألقاب لأننا نلمح فى رهبوت النصر الدموى شخص ذلك الجزار الذى بالغ « لو » فى التضييق عليه ، ونرى له تلك الصورة التى يلوح فيها كما وصفه لطفى أفندى جمعه « بالرأس القوى ذى الشعر (*) الأسود الحالك المنسدلة منه خصلة على الجبين العريض العالى والوجه الشاحب المستطيل والعينين الوقادتين الدعجاوين العميقتين والأنف الدقيق الذى ليس بالطويل ولا بالقصير إلخ » .

كان حقًّا على « هدسن لو » أن يعبد فى نابليون تلك العظمة الأشعبية كما عبدها أولئك الهمل الذين ما أحسب بونابرت قد أرخص حياتهم حين سحق نفوسهم الترابية تحت قدميه مرضاة لتلك الأطماع الجهنمية وتلك المآرب التى ملأت دماغه فكانت بلاء على العالم وعليه .

كان حقا على (لو) أن يقابل كبرياء نابليون بالذلة وشموخه بالسجود ، وإلاّ فهو نذل حقير وعار كبير على أمته وبلاده .

ثم إنه ماكان يحسن بانكلترا أن تقيم على ذلك السجين حارساً يراقبه ، بل لقد كانت تحسن صنعاً لو أنها خلّت بينه وبين الشاطئ فهرب من القدّيسة هلانة كما هرب من جزيرة البا ثم يستوى على عرش فرنسا فيعيد على العالم غاراته ويشغل الأمم بوقائعه وغزواته ، ويفتح من الممالك والأقطار مالم يفتحه قبل نفيه ، فيضيف مجداً إلى مجده ويصير نابليون الأعظم بعد أن كان نابليون العظيم ، وأى فخر للإنسانية أكبر من أن يظهر فيها هذا الفرد القادر ! وينبغ منها واحد يستطيع أن يردى الملايين من أبنائها فى مدى عشرين سنة !

هذا هو المجد المبتغى ! أما السلام العام وطمأنينة العالم فذلك مالا يلتفت إليه فى جنب هذا الفخر الدائم !!! فدى هذا العالم لتلك الخصلة المنسدلة على الجبين العريض العالى !! ثم يسعد الإنسانية حظها بتسعةٍ من أمثال هذا البطل العظيم

(*) فى الأصل المطبوع : العرش ، وهو خطأ مطبعى على التحقيق .

فيقضون على بقية من أفلت من يده ونجا من حسامه . وتشاء رحمتهم ورفقهم أن يطلقوا من الناس فردًا يقف على جدث الإنسانية ويصيح بصوت عالٍ لا يسمعه أحد : « الآن تموتين سعيدة أيتها الإنسانية فقد أنجبت من أبنائك عشرة بلغ من قدرتهم أن يقضوا على أبنائك جميعًا !! » .

* * *

لقد عدّ لطفى أفندى طلاق جوزفين بين سيئات نابليون ثم قال إنها سيئة ترد كثيراً على أفواه السيدات والصبيان لتشبع نفوسهم بالعواطف الرقيقة .

فإن كان هذا من طباع النساء والأطفال ، أفلا يعدّ الإعجاب بنابليون من طباعهم ؟؟

بلى ! إن من طبع المرأة الضعيفة والولد الصغير أن يستكينا إلى القوة حيث كانت وهما اللذان يعجبان بالقوى ولا يطيقان أن ينظرا أثر قوّته فى نفع النوع ، أو الإضرار به . أما الناقد الاجتماعى فيجب أن يكون أبعد من ذلك نظراً وأصدق حكماً .

وما أشبه أخلاق الجمهور بأخلاق المرأة والطفل ، فإنه لينتظر من يتأله عليه فيعبده ، وقد كان ذلك شأنه مع نابليون .

كان هذا الرجل يسبح فى لجة من الدم والناس تنظر إليه فلا يعنيهم من أمره إلاّ أن يشاهدوا براعته فى السباحة !!

كان يهدم المدن ويدمر الأقاليم ويدك الممالك وهم ينظرون من كل ذلك إلى خبرته بصفّ المربعات العسكرية ودربته على تنظيم المواقع وإطلاق النيران .

لقد مضى زمان تلك العظمة وحقّ على الكتّاب فى هذا العصر أن يعوّدوا الناس إكبار العظمة التى لا يجمل بهم إكبار سواها ، وإن لدينا من العظماء من لو انصرف الناس إلى تقديرهم وإجلالهم لشغلوا بهم عن نابليون وأضرابه .

فليقدسوا العلماء وليقدسوا المصلحين وليقدسوا الفلاسفة والشعراء وحسبهم ماقدسوا من الجلادين والجزارين ، فإنه لا يجمل بكرامة الإنسانية فى زماننا أن تلحس المدية التى يذبح بها أبناؤها .

عباس محمود العقاد

الاشتراك مقدماً

١٦٠ قرشاً من داخل القطر و ١٠٠ عن ستة اشهر و ٢٠٠ عن سنة خارج القطر
لا تنسد وصولات الاشتراك الا اذا كانت مختومة بختم المدير وعملة بامضاء [illegible]

أجرة نشر الاعلانات يتفق عليها مع ادارة الجريدة

المراسلات

لا [illegible] ويجب أن تكون خالصة أجرة البريد باسم مدير الجريدة
﴿ أحمد لطفي السيد ﴾

عنوان التلغراف (الجريدة بمصر) . التليفون نمرة ٣٤٠٢
(مكتب توكيل الجريدة بالاسكندرية تلفون نمرة ١٩٨١)

﴿ محل ادارة الجريدة في القاهرة بسراي البارودي — قيمة العدد ﴾



﴿ تروج بجميع المحاكم الاهلية ومحكمة الصورة المختلطة ﴾
﴿ (الجريدة) لنشر الاعلانات القضائية ﴾

AL-GARIDAH
Quotidien Politique, Litteraire, Commercial & Financier.

ABONNEMENTS

Un an	160	P.T.
Six mois	100	»
Un an pour l'Etranger	200	»

DIRECTEUR — AHMED LOUTFI EL-SAYED
Direction — Rue Bab El-Khalk — (Caire Egypte)
Pour toute publicité s'adresser à la Direction

Adresse Télégraphique (AL-GARIDAH) Caire
Téléphone 3042

﴿ من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق وان آلمتها في اول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه اشد واكثر من اغتباطه بمدحهم اياه (ابن حزم) ﴾

﴿ الجريدة في يوم الاحد الموافق ٢٢ رجب سنة ١٣٣٠ — ٧ يوليه سنة ١٩١٢ ﴾

كلمات نابليون

بحث انتقادي تاريخي أدبي سيكولوجي

بين يدي الآن ترجمتان لكتاب واحد احداهما كلمات نابليون كما سماها ابراهيم افندي رمزي والاخرى حكم نابليون كما سماها لطفي افندي جمعة

ولو [illegible] لعددنا [illegible] ترجمتين [illegible] برهاناً على رواج [illegible] الكتب [illegible] ولكننا نعلم أننا في [illegible] الاجادة عن اتفاق [illegible]

[illegible] كتاب صفحات على [illegible] الكاتبين قد [illegible] كلاهما [illegible] في كل اجزاء الكتاب [illegible]

[illegible] الاصل [illegible] بعض الكلمات وانا لطفي افندي [illegible] في التعريب فكان ربما زاد [illegible] على عبارة نابليون على سبيل الشرح والتفسير دون أن [illegible] الزيادة [illegible] أو يشير اليها بما يفرق بين كلام نابليون وكلامه . هذا على أنه [illegible] بعض كلمات الكتاب وربما كان انبا [illegible] ما هو أتم [illegible] . ويظهر ان الاقامة في دار [illegible] لم [illegible] لطفي افندي قواعد لغته فوقع في أغلاط نحوية لا يحسن أن يؤخذ كاتب عربي بمثلها . ورأيت في كتابه تفاوتاً في الاسلوب بين الركاكة والسلاسة والغموض والوضوح يدل على أن التعريب لا كثر من كاتب واحد . فاذا انضمت الى ذلك تقديم بعض الاصول المأخرة على ما قبلها [illegible] صدق ذلك . وانهم كانوا يطبعون ما يتم من التعريب أولاً فأولاً اسراعاً في الطبع واظهار الكتاب .

وكان ينبغي أن يشير لطفي افندي الى شركائه في عمله ولا غضاضة عليه في ذلك ولا على شركائه . على أننا نؤاخذ صاحبنا بما هو أكبر من ذلك وهو انتحاله كل ما يشير الى أن الكتاب منقول عن الانكليزية فقد ضرب صفحاً عن اسم جامعه وحذف مقدمته التي افتتح بها صفحاته . ثم كتب عليه انه [illegible] لطفي جمعة وذلك غمض ظاهر [illegible] على [illegible] ان كان مقصوداً [illegible] الاجتهاد [illegible]

وقد افتتح رمزي افندي ترجمته بمقدمة شرح فيها سيرة نابليون على طريقة [illegible] وفصل فيها بعض وقائعه بقدر ما يسمح المقام من التفصيل .

أما لطفي [illegible] السيئة على [illegible] النقد التاريخي [illegible] أساويه ولكنه [illegible] على ما أرى [illegible] وآراء [illegible] صاحبه عند حد [illegible] الوقائع التاريخية [illegible] لها أنها [illegible] الرأي ولكنه أراد أن [illegible] على نابليون وذلك بحث تختلف فيه الاقوال وتتشعب الآراء ولا بأس أن أناقش بعض أقواله وآرائه .

أرى لطفي افندي شديد الاعجاب [illegible] الرجل [illegible] من [illegible] مما [illegible] على يديه [illegible] الى سيئاته التي اقترفها قاصداً [illegible] ويخرج من ذلك على ان الرجل من [illegible] الرجال الذين شقوا نوع الانسان ود[illegible] السبيل لارتقائه .

فمن سيئاته التي عدها عليه قلبه انظام الحكم في فرنسا ثلاث مرات ليصل الى العرش وقتل الاشراف ونفي أصدقائه وتضييقه على الحرية الاجتماعية والسياسة بحيث لم يكن في [illegible] الا الجريدة الرسمية واهلاكه الوف الالوف من جنود فرنسا وجنود الامم الاخرى وتطليق جوزفين زوجته طمعاً في زواجه بابنة امبراطور النمسا

وفي سيئاته يرى القارئ ان كلا منها مقصود لنفسه [illegible] وتجتمع كل تلك الاغراض في تحقيق مطامع نابليون في السلطة والاستبداد بالامر

اما حسنة أنه في عرف صاحبنا فهي تحرير ايطاليا ومصر ونشر مبادئ الثورة الفرنسوية في اوربا وسن القانون المدني و[illegible] هذه الداهية ونكبته وقع فيها . فاذا به يتوجع لمصاب نابليون ولا يذكر انه ذلك الجلاد العظيم الذي ازهق من الارواح ما لم يزهقه وباء من اوبئة القرون الوسطى . لان وجوه قتلاه تتوارى في غمار الجمالة وجيف [illegible] تطوي في رقم الالوف فلا تظهر وراءه اشلاؤهم الممزقة ورؤوسهم المصدعة وآلامهم الوجيعة وعلائمهم المروعة . ثم نراه يعصب على المسكين « لو » ليتبرزه بوذيل الالقاب لانا نطمع في رحموت الامر الدموي وننسى ذلك الجزار الذي بالغ لو في التضييق عليه ، ونرى له تلك الصورة التي يفرح ابراسكم وصفه لطفي افندي بقوله « بالرأس القوي ذي الشعر الاسود الحالك المسترسل متناحجلة على الجبين العريض العالي والوجه الشاحب المستطيل والعينين الزاويتين [illegible] الضيقتين والانف الدقيق الذي ليس بالطويل ولا بالقصير الخ »

كان حقاً على [illegible] أن [illegible] نابليون تلك الداهية الاشنعة كما [illegible] أولئك الملل الذين ما [illegible] فلم أرخص [illegible] حين [illegible] تحت [illegible] وذلك [illegible] التي [illegible] بلاء على العالم وعليه [illegible]

كان حقاً على (لو) أن [illegible] نابليون بالذلة [illegible] نذل حقير [illegible]

ثم انه ما كان [illegible] على ذلك السجين [illegible] كانت تحسن صنعاً [illegible] الشاطئ قريب من التدبير [illegible] من جزيرة [illegible] على عرش فرنسا فيعيد على العالم غاراته ويشغل الامم بوقائعه وغزواته ، ويفتح من الممالك والاقطار ما لم يفتحه قبل نفيه ، فيضيف مجداً الى مجده ويصير نابليون الاعظم بعد أن كان نابليون العظيم وأي نفع للانسانية أكبر من أن يظهر فيها هذا الفرد النادر ؛ ويقيض منها واحد يستطيع أن يردى الملايين من أبنائها في مدى عشرين سنة !

هذا هو المجد المبني ! أما السلام العام ورفاهية العالم فذلك ما لا يلتفت اليه في جنب هذا الفخر الدائم !!! فدى هذا العالم لتلك الخصلة المنسدلة على الجبين العريض العالي !!

ثم يسعد الانسانية حظها بنسمة من أمثال هذا البطل العظيم فيقضون على بقية من امات من بعده ونجا من حسامه . وتشاء [illegible] ورائهم أن ينتظروا من الناس فرداً [illegible] على جدث الانسانية ويصيح بصوت عال لا يسمعه أحد . و الآن نرتين . ويدة [illegible] الانسانية فقد انجبت من ابنائك عشرة

لقد عد لطفي افندي طلاق جوزفين بين سيئات نابليون ثم قال انها سيئة ترد كثيراً على أهواء السيدات والصبيان لشيع تنوسيم بالعواطف الرقيقة

فان كان هذا من طباع النساء والاطفال . أفلا يعد الاعجاب بنابليون من طباعهم ؟!

بلى ! ان من طبع المرأة الضعيفة والولد الصغير أن يستكينا الى القوة حيث كانت وهما اللذان يعجبان بالقوي ولا يطيقان أن [illegible] في [illegible] أو الاجبارية أما الناقد الاجتماعي فيجب أن يكون أبعد من ذلك نظراً وأصدق حكماً

وما أشبه أخلاق [illegible] باخلاق المرأة والطفل فانه [illegible] من [illegible] عليه [illegible] وقد كان ذلك [illegible]

[illegible] هذا [illegible] الدم والناس [illegible] الا أن [illegible] كان [illegible] الى [illegible] الكتاب في هذا [illegible] الكبار البطلة التي لا يحمل [illegible] وان لدينا من العظماء من لو [illegible] الى [illegible] والاعمرة [illegible] للادوار [illegible] ولاة [illegible] من الملاد [illegible] بكرامة الانسانية في زماننا أن نلحس [illegible] التي [illegible] ابناؤها !

عباس محمود العقاد

رسائل إلى
الأستاذ محمد طاهر راشد (*)
(.... - ...)

[.. إن لدىّ عزماً أكيدا على شئ طالما خشيت أن أصارحك به لئلا تأباه علىّ ، وذلك الشئ هو رغبتى فى أن أهدى الرواية إلى « محمد طاهر راشد » الذى قرأها بأكملها وأصرّ على نشرها . وإذا كنت تريدنى على إلحاق مقدمةٍ بالرواية فإنى أنشر خطابك الأول لى أو بعض فقراته التى تبدى فيها اكتشافك لبعض فصولٍ جليلةٍ تستحق من أجلها هذه الرواية أن تنشر ..]

توفيق الحكيم
(من رسالةٍ إلى محمد طاهر راشد فى الثلاثينات)

(*) لم أقف للأسف على تاريخ ميلاده ووفاته ، ولم يكتب أحدٌ سيرة حياته مستوفاة أو موجزة ، فعسى أن ينهض بذلك بعض من زاملوه وعرفوه ، أو وقفوا على شئٍ من أخباره وآثاره ، قيامًا بحقّ التاريخ واعترافاً بأدبه وفضله .

« محمد طاهر راشد »
المحامى والقاضى والمستشار الأديب

روى الأستاذ توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧) فى كتابه « صفحات من التاريخ الأدبى لتوفيق الحكيم » ، بعض ملابسات طبع تمثيلية « أهل الكهف » فى سنة ١٩٣٣ ، وهو بعيدٌ عن القاهرة حيث كان يعمل فى نيابة طنطا ، فقال بعد تمهيد طويل :

« هبط علينا ذات يوم أحد القضاة منتدباً ليومٍ واحدٍ يحضر فيه جلسة كفر الشيخ نيابةً عن قاضيها المتخلف فى إجازة . ونزل هذا القاضى المنتدب فى البنسيون الذى أقطنه فى ميدان الساعة بطنطا . كان هذا القاضى هو « محمد طاهر راشد » قاضى محكمة المنصورة ، وإذا هو من المثقفين المولعين بالأدب . جلسنا بعد العشاء نتحادث ، وجرّنا الحديث بالطبع إلى الأدب والفن والمطالعات الأدبية الجادّة التى يطالعها . وأنا حريصٌ على الكلام فى هذه الأمور بمقدار ، ولكنه فاجأنى بقوله أنه يعرف عنّى ، ولست أدرى كيف ، سابق كتابتى للمسرح فى العشرينات ، فقلت له « أرجوك لا تصرّح بذلك هنا » ... فطمأننى بقوله إنه قائم من الصباح الباكر إلى محكمة كفر الشيخ وبعد الجلسة يسافر توًّا إلى القاهرة ، فلا خوف إذنْ من هذه الجهة . ثم قال لى إنه لا يصدّق أنى لم أكتب شيئًا طوال الأعوام العشرة التى تركت فيها الكتابة لمسرح عكّاشة . وظلّ بى يحاورنى ويداورنى إلى أن أيقظ فى أعماقى شيطان الفن فوجدت نفسى أبوح له بسرّى . فما أن علم أن تحت يدى مخطوطة « روايةٍ ومسرحيةٍ » حتى أصرّ على أن يطّلع عليهما مجرّد اطلاع سريع على أن يردّ المخطوطتين إلىّ فى الصباح قبل رحيله . وأذعنت فى النهاية إذْ لا ضرر من هذا الاطلاع مادام اطلاعه لن يستغرق أكثر من ليلةٍ يردّ بعدها هاتين المخطوطتين . وفى الحق كنت أريد أيضًا أن أعرف رأى قارئٍ محايد . فلقد سبق أن أرسلت مخطوطة « أهل الكهف » إلى صديق العمر الدكتور

حسين فوزى (*) ، وكان لم يزل فى باريس ، فقرأها وأعادها إلىّ فى طنطا بعد أن علّق عليها تعليق القارئ المثقف الذى زاملنى وعاصرنى فى باريس بجوّها الثقافى وعرف كل اتجاهاتى وقرأ كل كتاباتى ... ولكن « طاهر راشد » يمثل القارئ العادى البعيد عن محيطى ، الذى لا يعرف عنى إلاّ القليل ، فما رأيه ياترى ؟ وسلّمته مخطوطة الرواية ومخطوطة التمثيلية ، على أن يردهما إلىّ فى الصباح . وجاء الصباح فإذا به قد اختفى بالمخطوطتين ؛ سافر مبكّرًا إلى جلسته فى كفر الشيخ ومنها إلى القاهرة . وبعد أيام وصلنى منه خطاب كلّه تحمّس وإصرار على طبع ونشر التمثيلية والرواية ، ورأى البدء بتمثيلية « أهل الكهف » لأنها أقل حجماً وأسهل نشرًا . وقال لى إنه لم ينتظر ردّى وموافقتى لأنه شعر أنى متردّد وغير متحمّس للنشر ، ولذلك بادر هو وعرض أمر النشر بالفعل لأهل الكهف ... وتمّ طبع الكتاب فى مطبعة مصر على ورق فاخر ، على أنى اشترطت أن يكون عدد المطبوع مائة نسخة فقط ، لأنى استبعدت أن مثل هذا الكتاب يمكن أن يباع فى السوق ..

.. وبمجرد الشروع فى طبع أهل الكهف ، أى قبل ظهورها ، أصبح التفكيرفى طبع الرواية الطويلة أيضًا محل تفكير .. وقد قامت بينى وبين المرحوم طاهر راشد مراسلات بشأن نشر الرواية ، ولقد فقدت مع الأسف رسائله هو إلىّ ، ولكن بعض رسائلى أنا إليه لم تفقد لأنها كانت بالطبع فى حوزته ورأى بكرمه وتجرّده من كل أنانية أن يردّها إلىّ ، ولم أعثر عنده إلاّ على رسالتين ... » [1] .

* * *

وفى إحدى هاتين الرسالتين نجد الأستاذ الحكيم – وهو بصدد التفكير فى التقديم لروايته « دبيب الروح » ، أو « عودة الروح » كما استقر عليه رأيه فيما بعد – يقول لصديقه طاهر راشد : « إن لدىّ عزماً أكيداً على شئ طالما خشيت أن أصارحك به

(*) الدكتور حسين فوزى (١٩٠٠ – ١٩٧٢) الطبيب الأديب العلامة والباحث الذواقة فى الفنون الجميلة والموسيقى على الأخص ، وصاحب الرحلات العلمية التى وصفها فى كتب منها « من حديث السندباد القديم » و« سندباد عصرى » وله « الموسيقى السيمفونية » وغيرها .

(١) توفيق الحكيم : صفحات من التاريخ الأدبى لتوفيق الحكيم ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٥ ، صفحات ٢٦ إلى ٢٩ باختصار يسير .

لئلا تأباه عليّ . وذلك الشئ هو رغبتي في أن أهدى الرواية إلى « محمد طاهر راشد » الذى قرأها بأكملها وأصرّ على نشرها !! وإذا كنت تريدنى على إلحاق مقدمةٍ بالرواية فإنى أنشر خطابك الأول لى أو بعض فقراته التى تبدى فيها اكتشافك لبعض فصول جليلة تستحق من أجلها هذه الرواية أن تنشر ، وأعلّق أنا بخطاب منى على خطابك هذا . وهذه هى كل المقدمة . وإن لم توافق على هذين الخطابين كمقدمة فلتكن مقدمة هذه الرواية من قلمك أنت ، وإن لم تشأ فلا مقدمة . ووالله لو عرض عليّ أشهر كاتب فى مصر أو فى غيرها تقديم هذه الرواية لما قبلت لها مقدمة إلا منك أنت . وإنى لم أزل أكبر هذه العناية التى تدفعك إلى الاهتمام بها . ولا أزال أرى أن ظهورها مدينٌ لمن قرأها بإمعان وعمل على إبرازها ... » (١) .

* * *

أطلتُ فى هذا النقل من كتاب الأستاذ توفيق الحكيم لأنه أول ضوءٍ كاشفٍ يلقيه كاتب كبير على شخصية القاضى الأديب والقارئ المثقف الأستاذ المستشار محمد طاهر راشد رحمه الله . وإذا كان توفيق الحكيم يعود بهذا التعريف بصديقه إلى نطاق الثلاثينات ، فالواقع أن حضور طاهر راشد على الساحة الأدبية سابقٌ على هذا التاريخ ، إذْ يرجع إلى أوائل العشرينات . ففى كتاب « الفصول » الصادر فى سنة ١٩٢٢ ، نشر الأستاذ العقاد خمس رسائل تقع تواريخها فى الفترة بين أول نوفمبر ١٩٢١ و ٣١ يناير ١٩٢٢ ، وقد جاء فى هامش الرسالة الأولى منها الحاشية التالية :

« كتبت هذه الرسائل الخمس من أسوان إلى صديق أديب بالقاهرة ردًّا على أسئلة أو آراء تفهم من قراءة الرسائل ، وقد أثبتّها هنا نقلاً عن صحيفة الرجاء التى نشرتها لأول مرّة » .

ولم يذكر الأستاذ العقاد فى الفصول اسم هذا الصديق الذى بعث إليه بهذه الرسائل ، ولكنه ذكر بعد ذلك ؛ وعرف ذلك بعض الأصدقاء المقربين ومنهم الأستاذ عبد الرحمن صدقى ؛ على ما حدثنى به ؛ وكذلك بعض المريدين فى ندوته الأسبوعية (٢) ؛ أنه هو الأستاذ محمد طاهر راشد الذى كان يشتغل آنذاك

---

(١) السابق ، صفحة (٢٤)

(٢) كتاب : العقاد دراسة وتحية (١٩٦٠) ، صفحة ٢٣٥

بالمحاماة ويقطن فى حىّ السيدة زينب . وأكّد ذلك وجود رسائل أخرى خطية للعقاد إلى الأستاذ طاهر لم يسبق نشرها وترجع تواريخها لتلك الفترة التى تنتمى إليها رسائل الفصول .

وهذه الرسائل التى تؤكد الصداقة الأدبية الحميمة التى توثقت عراها بين المحامى يومذاك محمد طاهر راشد والعقاد ، نجد مثيلتها بينه وبين الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى ، فكان هذا القاضى الأديب أحد الجنود المجهولين الذين دفعوا الشاعر المعتزل إلى معاودة نشر شعره – منذ أوائل الثلاثينات – بعد أن لزم الصمت سنواتٍ طويلات المدد . وقد توطدت الصلة بينهما حتى لكان شكرى يكتب إلى صاحبه مرة أو مرتين كل أسبوع ، وربما كتب إليه فى يومين متعاقبين ، وكان يرسل إليه فى هذه الرسائل ما ينظمه من قصائده الجديدة قبل أن يبعث بها إلى الصحف والمجلات الأدبية لنشرها ، بل كان يدع له أحياناً أمر نشر مايبعث به إليه من شعره إذا رآه صالحاً للنشر !

ومن مآثر الأستاذ طاهر راشد أنه احتفظ بجميع رسائل أصدقائه الأدباء إليه ، وصانها من الفقد والضياع برغم تطاول السنين ، فحفظ لنا بها صفحاتٍ قيّمة من أدب الرسائل فى العصر الحديث ، وكشف بها عن جوانب مجهولة من حياة بعض أدبائنا المعاصرين وآثارهم الأدبية .

ومن أسفٍ أننا لم نعثر على رسالةٍ واحدةٍ من رسائل الأستاذ طاهر راشد إلى أصدقائه الأدباء . ويكفى للتدليل على أهمية هذه الرسائل أن نتذكر قول توفيق الحكيم الذى نقلناه قبل قليل من أنه كان يرى الاكتفاء بنشر خطاب طاهر راشد إليه كمقدمةٍ لرواية عودة الروح ، « وهذه هى كلّ المقدمة » ! وكان الأستاذ الحكيم قد رفض من قبل أن يكتبها أحد كبار الأدباء . وتلك شهادة قاطعة بقيمة الرسائل الشخصية التى كانت تدبّجها يراعة المستشار الأديب الذوّاقة محمد طاهر راشد ، رحمه الله .

وقد رأيت أن أبدأ بإثبات صورة الرسائل الخمس التى سبق نشرها فى كتاب « الفصول » ، مصوّرةً عن أصلها المنشور فى الطبعة الأولى للكتاب (سنة ١٩٢٢) باعتبارها أثراً قد لا يتاح للكثيرين من قراء اليوم الاطلاع عليه أو الرجوع إليه لبعد العهد به .

الرسالة الأولى (١)

... ...

لم أفتح رواية جوتييه (*) فى الأقصر لأننى كنت قد أمعنت فى كتاب « سادهانا لتاجور » فأنفت له أن أخلط قراءته بقراءة أى موضوع مما يجول فيه قلم جوتييه وأشباهه ، ورأيت أن لا أكون بخلطى بين الكتابين كمن يغازل فى المحراب أو يكتب الخمريات على هامش القرآن ، فأقبلت على الكتاب حتى أتممته فإذا سفر من أجلّ أسفار الدنيا وأحقها بالدرس والتأمل ، ولم أكد أفرغ منه إلاّ على شوق إلى إعادته . ولست أعنى أننى تلقيت الكتاب بالإيمان الكامل ولا أنه اشتمل على كل مايعرف من سرّ الحياة فإننى لا أنتظر ذلك من كتابٍ قطّ ، وحسب المؤلف عندى أن يكون فى كلامه مايصح أن يشغل حصّة واحدة فى مدرسة الحقائق التى تكشفها الحياة لأبناء الفناء .

ولا شك عندى فى استمداد تاجور من أصول الفلسفة الهندية القديمة ولكنه مهما كان مبلغ استفادته من تلك الفلسفة التى استمد منها العالم أجمع فقد برع فى التفسير والإقناع براعةً تقرب من الابتداع ، وعندى أن المستشرقين الذين قضوا أجيالاً فى نبش دفائن العقائد الهندية وإذاعة كتبهم المقدسة لم يظهروا من روح الهند القديمة لمحةً مما استطاع تاجور إظهاره فى هذا الكتاب الصغير .

أول نوفمبر سنة ١٩٢١

---

(١) كتبت هذه الرسائل الخمس من أسوان إلى صديق أديب بالقاهرة ردًّا على أسئلة أو آراء تفهم من قراءة الرسائل ، وقد أثبتّها هنا نقلاً عن صحيفة الرجاء التى نشرتها لأول مرة .

(*) تيوفيل جوتييه Theophile Gautier(١٨١١ - ١٨٧١) الأديب والناقد الفرنسى رائد مذهب الفن للفن ومؤسس المدرسة البرناسية Parnassien فى فرنسا ، وهى الحركة التى ظهرت فى أوائل القرن التاسع عشر كرد فعلٍ للمغالاة فى الرومانسية العاطفية .

الرسالة الثانية

... ...

كتاب « سادهانا » الذى سبقت منى الإشارة إليه هو مجموعة محاضرات تتضمن آراء شتى فى الفلسفة الصوفية والدين كان يشرحها تاجور فى مدرسته التى أنشأها ببلدة بلبار من إقليم البنغال للمذاكرة فى الحكمة والأدب وفقه الدين ، وموضوع الكتاب « تحقيق كنه الحياة » من حيث شعورها بوجدانها ، وإحساسها بالخير والشر والجمال ، وظهورها فى العمل والحب ، واتصالها بالكون عامة ، واللانهاية من وراء ذلك . وقد ألقى بعض هذه المحاضرات بجامعة هارفارد الأمريكية إجابةً لطلب الأستاذ جيمس وود ، ثم ضمها إلى هذا الكتاب ووسمها بالاسم المتقدم فكانت بمثابة تفسير لعقيدة تاجور وفلسفته ، وهى بعينها عقيدة البراهمة القديمة ، لأن الرجل نشأ فى بيت اشتهر كباره بالتقوى والورع وإدمان التلاوة فى الكتب المقدسة . ولكن تاجور استخدم ملكته الكتابية وموهبته الشعرية فى التوضيح والتقريب بضرب الأمثال وحلّ الرموز واستخبار الألفاظ عن معانيها العويصة التى لا تضبطها اللغات إلاّ بما يشبه الإشارة والتلميح لقلة من يفضى إلى أسرارها ، فكان هذا العمل من الشاعر مأثرة على سمعة قومه بل على قرائه جميعاً ، وإن كنت أشك فى قدرة سواد الغربيين على فهم وجهة النظر الهندية ، لأن القوم مغروررون بمدنيتهم غروراً لا يفيقون من سكرته التى تطمس البصيرة وتكل الإلهام إلاّ بعد أن تزول عنهم قوّتها وصولتها .

وقد حدثتنى عن تلك الفئة التى تنعت نفسها بالتحرر من قيود الأدب القديم وما تقيدتْ قطّ بأدبٍ قديم ولا حديث فيكون لها فضل الإفلات من الأسر . وعندى أن هؤلاء الذين يتهجمون على أساطين الآداب الشرقية ولا يدينون بالشاعرية لغير الغربيين لا يدلون على حرية فكرية أو جرأة أدبية ، إنما يدلّون على خلو وافتقار وخداج فى العقل ، مثلهم فى ذلك مثل السوائم والأوابد فى حريتها فإنها لا تفعل ماتريد علوًّا عن ربقة الأوهام ونبوًّا عن أحكام التقاليد بل لخلوها من

قابلية التقيد حتى بالأوهام الباطلة والتقاليد المهجورة ، وعجزها عن فهم الصحيح وغير الصحيح على السواء ، وقد يكون لهم بعض العذر إذا قرأوا وتفهموا وقارنوا ثم أخطأوا أسباب المقارنة واختلف معهم ميزان الحكم ؛ فأما وهم ينقدون مالا يحسنون له مزية ويرفضون مالا يعرفون له وزناً فهم مسيئون إلى أنفسهم وإلى الناس ، بيد أني لا أظن إساءتهم ذات خطر لأنهم لا يقنعون أحداً بصدق هرائهم إلاّ كان مثلهم فى الغباء وخفة الأحلام . والذى أراه أن ذلك الشيخ الذى كان يحدثك عن كتاب الديوان ومن حذا حذوه فى الرأى والاطلاع هم أحقّ بالخوض فى أحاديث الأدب وإبداء الآراء فى الشعر والكتابة من أولئك السائمين الهائمين على وجوههم فى تيه الخيلاء الفارغة والدعوى الكاذبة ، وبودى لو استطعت إزالة اللبس عن عقول أولئك الذين يحسبوننا فى عداد الغامطين لكل شعر غير شعر الغربيين ، فإنهم يخطئون فهمنا خطأً كبيرا ، فلعلّ الأيام تسمح لى بالإفاضة فى هذا البحث وإظهار معيار الجودة فى اعتقادنا إظهاراً يعينهم على معرفة رأينا فى كل قصيدة قبل سؤالنا عنها وينفى عن أفكارهم شبهة التحيّز التى لا يعلمون حقيقتها .

... ...

١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

* * *

الرسالة الثالثة

أخى الفاضل

... ...

لم أشكّ فى أنك كنت تعنى مقالة (الخصائص) لكارليل عندما أخذت فى قراءة وصفك لأثر مقالتك التى كنت تقرؤها وما استجاشته من خواطرك وشجونك، وأفعمت به نفسك من المعانى والتصورات، فإننى لا أعرف للرجل مقالة تستحوذ على لب قارئها استحواذ هذه المقالة الجزلة الممتعة - ولا غرابة، فهى بلاريب مفتاح فلسفته ومقياس جميع تقديراته للحوادث والرجال، ولا يكمل درس كارليل بغير دراستها واستقصاء أسبابها من تطورات فكره ووقائع عصره.
وإن كان لهذه المقالة عيب فهو أنه جعل فيها الحد بين القوة والضعف فاصلاً حاسماً لا يعتوره وهن ولا يأذن بثلمة أو منفذ. فالذى يقرؤها يتوهم أن هناك عصوراً قوية لا يتخللها ضعف وأشخاصًا جبابرة لا يلم بهم فتور أو شك، والحقيقة خلاف ذلك فإن أقوى العصور عرضة لنوبات الحيرة والخوف. وأقدر الرجال قمين أن يتسرب إليه الخور فى بعض هجسات نفسه وأوهام خياله، ومن المستحيل استحالة مطلقة أن يسود الإيمان الملهم عصراً كاملاً أو رجلاً قويا فى جميع أدوار حياته وأطوار تفكيره؛ لأن الإلهام لا يوحى التفصيل المسهب وإنما يوحى خاطراً مجملاً أو عقيدة غامضة، وللفكر أن يعمل فيها تحليلاته وأقيسته ويجيل فيها شكوكه أيضا، ولهذا لن تجد كاتباً أو شاعراً أو فيلسوفا على مستوى واحد فى فيض ذلك الوحى وإغداقه، ولهذا كانت مقالة كارليل نفسها مزيجاً من الإلهام والتفكير العميق والاستنتاج المختلف صواباً وخطأً وحكمة وشططاً. وأنتم مصيبون فيما لحظتموه من كثرة التفكير فيها على غمطه لقيمة التفكير فى كثير من عباراتها - وهو معذور فى ذلك - ألم تعرض للأنبياء والقديسين وساوس وشكوك تقبض الصدور وتشغل الأفكار ؟؟ وليست هذه الوساوس والشكوك التى كانوا يسمونها إغواءً وخداعاً من الأبالسة والشياطين إلا فترات الضعف فى الإيمان واحتجاب الإلهام، وإلا ذلك التردد الذى كان يشكوه كارليل ويقول من شدة بغضه له أنه

وقف على العصور الخابية والنفوس الخافتة ، ويسميه أحياناً لجاجةً وأحياناً جدلاً وأحياناً سفسطة ، حتى ليكاد يخلط بينه وبين المنطق الصحيح القويم . ولكن كارليل قليل التدقيق فى توجيهات ألفاظه بحيث يظلمه من يحكم على منطقه بكلماته الظاهرة ، ولابد من تجريد النفس من أسر المفردات والخوض معه فى عباب المعانى حتى يعطيه القارئ حقه من الإكبار والإنصاف .

قلت فى آخر خطاب لك أنك أحببت أن تسألنى عن قولى : أقصد الغربيين « أن القوم مغرورون بمدنيتهم الخ » فالذى أقصده بهذه العبارة هو أننى لا أقيس مدنية الغرب بعدد مخترعاتها الحديثة ولكن بالملكات والمواهب التى انتجتها . فهل بين هذه الملكات ماهو أعظم وأجلّ وأرفع من الملكات التى أبدعت صناعات المدنيات الغابرة وعلومها وفنونها ؟؟ إن كان ثمة فرق فهو يسير جدًّا . نعم يسير جدا بالنسبة إلى غطرسة المدنية الغربية ودعاواها ، وأنا أعتقد اعتقاداً جازمًا أن القمّة الروحية التى ارتقى إليها نسّاك الشرق وفلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، وإن هذا التقصير عيب كمين فيهم . ويكفى أن أوروبا لم تنبت نبيًّا وأنها عالة على الشرق فيما تدين به . إن من يقرأ فلسفة البراهمة ليشعر بصغر أكبر أبطال الغرب الروحيين بجانب أولئك المردة الأشداء . إننى لأحسب أن كل مهمة المدنية الغربية هى أن تستحث حياتنا المادية أو الحيوانية على اللحاق بتلك الغاية البعيدة التى أوغلت إليها روحانية الشرق ، أما أن تسبقها أو تبتكرها فلا – وكأنما الغرب اليوم خادم قوى يبدأ بأن يقطع الطريق نفسها : الطريق التى سبق السيد [١] فاجتازها ولكنه لم يجلب معه مؤنة رحلته وأسباب وقايته ، فإذا التقى الركبان يوماً تبين السابق من المسبوق وعرفت لكلٍّ قيمة مزيته .

حبذا لو تكرمتم فأطلعتمونى من أنباء العاصمة الأدبية والسياسية على ما يفوتنى علمه بسبب مقامى فى أسوان وسلامى إليكم وإلى الإخوان جميعا .

* * *

---

(١) أى الشرق .

الرسالة الرابعة

أخى الفاضل ... ...

... ...

تسلمت روايتىْ بلزاك (*) ومرديث (**) وقد شوقتنى إليهما ، وسأبدأ بقراءة رواية مرديث قريباً ولكن ربما مضت برهة قبل إتمامها لأن الرواية طويلة ولست أمعن فى القراءة اليوم إلا قليلا ، وسألقاك قريبا فى كل موضع التفاتٍ من الرواية ، فإن للروايات والكتب معالم تعبرها الأفكار فتلتقى عند الاشتراك فى القراءة ، وهى بهذا المعرض تلتقى مواجهةً لا بالذكرى التى لا يتلاقى بغيرها الجائزون بمعالم الطريق .

الخلاف فى أمر المدنية الغربية الحديثة يمكن حصره ، فإن كان القصد من تعظيمها أنها بلغت بالصناعات والمعلومات حدًّا لم يتقدمها إليه متقدم معروف فذلك حق لا ريب فيه ولها الشكر الجزيل عليه . أما إن كان القصد أن هذا التقدم يستلزم حتما تفوقا فى الملكات وطاقة العقول ، فهنا يقع الخلاف الكثير – فقد يخترع الرجل أداة لطبع ألف نسخة فى الساعة ثم يجئ غيره فيخترع آلة أخرى تطبع عشرة آلاف نسخة ،ولا يفهم من هذا أن له من الذكاء والفطنة عشرة أضعاف ما للأول لأن اختراعه أسرع بهذه النسبة . وقد يبتعد السائر عشر مراحل عن نقطة فلا يؤخذ من هذا أنه أقوى على السير ممن لم يبتعد عنها إلاّ بتسع مراحل، لأن الأول ربما لم يسر إلاّ مرحلة واحدة بدأها من حيث انتهى سابقه ، وخلاصة رأيى أن مدنية الغرب الحديثة ليست ببعيدة الغَوْر فى نفس الإنسان فإن

(*) أونوريه دى بلزاك Honore de Balzac (١٧٩٩ – ١٨٥٠) الأديب والروائى الفرنسى المشهور ، قيل عنه أنه أبو القصة الفرنسية الحديثة وأحد رواد الرواية الواقعية . وإليه انتهت زعامة الأدب فى عصره الذى يطلق عليه فى كتب تاريخ الأدب الفرنسى « عصر بلزاك » .

(**) جورج مريديث George Meredith (١٨٢٨ – ١٩٠٩) أحد كبار كتاب القصة الإنجليزية فى أواخر القرن التاسع عشر ومن أشهر قصصه الأنانى أو محبّ ذاته (The Egoist) ولعلها المعنية هنا فى رسالة العقاد .

اليابان قد أصبحت لها فى مدى ثلاثين أو أربعين سنة مدنية مصنوعات ومعلومات كمدنية أوربا على العموم ، فهل يقال إن مدنية تنقل فى أقل من عمر رجل واحد تعدّ شوطاً كبيراً فى تقدم النوع الإنسانى ؟؟ وماذا فى صحة المعلومات فى ذاتها من الدلالة على عظم القوة المفكرة ؟ إن التلميذ الصغير اليوم لأصحّ علما فيما يلقنه من الدروس من أبى الطيب أو أفلاطون ، ولكن أين عقل الصبى من عقل الشاعر الحكيم أو الفيلسوف المبتكر ؟ وإذا نظرنا إلى الرفاهة المادية نفسها فهل يسعنا الجزم بأن مدنية أوربا الحديثة زادت سعادة الإنسان أو خففت من شقائه ؟؟ قارن بين رجلين أحدهما ممثل لمدنية قديمة عالية والثانى ممثل لمدنية العصر الحاضر – فلا يبعد بل الأرجح أنك تجد الأول أفخر ثيابا وأشهى طعاما وأجمل مسكنا وأصح جسدا من رفيقه ، ولا تعرف لمدنية الآخر مزية حتى تسأل فى كم من الزمن صنعت ثيابه أو بنى بيته . هنالك تظهر لنا مزية السرعة ، ولكن ماذا وراء ذلك ؟ سرعة المخترعات لا تستلزم تفوق القوى المخترعة و أما بعد ذلك فلا الصانع الحديث ولا المستفيد بصناعته أسبق حالاً من زميليهما فى القدم . أزيد على ماتقدم أن الصانع القديم كان أصنع يداً وأدق حاسّة وأكثر مرانا على استخدام أعضائه من الصانع الحديث الذى صيرته المخترعات آلة تدير آلة . وإنى لأعرف فى الريف نجارين ينظر أحدهم إلى الخشبة فيقول إنها زائدة فإذا قاسها لم يجدها تزيد بأكثر من نصف قيراط ، ولم أر نجارا واحداً تعود الاعتماد على القياس فى جميع أعماله يدرك ضعف هذا الفرق .

أما كتب الديانة البرهمية فأشهرها على ما أذكر :

Vedas, Ramayana, Mahabharata (*) وهناك كتب أخرى لا أضبط

(*) هى بالعربية ، على التوالى : الفيدا ، الرامايانا ، المهابهاراتا

والفيدا كتاب الهندوس المقدس ، وهى كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة .

والرامايانا معناها الحرفى قصة راما ، وهى ملحمة سنسكريتية تروى مغامرات راما قاتل الشيطان .

والمهابهاراتا ملحمة هندية عظيمة تشبه إلياذة هوميروس عند اليونان ، تروى قصة صراع فرعين من الأسرة المالكة حول مقتل زوجة .

(الشروح السابقة عن كتاب « المعتقدات الدينية لدى الشعوب » تحرير جفرى بارندر ، وترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام . سلسلة عالم المعرفة رقم (١٧٣) مايو / أيار ١٩٩٣) .

أسماءها لكثرة حروفها وحركاتها . وليست للكتب المذكورة طلاوة كتاب كسادهانا ولا إمتاعه الشعرى والأدبى ، لأنها لم تكن إلاّ مجموعة شعائر وقصص ، وأمثال ومحاورات ، هى الديانة البرهمية كما شاء كهان الهند أن يبرزوها للأنظار لا كما هى فى لبابها المجرد ، لكن لا يؤخذ من هذا أنها خالية مما يدل على سموّ الروح وعلوّها فى سبحات الفلسفة الدينية وتعطشها إلى إدراك أعلى الكمال المقدور لها فى دنياها . خذْ مثلاً عقيدة تناسخ الأرواح ثم اتصالها بعد التطهير بالروح الكلى الأعلى ، فأىّ فرض أو أىّ استدراك مما يرد على الباحث فى مصير الروح الإنسانية لم يلحظ فى هذه العقيدة المضحكة لمن لم يجشم نفسه هذه المباحث ، ففى هذه العقيدة ملحوظٌ ضعف القول بقسمة الحياة إلى دورين فى أحدهما النعيم السرمد أو الشقاء السرمد وفى الآخر التجربة والتحضير ، مع العلم بأن هذه التجربة لا تتساوى فيها الفرص ولا الحظوظ ولا النتائج ، وملحوظٌ فيها الرد على الذين يقولون (أوليفرلودج يقول بهذا الآن) أن الروح الحرة أرسلت إلى العالم لتتقوى بمصادمة قيود المادة ، إذ يرد عليهم بأن الطفل قد يعمر وقد يموت صغيرا ، فماذا يكون نصيب المعاجل فى حياته من ذاك التّقَوِّى المقصود من الأزل ؟؟ وملحوظٌ فيها عدم اطمئنان الفكر إلى بقاء الروح منفصلة عن الروح الكلى فى العالم الأخير مع بعدها عن مرتبة الكمال وهى مفطورة على طلبه ، وملحوظ فيها غرابة القول بالشقاء السرمد أو حصول الجزاء فى عالم غير العالم الذى امتحن فيه الإنسان بالذنوب أو تطهر فيه من العيوب ، وملحوظ فيها مافى القول بالقضاء والقدر من التناقض الكثير الذى لا يخلص العقل من شبكته مهما أجهد نفسه ومهما بلغ من ميله إلى التسليم ، وملحوظ فيها وحدة الحياة من أسفل مظاهرها إلى أرفع كمالاتها المطلقة . وقصارى القول أن هذه العقيدة قد لحظ فيها كل باب موصد ينتهى إليه الباحث فى أمر الروح ثم يرجع عنه طائعاً أو مكرهاً .

قارن هذا بقنوع العالم الغربى بعقيدة الخلاص على كونها مقتبسة بقضها وقضيضها من البرهمية ، واذكر أن البرهمية كملت قبل ثلاثة آلاف سنة ، وأن الإنسان بطئ فى تغيره من عقيدة إلى عقيدة ومن فرض إلى فرض ، وانظر بعد المسافة الهائل الذى يفصل هذين العالمين من هذه الوجهة . أما الفلسفة اليونانية فأعظم فلاسفتها إلالاهيين أفلاطون ، فأما خلود الروح فقد نقل القول به من

الشرق ، وأما فكرة ال Ideas (*) التى إخاله انفرد بها بين فلاسفة قومه فهى لعبة أطفال بجانب ذلك المحيط الزاخر العميق . ومن هنا أعذر شوبنهور (**) فى تقديس البرهمية حتى لقبوه البرهمى الحديث . وإن كنت لا أحسبه فهمها على الوجه الذى أفهمنيه منها كتاب سادهانا ، فإننى لم أقدر حقيقة المقصود بال Nirvana (***) الهندية إلاّ بعد قراءة هذا الكتاب .

يطول الكلام فى هذا المضطرب ، وأرى أننا متى التقينا أمكننا التقارب فى النظر والحكم ، فإن ما يقال فى جلسة واحدة لا يفى بشرحه عشرات الرسائل . وسلامى إليك وإلى الإخوان جميعاً .

١٦ - ١ - ١٩٢٢

* * *

(*) نظرية المُثُل التى تبحث فى الحقيقة المطلقة ، وهى الفكرة الأساسية فى فلسفة أفلاطون (Plato) .

(**) أرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨ - ١٨٦٠) الفيلسوف الألمانى الكبير زعيم مدرسة التشاؤم فى عصره ، ويقرن اسمه باسم أبى العلاء المعرى إمام المتشائمين فى تاريخ الأدب العربى .

(***) النرفانا : كلمة سنسكريتية تعنى حرفيًا « الانطفاء » أو الإخماد ، وهى الهدف الأسمى فى الفكر الدينى الهندى من تأمل التلاميذ أو الأتباع ، ويميز البوذية أكثر من غيرها ، وهو عندها يعنى الوصول إلى حالة سامية من التحرر ، أو الفناء ، عن طريق إخماد رغبات الفرد ووعيه (المعتقدات الدينية لدى الشعوب) .

الرسالة الخامسة

أخى الفاضل

لم أتمكن بعد من البدء فى قراءة رواية مرديث لأننا فى أسوان ، وفى هذا الموسم الذى لا ربيع للمدينة سواه ، نؤثر الجولان فى الخلاء على الجولان فى ميادين الأفكار والتفرج بالنظر إلى وجوه الغربيات الحسان على التفرج بالنظر إلى رءوس الغربيين المتفلسفين . ولا أكذبك أن للمدنية الغربية لدينا الآن شفيعات كثيرات فإذا رأيتنى أجور عليها فقد يكون الجور مبالغة فى الحذر وخوفا من المحاباة ! .

إنى أبسط لك ما أنكره على المدنية الغربية وما اعترف به لها ، وما أجدنى غير مستطيع الاعتراف به توضيحا للجوانب المختلفة من رأيى فى هذه المدنية ، فأما الذى أنكره عليها فأن تكون قد أنشأت من عندها تقدما روحانيا يضاهى تقدم الشرق أو يلحق به . وأما الذى أعترف به فهو أنها أبدعت فى الصناعة والعلوم مبدعات لم تسبق إليها ، وربما كان من نتائج هذه المبدعات التقريب بين قوى الإنسان المادية وقواه الروحية بعد دورة تحس فيها القوة المادية غاية جهدها فتقصر عند حدّها .

وأما الذى لا أستطيع الاعتراف به فالقول بأن للغربيين طاقة فكرية لا تلحق بها طاقة الشرقيين ارتكانًا إلى مايشاهد من مخترعات وعلوم فى مدنية أوروبا الحديثة ، لأنى أعتقد أن الطاقة البدنية لا تقاس بنفاسة الحمل بل بوزنه ، فالرجل الذى يحمل قنطاراً من الحديد كالرجل الذى يحمل قنطاراً من الذهب على بعد الفارق بين الحملين فى القيمة ، وكذلك الطاقة الفكرية لا تقاس بفائدة الشئ المخترع ولكن بالمجهود الذى استدعاه إظهاره فى ظروفه المحيطة به . وإنى حين قلت لك أن اليابان اقتبست مدنية أوربا فى ثلاثين أو أربعين سنة لم أقصد إلاّ أن هذه المدنية لا يدل ظهورها على خطوة واسعة فى طاقة الفكر تخطوها الفطرة الإنسانية قبل أن تصطبغ بصبغتها – وقد قلت إن هذه السرعة من مفاخر مدنية العصر الحاضر لأنها تختصر الوقت وتعجل قضاء المطالب ، فهل المقصود أن مدنية القوم اخترعت لليابانيين

عقولاً غير عقولهم فبفضل هذه العقول الجديدة اختصروا الوقت فاكتسبوا فى جيل واحد مالم يكونوا كاسبيه لولا ذلك فى عشرات الأجيال ، وأنهم أسرعوا فى التفكير قياساً على الفرق بين كتابة اليد الواحدة وكتابة المطبعة الحديثة ، أو على الفرق بين نسج النول القديم ونسج المعمل البخارى ؟؟ إنك لا تعنى ذلك طبعاً .
وما دام العقل لم يتغير فتغير المصنوعات له قيمة محدودة لا يعدوها . وأحوّل نظرك إلى أن انفراد الأمم الهندوجرمانية - التى لاشك فى شرقيتها - بالنبوغ الخاص فى عالم الفلسفة والشعر ، بل فى عالم الصناعات أيضًا لهو أكبر معين على إعطاء المواهب الشرقية حقها من تراث الإنسانية الخالد وإنصاف الغرب والشرق معاً .
حدثنى شاب أديب مجتهد يقيم الآن فى أسوان ويعنى بالمباحث الكهربائية والتلغرافية منها على الخصوص ، قال إن رجلاً هنديا اسمه (رامساراجام بلتورا) أدخل على التلغراف اللاسلكى تحسيناً مهمًا مأخوذا به الآن فى جميع البلاد المتمدينة فلما شرع فى تسجيله بالهند غالطوه وتلكأوا فى إجابة طلبه واضطهدوه حتى يئس فالتجأ إلى اليابان ومنها إلى الولايات المتحدة وهناك سجل اختراعه .
وقال إن مصريًا اسمه ..... عدل جهاز الإشارات فى السكة الحديدية تمكن من تحويل كلتا دائرتى التلغراف إلى الأخرى بأسهل وسيلة فأهملوه وثبطوه وهو الآن فى الخمسين من عمره لم يتجاوز مرتبه أربعة عشر جنيها ، فإذا كان فتح المعامل فى الشرق وهى مكان التجربة والاختبار ممنوعاً أو معرقلاً وكان هذا نوع المكافأة التى يلقاها المجتهد خارج المعامل فنحن الشرقيين أولى من غيرنا بالتريث الطويل قبل اتخاذ الركود الصناعى فى بلادنا عرضاً من أعراض النقص الملازم والقصور الدائم .
وقد تكون رواية الشاب محدّثى صحيحة برمتها وقد يكون بعضها غير صحيح ولكنى على كلتا الحالتين لا أرى لماذا نحكم على رجل بعيد عن الماء بأنه لن يحسن السباحة ، ولماذا نصدق القائلين بذلك ممن لا يدلون ببرهان معقول ولا يسلمون من شبهة الغرض ، وأى حجة كانت عند سكان انجلترا قبل الميلاد على من يصمهم بالعجز الأصيل عن تمريد الصروح ودرس الفلسفة ؟ لا حجة البتة ، فما قيمة حجتهم علينا ونحن سبقناهم بتاريخ يدحض هذه الحجج وليس فينا من آفة قط لا يمكن ردّها إلى سبب عارض قريب ؟؟ وقد سألتنى هل المدنية إلاّ مصنوعات ومعلومات ، فجوابى أن المدنية بمعناها الحرفى هى أقل من ذلك ولكن معناها العام

يشمل كل مايوضع مع الإنسان فى الميزان إذا أريد تقديره فهى بهذه المثابة أقرب إلى معنى الـ (Culture) فى العرف الحديث .

– عقيدة الانتهاء بالنيرڤانا بوذية ولكنها برهمية أيضاً ، لأن البوذيين ينسبون إلى « بوذا » الرسول البرهمى فى كل شئ إلاّ فى تقاليد الطبقات ولا يخفى أن بوذا يعبد « برهما » فليست نحلته إلاّ نحلة برهمية .

– إننى معك فى ضرورة الاهتمام بتعهد الحركة الأدبية المصرية ، وقد قلبت مشروع إنشاء مجلة على جميع الوجوه فإن كانت لديكم فكرة عن مشروع آخر يخلو من بعض صعوبات المجلة المعلومة فأرجو أن تشرحوه لى ، لأننى لا أرى إنشاء المجلة من السهولة بحيث يقدم على كل فكرة سواه . ولا أكتمك أننى أرتاب فى علة رواج كتاب الديوان فأرى أن حب الأدب وحده لم يكن بأقوى البواعث على لفت الأنظار إليه ، فهل تراه كان يحدث هذه الزوبعة التى أحدثها لو خلا من حملة معروفة الهدف شديدة الرماية ؟؟ وإذا كان ذوق الجمهور لا يستفز بغير هذه الوسيلة فهل تفيده المجاراة فيه ، وإن أفادته فهل يحتمل كاتب أن يقصر قلمه على هذا الباب من الكتابة ؟؟ ولست أعدّد هذه الصعوبات لميلٍ إلى ترك المشروع بل لشدّة ميلٍ إلى حياطته ووقايته .

سلامى إليكم وإلى جميع الإخوان ، وأظن أنه لم يبق بيننا إلاّ شهر فبراير القادم ، إذا اعتدل الجو ، ثم تجمعنا القاهرة ومجالسها المستطابة وأنديتها الجميلة .

٣١ يناير سنة ١٩٢٢

* * *

الرسائل

الرسالة الاولى (١)

. . . .

لم افتح رواية جوتييه في الاقصر لانى كنت قد أمعنت فى كتاب «سادها نا لتاجور» فانفت له أن اخلط قراءته بقراءة أى موضوع مما يجول فيه قلم جوتييه واشباهه ورأيت أن لا أكون بخلطى بين الكتابين كمن يغازل فى المحراب أو يكتب المجريات على هامش القرآن، فاقبلت على الكتاب حتى أتممته فاذا سفر من أجل أسفار الدنيا وأحقها بالدرس والتأمل ، ولم أكد افرغ منه الاعلى شوق الى اعادته . ولست أعنى انى تلقيت الكتاب بالايمان الكامل ولا أنه اشتمل على كل مايعرف من سر الحياة فانى لا أنتظر ذلك من كتاب قط ، وحسب المؤلف عندى أن يكون فى كلامه ما يصح أن يشغل حصة واحدة فى مدرسة الحقائق التى تكشفها الحياة لأبناء الفناء

ولا شك عندى فى استمداد تاجور من أصول الفلسفة الهندية القديمة ولكنه مهما كان مبلغ استفادته من تلك الفلسفة التى استمد منها العالم أجمع فقد برع فى التفسير والاقناع براعة تقرب من الابتداع ، وعندى أن المستشرقين الذين قضوا أجيالا فى نبش دفائن العقائد الهندية واذاعة كتبهم المقدسة لم يظهروا من روح الهند القديمة لمحة مما استطاع تاجور

---

(١) كتبت هذه الرسائل الخمس من اسوان الى صديق أديب بالقاهرة ردا على أسئلة وآراء تفهم من قراءة الرسائل . وقد اثبتها هنا نقلا عن صحيفة الرجاء التى نشرتها لاول مرة

١٣٦
ظهاره فى هذا الكتاب الصغير
أول نوفمبر سنة ١٩٢١

الرسالة الثانية

. . . .

كتاب « سادهانا » الذى سبقت منى الاشارة اليه هو مجموعة محاضرات تتضمن آراء شتى فى الفلسفة الصوفية والدين كان يشرحها تاجور فى مدرسته التى أنشأها ببلدة بلبار من أقليم البنغال للمذاكرة فى الحكمة والادب وفقه الدين ، وموضوع الكتاب « تحقيق كنه الحياة » من حيث شعورها بوجدانها ، واحساسها بالخير والشر والجمال ؛ وظهورها فى العمل والحب ، واتصالها بالكون عامة واللانهاية من وراء ذلك ، وقد القى بعض هذه المحاضرات بجامعة هارفارد الامريكية أجابة لطلب الاستاذ جيمس وود ثم ضمها الى هذا الكتاب ووسمها بالاسم المتقدم فكانت بمثابة تفسير لعقيدة تاجور وفلسفته ، وهى بعينها عقيدة البراهمة القديمة ، لان الرجل نشأ فى بيت اشتهر كباره بالتقوى والورع وادمان التلاوة فى الكتب المقدسة . ولكن تاجور استخدم ملكته الكتابية وموهبته الشعرية فى التوضيح والتقريب بضرب الامثال وحل الرموز واستخبار الالفاظ عن معانيها العويصة التى لا تضبطها اللغات الا بما يشبه الاشارة والتلميح لقلة من يفضى الى اسرارها ، فكان هذا العمل من الشاعر مأثرة على سمعه قومه بل على قرائه جميعا ، وان كنت أشك كثيرا فى قدرة سواد الغربيين على فهم وجهة النظر الهندية ، لان القوم مغرورون بمدنيتهم غرورا لا يفيقون من سكرته التى تطمس البصيرة وتكل الالهام الا بعد

أن تزول عنهم قوتها وصولتها

وقد حدثتنى عن تلك الفئة التى تنعت نفسها بالتحرر من قيود الادب القديم وما تقيدت قط بادب قديم ولا حديث فيكون لها فضل الافلات من الاسر . وعندى أن هؤلاء الذين يتهجمون على أساطين الآداب الشرقية ولا يدينون بالشاعرية لغير الغربيين لا يدلون على حرية فكرية أو جرأة أدبية ، انما يدلون على خلو واقفار وخداج فى العقل ، مثلهم فى ذلك مثل السوائم والاوابد فى حريتها فانها لا تمعل ما تريد علوا عن ربقة الاوهام ونبوا عن أحكام التقاليد بل لخلوها من قابلية التقيد حتى بالاوهام الباطلة والتقاليد المهجورة ، وعجزها عن فهم الصحيح وغير الصحيح على السواء ، وقد يكون لهم بعض العذر اذا قرأوا وتفهموا وقارنوا ثم أخطأوا اسباب المقارنة واختل معهم ميزان الحكم ؛ فاما وهم ينقدون مالا يحسنون له مزية ويرفضون مالا يعرفون له وزنا فهم مسيئون الى انفسهم والى الناس ، بيد أنى لا أظن اساءتهم ذات خطر لانهم لا يقنعون احدا بصدق هرائهم الا كان مثلهم فى الغباء وخفة الاحلام ، والذى اراه أن ذلك الشيخ الذى كان يحدثك عن كتاب الديوان ومن حذا حذوه فى الرأى والاطلاع هم أحق بالخوض فى أحاديث الادب وابداء الاراء فى الشعر والكتابة من أولئك السائمين الهائمين على وجوههم فى تيه الخيلاء الفارغة والدعوى الكاذبة ، وبودى لو استطعت ازالة اللبس عن عقول أولئك الذين يحسبوننا فى عداد الغامطين لكل شعر غير شعر الغربيين ، فانهم يخطئون فهمنا خطأ كبيرا ، فلعل الايام تسمح لى بالافاضة فى هذا البحث واظهار معيار الجودة فى اعتقادنا اظهارا يعينهم على معرفة رأينا فى كل قصيدة قبل سؤالنا عنها وينفى عن أفكارهم شبهة التحيز التى لا يعلمون حقيقتها

١٣٨

. . . .

١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

الرسالة الثالثة

أخى الفاضل . . . .

. . . .

لم أشك فى انك كنت تعنى مقالة (الخصائص) لكارليل عند ما أخذت فى قراءة وصفك لأثر مقالته التى كنت تقرؤهاوما استجاشته من خواطرك وشجونك ، وأفعمت به نفسك من المعانى والتصورات ، فانى لا أعرف للرجل مقالة تستحوذ على لب قارئها استحواذ هذه المقالة الجزلة الممتعة — ولا غرابة ، فهى بلا ريب مفتاح فلسفته ومقياس جميع تقديراته للحوادث والرجال ، ولا يكمل درس كارليل بغير دراستها واستقصاء أسبابها من تطورات فكره ووقائع عصره . وان كان لهذه المقالة عيب فهو أنه جعل فيها الحد بين القوة والضعف فاصلا حاسما لا يعتوره وهن ولا يأذن بثلمة أو منفذ . فالذى يقرؤها يتوهم أن هناك عصورا قوية لا يتخللها ضعف واشخاصا جبابرة لا يلم بهم فتور أوشك ، والحقيقة خلاف ذلك فان أقوى العصور عرضة لنوبات الحيرة والخوف . وأقدر الرجال قمين أن يتسرب اليه الخور فى بعض هجسات نفسه وأوهام خياله ، ومن المستحيل استحالة مطلقة أن يسود الايمان الملهم عصرا كاملا أو رجلا قويا فى جميع أدوار حياته وأطوار تفكيره ؛ لأن الالهام لا يوحى التفصيل المسهب وانما يوحى خاطرا مجملا او عقيدة

غامضة ، وللفكر ان يعمل فيها تحليلاته واقيسته ويجيل فيها شكوكه ايضا، ولهذا لن تجد كاتبا او شاعرا او فيلسوفا على مستوى واحد فى فيض ذلك الوحى واغداقه ، ولهذا كانت مقالة كارليل نفسها مزيجا من الالهام والتفكير العميق والاستنتاج المختلف صوابا وخطأ وحكمة وشططا، وانتم مصيبون فيما لحظتموه من كثرة التفكير فيها على غمطة لقيمة والتفكير فى كثير من عباراتها — وهو معذور فى ذلك — الم تعرض للانبياء والقديسين وساوس وشكوك تقبض الصدور وتشغل الافكار ؟ ؟ وليست هذه الوساوس والشكوك التى كانوا يسمونها اغواء وخداعا من الابالسة والشياطين الا فترات الضعف فى الايمان واحتجاب الالهام ، والا ذلك التردد الذى كان يشكوه كارليل ويقول من شدة بغضه له انه وقف على العصور الخابية والنفوس الخافتة ، ويسميه احيانا لجاجة واحيانا جدلا واحيانا سفسطة ، حتى ليكاد يخلط بينه وبين المنطق الصحيح القويم . ولكن كارليل قليل التدقيق فى توجيهات ألفاظه بحيث يظلمه من يحكم على منطقه بكلماته الظاهرة ، ولا بد من تجريد النفس من أسر المفردات والخوض معه فى عباب المعانى حتى يعطيه القارىء حقه من الاكبار والانصاف.

قلت فى آخر خطاب لك أنك أحببت أن تسألنى عن قولى : اقصد الغربيين « أن القوم مغرورون بمدنيتهم الخ » فالذى اقصده بهذه العبارة هو أنى لا أقيس مدنية الغرب بعدد مخترعاتها الحديثة ولكن بالملكات والمواهب التى انتجتها . فهل بين هذه الملكات ما هو أعظم وأجل وأرفع من الملكات التى أبدعت صناعات المدنيات الغابرة و[illegible]لومها وفنونها ؟ ؟ ان كان ثمت فرق فهو يسير جدا . نعم يسير جدا بالنسبة الى غطرسة المدنية الغربية ودعاواها ؛ وانا أعتقد اعتقادا جازما أن القمة الروحية

التى ارتقى اليها نساك الشرق وفـلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، وان هذا التقصير عيب كمين فيهـم ، ويكفى أن أوروبا لم تنبت نبيا وانها عالة على الشرق فيما تدين به . أن من يقرأ فلسفة البراهمة ليشعر بصغر اكبر أبطال الغرب الروحيين بجانب أولئك المردة الاشداء ، انى لاحسب أن كل مهمة المدنيـة الغربية هى أن تستحث حياتنا المادية أو الحيوانية على اللحاق بتلك الغاية البعيـدة التى أوغلت اليها روحانية الشرق ، اما أن تسبقها او تبتـكرها فلا — وكأنما الغرب اليوم خادم قوى يبدأ بان يقطع الطريق نفسها : الطريق التى سبق السيد (١) فاجتازها ولـكنه لم يجلب معه مؤنة رحلته واسباب وقايته ، فاذا ما التقى الركبان يوما تبين السابق من المسبوق وعرفت لـكل قيمة مزيته

حبذا لو تـكرمتم فاطلعتموني من انباء العاصمة الادبيـة والسياسية على ما يفوتنى علمه بسبب مقامى فى اسوان وسلامى اليكم والى الاخوان جميعا .

الرسالة الرابعة

أخى الفاضل . . . .

. . . .

تسلمت روايتى بلزاك ومرديث وقد شوقتنى اليهما وسأبدأ بقراءة رواية مرديث قريبا ولـكن ربما مضت برهة قبل اتمامها لان الرواية طويلة ولست أمعن فى القراءة اليوم الا قليـلا ، وسألقاك قريبا فى كل موضع التفات من الرواية ، فان للروايات والـكتب معالم تعبرها الافكار فتلتقى.

(١) أى الشرق

١٤١

عند الاشتراك فى القراءة ، وهي بهذا المعرض تلتقى مواجهة لا بالذكرى التى لا يتلاقى بغيرها الجائزون بمعالم الطريق

الخلاف فى أمر المدنية الغربية الحديثة يمكن حصره ، فان كان القصد من تعظيمها انها بلغت بالصناعات والمعلومات حداً لم يتقدمها اليه متقدم معروف فذلك حق لا ريب فيه ولها الشكر الجزيل عليه . أما ان كان القصد ان هذا التقدم يستلزم حتما تفوقاً فى الملكات وطاقة العقول : فهنا يقع الخلاف الكثير — فقد يخترع الرجل اداة لطبع الف نسخة فى الساعة ثم يجيء غيره فيخترع آلة أخرى تطبع عشرة آلاف نسخة ولا يفهم من هذا ان له من الذكاء والفطنة عشرة أضعاف ما للاول لان اختراعه اسرع بهذه النسبة . وقد يبتعد السائر عشر مراحل عن نقطة فلا يؤخذ من هذا انه أقوى على السير ممن لم يبتعد عنها الا بتسع مراحل ، لان الاول ربما لم يسر الا مرحلة واحدة بدأها من حيث انتهى سابقه ، وخلاصة رأيي ان مدنية الغرب الحديثة ليست ببعيدة الغور فى نفس الانسان فان اليابان قد أصبحت لها فى مدى ثلاثين أو أربعين سنة مدنية مصنوعات ومعلومات كمدنية اوربا على العموم ، فهل يقال ان مدنية تنقل فى أقل من عمر رجل واحد تعد شوطا كبيرا فى تقدم النوع الانسانى ؟؟ وماذا فى صحة المعلومات فى ذاتها من الدلالة على عظم القوة المفكرة ؟ ان التلميذ الصغير اليوم لأصح علما فيما يلقنه من الدروس من أبى الطيب أو افلاطون ، ولكن أين عقل الصبى من عقل الشاعر الحكيم أو الفيلسوف المبتكر ؟ وآذا نظرنا الى الرفاهة [illegible] فهل يسعنا الجزم بان مدنية أوربا الحديثة زادت سعادة الانسان أو خففت من شقائه ؟؟ قارن بين رجلين أحدهما ممثل لمدنية قديمة عالية والثانى ممثل لمدنية العصر

١٤٢

الحاضر — فلا يبعد بل الارجح انك تجد الاول أفخر ثيابا وأشهى طعاما وأجمل مسكناوأصح جسدا من رفيقه ، ولا تعرف لمدنيـة الآخر مزية حتى تسأل فى كم من الزمن صنعت ثيابه أو بنى بيته . هنا لك تظهر لنامزية السرعة ، ولـكن ماذا وراء ذلك ؟ سرعة المخترعات لاتستلزم تفوق القوى المخترعة وأما بعد ذلك فلا الصانع الحديث ولا المستفيد بصناعته أسعد حالا من زميليهما فى القدم . ازيد على ماتقدم أن الصانع القديم كان أصنع يدا وادق حاسة وأكثر مراناً على استخدام أعضائه من الصانع الحديث الذى صيرته المخترعات آلة تدير آلة ، وانى لاعرف فى الريف نجارين ينظر أحدهم الى الخشبة فيقول انها زائدة فاذا قاسها لم يجدها تزيد بأكثر من نصف قيراط ، ولم ار نجارا واحداً تعود الاعتماد على القياس فى جميع أعماله يدرك ضعف هذا الفرق

أما كتب الديانة البرهميه فاشهرها على ما أذكر

Vedas , Ramayna, Mahabharata

وهناك كتب اخرى لااضبط اسماءها لـكثرة حروفها وحركاتها . وليست للـكتب المذكورة طلاوة كتاب كسادهانا ولا امتاعه الشعرى والادبى لانها لم تكن الامجموعة شـعائر وقصص ، وأمثال ومحاورات ، هى الديانة البرهمية كما شاء كهان الهند أن يبرزوها للانظار لا كما هى فى لبابها المجرد ، لـكن لايؤخذ من هذا انها خالية مما يدل على سمو الروح وعلوها فى سبحات الفلسفة الدينية وتعطشها الى ادراك اعلى الـكمال المقدور لها فى دنياها . خذ مثلا عقيدة تناسخ الارواح ثم اتصالها بعد التطهير بالروح الـكلى الاعلى ، فأى فرض أو أى استدراك مما يرد على الباحث فى مصير الروح الانسانية لم يلحظ فى هذه العقيدة المضحكة لمن لم يجشم نفسه هذه المباحث ،

١٤٣

ففى هذه العقيدة ملحوظ ضعف القول بقسمة الحياة الى دورين فى احدهما النعيم السرمد أو الشقاء السرمد وفى الآخر التجربة والتحضير ، مع العلم بان هذه التجربة لا تتساوى فيها الفرص ولا الحظوظ ولا النتائج؛ وملحوظ فيها الرد على الذين يقولون (اوليفرلودج يقول بهذا الآن) ان الروح الحرة ارسلت الى العالم لتتقوى بمصادمة قيود المادة ، اذ يرد عليهم بان الطفل قد يعمر وقد يموت صغيرا فماذا يكون نصيب المعاجل فى حياته من ذاك التقوى المقصود من الازل ؟ ؟ وملحوظ فيها عدم اطمئنان الفكر الى بقاء الروح منفصلة عن الروح الكلى فى العالم الاخير مع بعدها عن مرتبة الكمال وهى مفطورة على طلبه . وملحوظ فيها غرابة القول بالشقاء السرمد أو حصول الجزاء فى عالم غير العالم الذى امتحن فيه الانسان بالذنوب أو تطهر فيه من العيوب ، وملحوظ فيها ما فى القول بالقضاء والقدر من التناقض الكثير الذى لا يخلص العقل من شبكته مهما اجهد نفسه ومهما بلغ من ميله الى التسليم . وملحوظ فيها وحدة الحياة من أسفل مظاهرها الى ارفع كمالاتها المطلقة . وقصارى القول أن هذه العقيدة قد لحظ فيها كل باب موصد ينتهى اليه الباحث فى أمر الروح ثم يرجع عنه طائعا أو مكرها

قارن هذا بقنوع العالم الغربى بعقيدة الخلاص على كونها مقتبسة بقضها وقضيضها من البرهمية ، واذكر ان البرهمية كملت قبل ثلاثة آلاف سنة وان الانسان بطىء فى تغيره من عقيدة الى عقيدة ومن فرض الى فرض ، وانظر بعد المسافة الهائل الذى يفصل هذين العالمين من هذه الوجهة. أما الفلسفة اليونانية فاعظم فلاسفتها الا لاهيين افلاطون . فاما خلود الروح فقد نقل القول به من الشرق وأما فكرة الـ Ideas التى أخاله انفرد بها

١٤٤

بين فلاسفة قومه فهى لعبة أطفال بجانب ذلك المحيط الزاخر العميق . ومن هنا أعذر شوبنهور فى تقديس البرهمية حتى لقبوه البرهمى الحديث . وان كنت لا احسبه فهمها على الوجه الذى افهمنيه منها كتاب سادهانا ، فانى لم اقدر حقيقة المقصود بالـ Nirvana الهندية الا بعد قراءة هذا الكتاب

يطول الكلام فى هذا المضطرب وارى اننا متى التقينا امكننا التقارب فى النظر والحكم فان مايقال فى جلسة واحدة لايفى بشرحه عشرات الرسائل . وسلامى اليك والى الاخوان جميعا ١٦ — ١ — ١٩٢٢

الرسالة الخامسة

أخى الفاضل

لم اتمكن بعد من البدء فى قراءة رواية مرديث لاننا فى اسوان وفى هذا الموسم الذى لا ربيع للمدينة سواه نؤثر الجولان فى الخلاء على الجولان فى ميادين الافكار والتفرج بالنظر الى وجوه الغربيات الحسان على التفرج بالنظر الى رؤس الغربيين المتفلسفين . ولا أكذبك أن للمدنية الغربية لدينا الآن شفيعات كثيرات فاذا رايتنى اجور عليها فقد يكون الجور مبالغة فى الحذر وخوفا من المحاباة . . !

انى ابسط لك ما انكره على المدنية الغربية وما أعترف به لها وما اجدنى غير مستطيع الاعتراف به توضيحا للجوانب المختلفة من رأيى فى هذه المدنية. فأما الذى انكره عليها فان تكون قد انشأت من عندها تقدما روحانيا يضاهى تقدم الشرق أو يلحق به . واما الذى اعترف به فهو انها ابدعت فى الصناعة والعلوم مبدعات لم تسبق اليها ، وربما كان من نتائج هذه المبدعات التقريب بين قوى الانسان المادية وقواه الروحية بمدذورة

تحس فيها القوة المادية غاية جهدها فتقصر عند حدها . واما الذى لااستطيع الاعتراف به فالقول بأن للغربيين طاقة فكرية لاتلحق بها طاقة الشرقيين ارتكاناً الى مايشاهد من مخترعات وعلوم فى مدنية اوروبا الحديثة، لانى اعتقد ان الطاقة البدنية لاتقاس بنفاسة الحمل بل بوزنه فالرجل الذى يحمل قنطاراً من الحديد كالرجل الذى يحمل قنطارا من الذهب على بعد الفارق بين الحملين فى القيمة ، وكذلك الطاقة الفكرية لاتقاس بفائدة الشىء المخترع ولكن بالمجهود الذى استدعاه اظهاره فى ظروفه المحيطة به .
واني حين قلت لك ان اليابان اقتبست مدنية اوروبا فى ثلاثين او اربعين سنة لم اقصد الا ان هذه المدنية لا يدل ظهورها على خطوة واسعة فى طاقة الفكر تخطوها الفطرة الانسانية قبل ان تصطبغ بصبغتها . وقد قلت ان هذه السرعة من مفاخر مدنية العصر الحاضر لانها تختصر الوقت وتعجل قضاء المطالب فهل المقصود ان مدنية القوم اخترعت لليابانيين عقولا غير عقولهم فبفضل هذه العقول الجديدة اختصروا الوقت فاكتسبوا فى جيل واحد مالم يكونوا كاسبيه لولا ذلك فى عشرات الاجيال، وانهم اسرعوا فى التفكير قياسا على الفرق بين كتابة اليد الواحدة وكتابة المطبعة الحديثة اوعلى الفرق بين نسج النول القديم ونسج المعمل البخارى؟؟ انك لاتعنى ذلك طبعا . ومادام العقل لم يتغير فتغير المصنوعات له قيمة محدودة لايعدوها . وأحول نظرك الى ان انفراد الامم الهندوجرمانية — التى لاشك فى شرقيتها — بالنبوغ الخاص فى عالم الفلسفة والشعر بل فى عالم الصناعات أيضا لهو اكبر معين على اعطاء المواهب الشرقية حقها من تراث الانسانية الخالد وانصاف الغرب والشرق معا — حدثنى شاب أديب مجتهد يقيم الآن فى اسوان ويعنى بالمباحث الكهربائية والتلغرافية منها على

١٤٦

الخصوص ، قال ان رجلا هنديا اسمه (رامساراجام بلتورا) ادخل على التلغراف اللاسلكى تحسينا مهما مأخوذا به الآن فى جميع البلاد المتمدينة فلما شرع فى تسجيله بالهند غالطوه وتلكئوا فى اجابة طلبه واضطهدوه حتى يئس فالتجأ الى اليابان ومنها الى الولايات المتحدة وهناك سجل اختراعه ، وقال أن مصريا اسمه . . . . عدل جهاز الاشارات فى السكة الحديدية تمكن من تحويل كلتادائرتى التلغراف الى الاخرى بأسهل وسيلة فأهملوه وثبطوه وهو الآن فى الخمسين من عمره لم يتجاوز مرتبه أربعة عشر جنيها ، فاذا كان فتح المعامل فى الشرق وهي مكان التجربة والاختبار ممنوعا أو معرقلا وكان هذا نوع المكافأة التى يلقاها المجتهد خارج المعامل فنحن الشرقيين أولى من غيرنا بالتريث الطويل قبل اتخاذ الركود الصناعى فى بلادنا عرضا من أعراض النقص الملازم والقصور الدائم . وقد تكون رواية الشاب محدثى صحيحة برمتها وقد يكون بعضها غير صحيح ولكنى على كلتا الحالتين لاأرى لماذا نحكم على رجل بعيد عن الماء بأنه لن يحسن السباحة؟ولماذا نصدق القائلين بذلك ممن لا يدلون ببرهان معقول ولا يسلمون من شبهة الغرض ، وأى حجة كانت عند سكان انجلترا قبل الميلاد على من يصمهم بالعجز الاصيل عن تمريد الصروح ودرس الفلسفة ؟ ؟ لا حجة البتة ، فما قيمة حجتهم علينا ونحن سبقناهم بتاريخ يدحض هذه الحجج وليس فينا من آفة قط لا يمكن ردها الى سبب عارض قريب ؟ ؟ وقد سألتنى هل المدنية الا مصنوعات ومعلومات فجوابى أن المدنية بمعناها الحرفى هى أقل من ذلك ولكن معناها العام يشمل كل مايوضع مع الانسان فى الميزان اذا أريد تقديره فهى بهذه المثابة أقرب الى معنى الـ (Culture) فى العرف الحديث

١٤٧

ـ عقيدة الانتهاء بالنيرفانا بوذية ولكنها برهمية أيضا لان البوذيين ينسبون الى « بوذا » الرسول البرهمى فى كل شيء الا فى تقاليد الطبقات ولا يخفى أن بوذا يعبد « برهما » فليست نحلته الانحلة برهمية

ـ انى معك فى ضرورة الاهتمام بتعهد الحركة الادبية المصرية وقد قلبت مشروع انشاء مجلة على جميع الوجوه فان كانت لديكم فكرة عن مشروع آخر يخلو من بعض صعوبات المجلة المعلومة فأرجو أن تشرحوه لى ، لانى لاأرى انشاء المجلة من السهولة بحيث يقدم على كل فكرة سواه. ولا اكتمك انى ارتاب فى علة رواج كتاب الديوان فأرى أن حب الادب وحده لم يكن بأقوى البواعث على لفت الانظار اليه ، فهل تراه كان يحدث هذه الزوبعة التى أحدثها لوخلا من حملة معروفة الهدف شديدة الرماية ؟ ؟ واذا كان ذوق الجمهور لا يستفز بغير هذه الوسيلة فهل تفيده المجاراة فيه . وان افادته فهل يحتمل كاتب أن يقصر قلمه على هذا الباب من الكتابة ؟ ؟ ولست اعدد هذه الصعوبات لميل الى ترك المشروع بل لشدة ميل الى حياطته ووقايته

سلامى اليكم والى جميع الاخوان واظن انه لم يبق بيننا الاشهر فبراير القادم، اذا اعتدل الجو، ثم تجمعنا القاهرة ومجالسها المستطابة وانديتها الجميلة

٣١ ينايرسنة ١٩٢٢

التعليق على الرسائل الخمس

كان العقاد حين كتب هذه الرسائل الخمس إلى صديقه المحامى محمد طاهر راشد يقيم بأسوان مريضًا مستشفياً من مرضه الذى قضى عليه بالمكث فى بلدته شتائين متواليين ممنوعاً من الكتابة والقراءة الجادّة كما يقول . وكانت الرسائل الخاصة إلى إخوانه وسيلته للتسرية عن نفسه وتسجيل أفكاره وخواطره ، ومن هنا كانت هذه الرسائل أقرب إلى الكتابة الأدبية فيما تتناوله من موضوعات وماتعرض له من آراء . وكأنما رأى الأستاذ طاهر راشد أن يتيح لصديقه – فى فترة اعتكافه وانقطاعه عن الكتابة – نوعاً من الحضور الأدبى على صفحات الصحف وتجديد صلته بالقراء ، فبعث بهذه الرسائل إلى صحيفة « الرجاء » الأسبوعية [١] لتنشرها ، حيث رآها جديرة بالنشر ؛ ولا شكّ فى أنها كذلك ؛ والأرجح أنه لم يرجع إلى العقاد فى أمر النشر ، بل أخذه على عاتقه . ولا شك أن العقاد قد ارتضى صنيع صديقه بدليل أنه أعاد نشر الرسائل فى كتاب الفصول حيث أخذت مكانها فى سجل الأدب العام ، وصارت جزءاً من تراث العقاد الباقى على الزمن .

وتجئ هذه الرسائل صدىً لما كان يشغل به العقاد أوقاته من القراءات « الخفيفة » التى لا تثقل عليه أو ترهقه ، وهى فى الحق خليقة أن ترهق كثيرين غيره من الأصحّاء الأشدّاء ، فها هو فى الرسالتين الأولى والثانية يتحدث عن كتاب « سادْهَانَا » sadhana لشاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور Rabindranat Tagore (١٨٦١ – ١٩٤١) ، وما أدراك ما السّادهانا ؟ إنّها رحلة روحية تحلّق فى آفاق الكون وتتطلع إلى تحقيق كنه الحياة وسبْر أغوارها . ويصف العقاد الكتاب بأنه سِفْر من أجلّ أسفار الدنيا وأحقّها بالدرس والتأمل . ويبلغ من إعجابه به أن يقول عنه أنه لم يكد يفرغ منه إلاّ على شوقٍ إلى إعادة قراءته . وبالفعل نجد العقاد

---

(١) صدرت بالقاهرة فى الفترة بين فبراير ونوفمبر سنة ١٩٢٢ لصاحبة امتيازها ليلى عبد الحميد الشريف (انظر فهرس الدوريات العربية التى تقتنيها دار الكتب المصرية ، الجزء الأول ، ١٩٦١ ، صفحة ٩٥) .

يعاود الكتابة عنه فى سنة ١٩٢٦ فى إحدى مقالات « ساعات بين الكتب » [١] ، ويذكر عهده به فيقول : « قرأت هذا الكتاب أوّل مرة منذ خمس سنوات عند هياكل الأقصر وأطلال معابدها الدّارسة ، فجمعت فيه بين حكمة البراهمة وحكمة الكهنة على بعد ما بينهما من المسافة فى الباطن والتمثيل الظاهر » ، ويقول أيضاً : « رجعت إلى السادهانا فقرأتها فى هذه المرة كأنما أسمعها نشيدًا أو أحسّ صداها يتجاوب بين عمدان الفراعنة وحجرات الكهان ، ورأيت من ذلك كله صورة قدسية يظلّلها القِدَم وتحفّها مصر والهند بخير مافيهما من ودائع الدهور وذخائر العقول ، فقضيت عندها ساعة خشوعٍ وسلامٍ ... » [٢] .

* * *

ويتحدث العقاد فى الرسالة الثالثة عن الكاتب الإيقوسى الكبير توماس كارلايل Thomas Carlyle (١٧٩٥ – ١٨٨١) ، ويشير إلى مقالته الجامعة الماتعة « الخصائص » Caracterestics ، وهى ككل كتابات كارلايل حافلة بكل عجيب ومستطرف ، وقد تناول فيها أشتاتًا من القضايا والأفكار والخواطر فى مختلف جوانب الحياة والناس . ويقول عنها العقاد : « إننى لا أعرف للرجل مقالة تستحوذ على لبِّ قارئها استحواذ هذه المقالة الجزلة الممتعة » [٣] . وقد كان كارلايل على رأس الكتاب الأثيرين عند العقاد حتى ليقول عنه أنه « أحد أولئك الكتاب القلائل الذين نتحاشى الكتابة عنهم لأننا نعلم أن حقّهم عندنا لا تفى به مقالة واحدة ولا عشر مقالات ، وأنّ شرح آرائهم يرجع بنا إلى استئناف حياتنا الأدبية وتجاربنا الفكرية والنفسية من بدايتها إلى هذه الساعة ... فالتعقيب على كاتبٍ كهذا هو بمثابة عَصْر عشرين سنة من الحياة لاستخراج رحيقها واستجماع خلاصتها والموازنة بين عناصرها » [٤] .

---

(١) البلاغ الأسبوعى ، العدد الثالث ، فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وانظر : ساعات بين الكتب ، الجزء الأول (١٩٢٩) ، صفحة ١١

(٢) ساعات بين الكتب ، الجزء الأول ، « كتاب سادهانا للحكيم الهندى تاجور » صفحة (١٢)

(٣) الفصول ، صفحة (١٣٨) .

ويستطيع القارئ أن يرجع إلى هذه المقالة فى طبعة افريمان (Everymans Liberary No. 703) من كتاب كارلايل بعنوان (Schottish and other critical Miscellanies) وقد أعيد طبعه مراراً .

(٤) ساعات بين الكتب ، صفحة ١٥٢ ، مع اختصار يسير .

وكما لم يتح للعقاد أن يكتب عن كارلايل بتوسع واستفاضةٍ فى تلك المرحلة الباكرة من حياته التى كان منصرفاً فيها إلى كتابة المقالات الأدبية والنقدية فى الأغلب الأعم ، وإن يكن قد تناوله مرة أخرى وهو يعرض لترجمة كتاب من أهم كتبه هو كتاب Sartor Resartus« زارتوس ريزارتوس » ومعناها « الخائط يرفو » أو فلسفة الملابس كما اختار له مترجمه الأستاذ طه السباعى [1] ، فإننا نراه فى مراحله التالية حين اتجه بإنتاجه الأدبى إلى دراسة شخصيات العظماء والنوابغ فى كل مجال ومن كل طراز ؛ لا يكتب عن كارلايل أو عن هازلت وهينى وتوماس هاردى ، وقد كانوا أحب الأدباء والشعراء الغربيين إلى قلبه وآثرهم عنده وأكثرهم تردادًا فى كتاباته وأحاديثه ، فلم يخص أحداً منهم بكتابٍ عنه ، على حين وسعه أن يكتب عن فرانسيس باكون ، وبنجامين فرنكلين ، وسن يات سن ، وهتلر وغيرهم. وليس المقصود هنا المفاضلة بين هؤلاء وأولئك ، أوبين أنماط العبقرية المختلفة ، ولكننا ننظر إلى الأمر من زاوية اهتمامات العقاد وتوجهاته الفكرية والنفسية بين عهدين من حياته .

* * *

ومن النصوص اللافتة فى هذه الرسائل ماذكره العقاد فى الرسالة الأخيرة عن كتاب « الديوان فى النقد والأدب » الذى ألّفه بالاشتراك مع الأستاذ المازنى ، والذى أعيد طبعه بعد أسبوع واحدٍ من صدور طبعته الأولى [2] ، فقال فى تعليل رواجه هذا الرواج الذى لم يسبق لكتابٍ عربيّ حديث : « لا أكتمك أننى أرتاب فى علّة رواج كتاب الديوان فأرى أن حبّ الأدب وحده لم يكن بأقوى البواعث

---

(١) طه محمد عبد الوهاب السباعى « باشا » (١٨٩٠ - ١٩٨٤) من الآحاد المعدودين بين خبراء الاقتصاد فى مصر ، كان وكيلاً دائماً لوزارة المالية لشئون الميزانية فترة طويلة ، ثم شغل منصب الوزارة فى بعض وزارات ماقبل الثورة . وكان إلى جانب ذلك أديباً بليغ الأسلوب قوى الديباجة ، له مشاركة فى الترجمة الأدبية ومن مترجماته كتاب الحرية لجون ستيوارت مل on Liberty - John Stuart Mill) ، واشترك مع أخيه الأكبر الأستاذ محمد السباعى (١٨٨١ - ١٩٣١) فى ترجمة رواية هنرى ازمند Henry Esmond للروائى الإنجليزى الشهير وليم ماكبيس ثاكرى W. Makepeace Thackeray (١٨١١ - ١٨٦٣) .

(٢) العقاد : أفيون الشعوب ، المذاهب الهدّامة ، الفصل الأخير ، صفحة (١٤٢)

على لفت الأنظار إليه ، فهل تراه كان يُحدث هذه الزوبعة التى أحدثها لو خلا من حملةٍ معروفة الهدف شديدة الرماية ؟؟ وإذا كان ذوق الجمهور لا يُستفزّ بغير هذه الوسيلة فهل تفيده المجاراة فيه ، وإن أفادته فهل يحتمل كاتب أن يقصر قلمه على هذا الباب من الكتابة ؟؟ » .. وهو نصّ دالٌّ وكاشفٌ ، فلعلّه لهذا السبب اجتزأ العقاد والمازنى بالجزئين اللذين صدراً من الديوان بعد أن أعلنا بدايةً أنه يتم فى عشرة أجزاء .

* * *

ثلاث رسائل
لم يسبق نشـــرها

الرسالة الأولى

أخى الفاضل

بودّنا لو أمكننا أن نلحق بكم فنشاطركم مرح الإسكندرية واعتدال جوّها فى هذا الأوان ولكننا لسوء الحظ لا نستطيع . أمّا أنا فلأنّ خالى الكبير (*) قد حضر من أسوان مستشفيًا ولا يسعنى إلاّ ملازمته وتفقّد حالته وإرشاده فى مايسأل عنه من وسائل العلاج . وأمّا صدقى (**) فالمنظور أن يرجئوا إجازته وإجازات زملائه ترقّبًا لتقرير ملحقٍ للامتحانات المدرسية الأخيرة فإذا عدلوا عن هذا الإرجاء فربما لحق بكم فى أيام العيد . فدَعْنا نَكِل إليكم استيفاء حظنا من السرور بالاسكندرية مع حظكم ، ولا تظن أنّنا نكلفكم شططًا لأن قليلاً من السرور يكفينا فى هذه الأيام التى لا تُطمع الناس فى السرور الكثير .

إننى أعذركم فى خوفكم من البحر ، فإن البحر إله مخيف لمن لا يؤدى له صلاته الواجبة ، وما صلاته الواجبة إلاّ حركات جسمانية يسمّونها السباحة ، فإذا توسّلت إليه بها فقد أمنت جانبه وحلّت لك مداعبة ذلك الجبار العظيم والعبث بغضبه . ولا عجب .. أليس كذلك ترضى الآلهة ؟؟ فالحركات الجسمانية التى قد نحتقرها عليها معوّل عظيم فى هذا الوجود ... وكم من أناسٍ غرقوا فى بحر الحياة لأنهم لا يحسنون أداء بعض الحركات .. حركة سلام مثلاً أو إشارة رضًى وامتثال !!

(*) هو – على ما حدثنى به ابن أخيه الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف – السيد « على بن محمد على أغا الشريف » أكبر أخوال العقاد .

(**) الأستاذ عبد الرحمن صدقى وكان يعمل وقتذاك بمراقبة الامتحانات بوزارة المعارف العمومية .

اخى الفاضل

بودنا لو امكننا ان نلحق بكم فنشاطركم مرح الاسكندرية واعتدال جوها فى هذا الاوان ولكننا لسوء الحظ لا نستطيع. اما انا فلان خالى الكبير قد حضر من اسوان مستشفيا ولا بد من الملازمة وتفقد حالته وارشاده فى ما يسأل عنه من وسائل العلاج واما صدقى فالمنتظر ان يرجئوا اجازته واجازات زملائه ترقبا لتقرير ملحق للامتحانات المدرسية الاخيرة فاذا عدلوا عن هذا الارجاء فربما لحق بكم فى ايام العيد. فدعنا نكل اليكم استيفاء حظنا من السرور بالاسكندرية مع حظكم ولا نظن اننا نكلفكم شططا لأنه قليلا من السرور يكفينا فى هذه الايام التى لا تطمع الناس فى السرور الكثير

انى اعذركم فى خوفكم من البحر فانه البحر الذى يخيف لمن لا يؤدى له صلاته الواجبة وما صلاته الواجبة الا حركات جسمانية يسمونها السباحة فاذا توسلت اليه بها فقد امنت جانبه وحلت لك مداعبة ذلك الجبار العظيم والعبث بغضبه. ولا عجب. اليست كذلك الصلاة فى الديانات ترضى الآلهة؟؟ فالحركات الجسمانية التى قد تحتقرها عليها معول عظيم فى هذا الوجود... وكم من اناس غرقوا فى بحر الحياة لانهم لا يحسنون اداء بعض الحركات ... حركة سلام مثلا او اشارة رضى وامتثال !!

ولقد انصفت شكرى واذكرتنى اننى نسيت ان اشير فى ما اشرت اليه من صفاته الى ذلك الضعف الذى يبدو منه عند الاستدلال واقامة

ولقد أنصفتَ شكرى (*) وأذكرتنى أننى نسيت أن أشير فى ما أشرت إليه من صفاته إلى ذلك الضعف الذى يبدو منه عند الاستدلال وإقامة الحجّة على صحة رأيٍ يرتئيه . ولعل سبب ذلك أننى وشكرى كنا نتقارب حكمًا فى أكثر الموضوعات الأدبية والفكرية التى نطرقها فلا أحتاج منه إلى بيان الحجّة التى يبنى عليها حكمه ، وأننى من جهة أخرى كنت أعرف أن إحساسه العارض يقلب آراءه من جانب إلى جانب فلا أُعنى باستطلاع مصدر تقلّبه ولا سيّما فى الخطرات والبدوات التى لا يهمنى أن أحوّل فيها رأيه إلى جانبى . وأرى أن هذا النقص المنطقى مما يطّرد مع ماهو معروف معهود من استعداد شكرى وطبيعة ملكاته ، فإنه لم يزلْ من آفته العجزُ عن توفية الأداء وتجلية ما يختلج فى صدره من شعور لأنّ له قدرة على التحصيل أكبر من قدرته على الإنتاج . ومع ذلك فإننى واثق من أنكم ستجدون شكرى فى مجالسه أكبر مـمّا مثّلته لكم قصائده ومؤلفاته .

أرجو أن تذكّروا أدهم افندى (**) بالحديث الشريف « لا تمارضوا فتمرضوا » لأننا نريده فى القاهرة قريباً ، وقولوا له إن لم يقتنع بالحديث أنّه لم يُؤْثَر عن شوبنهور وشلجل وهجل وفيخت وكانت (***) .. وكارليل أنهم كانوا يتمارضون ، فليحسن التلمذة . وسلامى على الإخوان جميعا .

١٦ يولية سنة ١٩٢٢

المخلص

عباس محمود العقاد

(*) الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ - ١٩٥٨) أحد أقطاب المدرسة الحديثة فى الأدب المصرى فى مطلع القرن العشرين .

(**) الأستاذ على أدهم الكاتب المؤرخ الناقد البحاثة الثقة (١٨٩٧ - ١٩٨١) وهو من أقدم أصدقاء العقاد وعارفى قدره .

(***) من أكبر الفلاسفة الألمان فى عصرهم وفى سائر العصور ، وكارلايل سبق التعريف به ، وكان الأستاذ أدهم يدمن قراءتهم .

الحجة على صحة رأي يرتئيه . ولعل سبب ذلك أني وشكري كنا نتقارب حكما في أكثر الموضوعات الادبية
والفكرية التي نطرقها فلا احتاج منه الى بيان الحجة التي يبني عليها حكمه واني من جهة اخرى كنت اعرف
انه احساس العارض يقلب آراءه من جانب الى جانب فلا اعنى باستطلاع مصدر تقلبه ولا باستيفاء الحالات
والبدوات التي لا يمضي أن احول فيها رأيه الى جانبي . وارى أن هذا النقص المنطقي مما يطرد مع ما هو
معروف معهود قديما من استعداد شكري وطبيعة ملكاته فانه لم يزل من آفة العجز عن توضيح الاداء وتجلية
ما يختلج في صدره من شعور لا من قدرة على التخصيص أكبر من قدرته على الانتاج . ومع ذلك
فاني واثق من انكم ستجدون شكري في مجالس الكرم مما مثلته لكم قصائده ومؤلفاته
ارجو أن تذكروا الادهم افندي بالحديث الشريف «لا تمارضوا فتمرضوا» لانه نرجو ان يكون
في القاهرة قريبا . وقولوا له انه لم يقتنع بالحديث انه لم يؤثر عن شوبنهور وشلي [illegible] وهيني
وكانت .. ومكارثي [?] انهم كانوا يتمارضون . فليحسن التلمذة . وسلامي على الاخوان جميعا

المخلص

عباس محمود العقاد

١٦ يوليو ١٩٢٢

التعليق على الرسالة

يتحدث العقاد عن صديقه الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى فيشير إلى جانب من جوانبه فيما يسمّيه « الضعف الذى يبدو منه عند الاستدلال وإقامة الحجة على صحّة رأيٍ يرتئيه » ، ويعلّل العقاد لذلك تعليله الذى يراه من وجهة نظره ، وقد يرى البعض أن هذا الرأى فى حاجةٍ إلى مناقشته ، وليس هنا مجال هذه المناقشة . على أن العقاد لا يفوته أن يقرّر رأيه الذى كان يراه دائماً من أن شكرى فى أحاديثه المرتجلة فى مجالسه وأسماره أكبر مما تمثله قصائده ومؤلفاته ، أو كما قال عنه بعد وفاته : « لم يكن أمتع من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربية أو الأوربية ويعلّق عليها بيتًا بيتًا أمثال هذه التعليقات .. وماكتبه من النقد فى مؤلفاته قطرة من بحرٍ من تلك الآراء النفيسة التى كان يرسلها عفو الساعة ولا يعنى بتقييدها »[١] .

* * *

(١) العقاد : « عبد الرحمن شكرى فى الميزان » ، مجلة الهلال ، فبراير ١٩٥٩ ، صفحة ٢٤
وانظر : « حياة قلم » كتاب الهلال ، ديسمبر ١٩٦٤ ، صفحة ١٩٣

الرسالة الثانية

أسوان فى ٣١ مارس سنة ١٩٢٣

أخى الأديب

صدق الذى أخبركم بأن حضورى إلى القاهرة كان منتظراً قبل اجتماع نقابة الصحف ولكنه لم يُصِبْ كل الصواب لأننى دعيت إلى عملٍ فى الصحافة فلم توافقنى ظروفه ولم يبق من داعٍ إلى السفر . ولو أننى ملكت الخيار الآن لاخترت البقاء فى أسوان وتجربة الصيف هذا العام فيها لعلّى أحتمله فأتغلّب على هذه العقبة التى تقضى علىّ بالإقامة الدائمة فى القاهرة . وأكبر ما يشغلنى الآن تدبير معيشة مقيمة فى أسوان مع حسبان الحساب لأيّامٍ أقضيها فى القاهرة أو أسابيع عند اشتداد القيظ ، وما أُوثر ذلك إلاّ لأن تكاليف الحياة أهون علىّ هنا من كل وجهةٍ .

وقد وردنى أمس خطاب يدعونى إلى عملٍ صحفىّ فأجبت عليه بشروطٍ أراها لازمةً وليتها لا تُقبل . أما إذا قبلت فسأكون بالقاهرة قبل العاشر من ابريل . وعلى هذا التقدير أحيّيكم وأهديكم سلامى إلى الملتقى .

المخلص

عباس محمود العقاد

اسوان في ١١ مارس ١٩٢٢

اخى ابراهيم

صدق الذين اخبروكم بأن حضوري الى القاهرة كان منتظرا قبل اجتماع نقابة الصحف ولكنه لم يصب كل الصواب لانني رغبت في العمل في الصحافة فلم توافقني ظروفي ولم يبق من داع الى السفر . ولو انني متحقق الخير الان لاخترت البقاء في اسوان وتجربة الصيف هذا العام فيها لعلي احتمله فأتغلب على هذه العقبة التي تقضي علي بالاقامة الدائمة في القاهرة . واكبر ما يشغلني الان تدبير معيشة مقيمة في اسوان مع حسبانها الى بالايام اقضيها في القاهرة او اسابيع عند اشتداد القيظ وما اوثر ذلك الا لان تكاليف الحياة اهون علي هنا من كل وجهة

وقد ورد الى امس خطاب يدعوني الى عمل صحفي فأجبته عليه بشروط اراها لازمة وليتها لا تقبل . اما اذا قبلت فسأكون بالقاهرة قبل العاشر من ابريل . وعلى هذا التقدير احييكم واحيي سلوى الى الملتقى

المخلص

عباس محمود العقاد



مصر

شارع الخليج - السيدة زينب



حضرة الفاضل الاستاذ طاهر افندي راشد المحامي

بمنزل رقم ١٨٩ شارع الخليج - السيدة زينب

التعليق على الرسالة

عُطّلت صحيفة « البلاغ » ، لصاحبها الأستاذ عبد القادر حمزة [١] تعطيلاً إدارياً اعتباراً من ٧ مارس ١٩٢٣ ، سافر العقاد - محرّر البلاغ الأول - بعدها إلى بلدته أسوان . ولسنا نعلم على التحقيق ماهية الدعوة للعمل الصحفى الذى دُعى إليه العقاد فلم توافقه ظروفه . أما الدعوة التى وردته فأجابها بشروطه فهى ، على الأرجح ، دعوة الأستاذ عبد القادر حمزة للمشاركة فى تحرير صحيفة « الرشيد » التى حلّت محلّ البلاغ فى فترة تعطيله . وقد شارك العقاد فى تحرير هذه الصحيفة مدّة حتى عاد البلاغ إلى الصدور فى اليوم الثامن عشر من شهر يونية ١٩٢٣ [٢] فعاد العقاد إلى استئناف الكتابة فيه .

* * *

(١) عبد القادر حمزة « باشا » (١٨٨٠ - ١٩٤١) من أقطاب الصحافة فى مصر ومن كبار الكتّاب فى السياسة الوطنية ، وصاحب صحيفة « البلاغ » وغيرها من الصحف التى حلت محل البلاغ فى فترات تعطيلها فى بعض العهود . وله مشاركة فى كتابة التاريخ منها كتابه القيم « على هامش التاريخ المصرى القديم » . اختير فى سنواته الأخيرة عضواً بمجلس الشيوخ المصرى وعضواً بمجمع اللغة العربية .

وكان العقاد زميله وشريكه فى تحرير البلاغ لفترات طويلة من عهودها ، وقد أشار إلى ذلك فى رثائه له بقوله :

علمى به علم المُطالع زاده ... علمٌ على بُعدٍ وعلم مُعاشِرِ
كم مرّ من يومٍ ضحوكٍ بيننا ... أو مرّ من يومٍ عبوسٍ كاشر
خضنا الحياة معاً على علّاتها ... متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معاً فى حلبةٍ ... عَزّت على غير الطمرّ الضامر

(٢) راسم محمد الجمال : عباس العقاد رجل الصحافة ، رجل السياسة ، صفحة ٥٦ وانظر : د. حمدى السكوت : أعلام الأدب المعاصر فى مصر (٥) عباس محمـــود العقاد ، (٢٨٦/١)

الرسالة الثالثة

أخى الفاضل

سلاماً وشوقاً . لا نعلم إلى الآن ماهى مواد الدستور الذى أعلنوه واحتفلوا به هنا ، فإذا صحّ أنه سيلغى أوقد ألغى قانون المطبوعات وأباح إصدار الصحف لمن يشاء فقد أصبحت أيامى فى أسوان معدودة . على أنه إن لم يكن كذلك فلست أحسبنى أطيل المقام هنا لأننى علمت أنّ عبد القادر أفندى (*) يسعى فى الاتفاق على إصدار جريدة تنوب عن البلاغ إلى حين . ولهذا ستجد دعوة الليالى المقمرة فى صيف القاهرة قبولاً منّى لأنها على الأقل مصحوبة بدعوةٍ أخرى لا يسعنى الإعراض عنها .

كتب إلىّ صاحب المشكاة (**) يقترح علىّ إصدار المجلة ويتكفل بنصف مصروفاتها فكتبت إليه بأن الاتفاق على ذلك مرهون بحضورى إلى القاهرة . ولعلكم تستطيعون إقناعه بالتزام الراحة التامة فإنها خير علاج .

سيروقك من « كد » (***) كثير من آرائه ، ولكنك ربما مللت إسهابه وتكراره الذى هو أشبه بأسلوب الصحف الدارج منه بالأسلوب العلمى المحكم ، وستلاحظ عليه غلوّه فى تقرير بعض النظريات وتأكيدها ذاهباً بذلك إلى تثبيتها فى أذهان قرائه وتقريبها من مألوفهم ولا سيما فى كتابه علم القوة ، وستحمد منه سعة نطاقه على قرب قراره أحيانًا ، ولكنه بعد كل ما يقال فيه حقيق بالدرس والتقدير .

(*) هو الأستاذ عبد القادر حمزة المشار إليه فى الرسالة السابقة .

(**) مجلة جامعة مصورة نصف شهرية لمنشئها محمود أنيس ، صدرت بالقاهرة فى المدة بين أول يناير و ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ ، وكان من كتابها الأساتذة محمد السباعى والعقاد والمازنى وعلى أدهم وعبد الرحمن صدقى وحسن محمود وغيرهم .

(***) بنيامين كِدْ Binjamin Kidd كاتب انجليزى عرف بمؤلفاته فى الموضوعات الاجتماعية وقضايا المرأة والمجتمع خلال القرن التاسع عشر .

أخي الفاضل

سلاماً وشوقاً. لا نعلم إلى الآن ماهي مواد الدستور الذي
أعلنوه واحتفلوا به هنا فهل ترى أنه سيلغى أو قد ألغي قانون
المطبوعات وأبيح إصدار الصحف لمن يشاء فقد أصبحت آمالي في
أسواقه مصدودة. على أنه إن لم يكن كذلك فلست أحسبني أطيل
المقام هنا لأنني علمت أن عبد القادر أفندي سيسعى في الاتفاق
على إصدار جريدة تنوب عن البلاغ إلى حين ولهذا أستجيب
دعوة الليالي المصرية في صحف القاهرة قبولاً مني لأنها
على الأقل مصحوبة بدعوة أخرى لا يمكنني الإعراض عنها

كتب إلي صاحب المشكاة يقترح علي إصدار المجلة ويتكفل
بنصف مصروفاتها فكتبت إليه بأن الاتفاق على ذلك رهين
بحضوري إلى القاهرة. ولعلكم تستطيعون إقناعه بالتزام
الراحة التامة فإنها خير علاج

سيدي وقتك قد أكون كثرت من آرائي ولكنك ربما مللت

لا أعلم من أخبار رفعت أفندى (*) شيئًا ، فأرجو أن تبلغه سلامى ، ومنّى إليك السلام

المخلص

عباس محمود العقاد

٢١ ابريل سنة ١٩٢٣

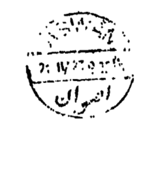
(*) الأستاذ محمد رفعت أحد أعضاء الندوة العقادية فى عهدها الأول ، وعضو حديقة الحيوان الآدمية ، وكان مكانه منها قفص الأرنب .

اسهاب وتكراره الذي صاحبه باسلوب الصحف الدارج منه بالاسلوب
العلمي المحكم. ويستلاحظ عليه غلوه في تقرير بعض النظريات وتأكيدها
ذاهبا بذلك الى تثبيتها في اذهان قرائه وتقريبها الى مألوفهم ولا سيما في
كتابه علم القوة ويستمد من سعة نطاقه على قرب وارد احيانا ولكنه بعد كل
ما يقال فيه حقيق بالدرس والتقدير

ولا اعلم من اخبار رفعت افندي شيئا فارجو ان تبلغه سلامي ومني
اليك السلام المخلص

عباس محمود العقاد

١١ ابريل ١٩٢٢



مصر

شارع الخليج - السيدة زينب

الاستاذ الفاضل طاهر افندي راشد المحامي

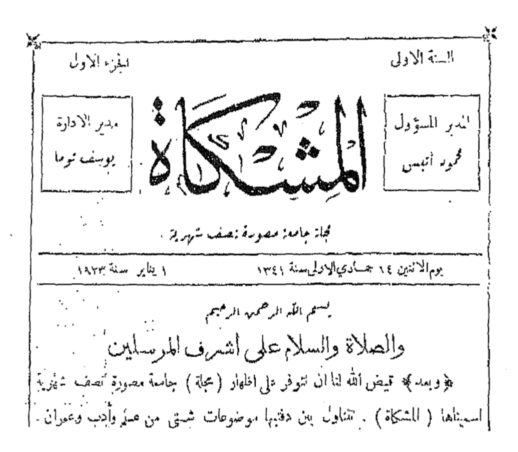
بمنزل رقم (١٨٩) بشارع الخليج - السيدة زينب

التعليق على الرسالة

يقول العقاد فى هذه الرسالة : « ستجد دعوة الليالى المقمرة فى صيف القاهرة قبولاً منّى لأنها على الأقل مصحوبة بدعوة أخرى لا يسعنى الإعراض عنها » .

وأكبر الظن أن هذه الدعوة الأخرى التى يشير إليها هى دعوة الأديبة النابغة « ميّ » ، وكان العقاد قد بدأ يتردد على نديّها الأدبى ، ويصغو إليها بفكره وقلبه . وسنرجئ الحديث عن ذلك إلى أن نلتقى برسائل العقاد إلى ميّ فى موضعها من الكتاب .

* * *



السنة الاولى — الجزء الاول

المشكاة

المدير المسؤول
محمود انيس

مدير الادارة
يوسف توما

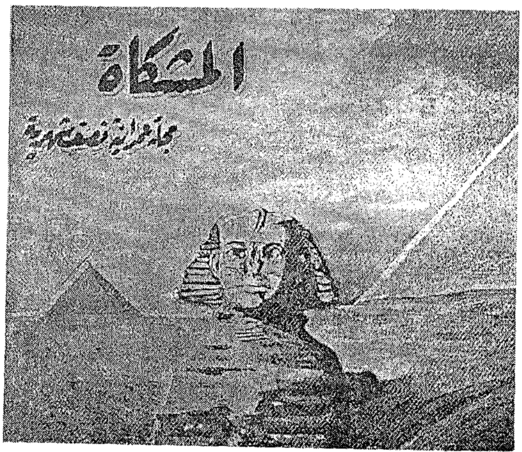
مجلة جامعة مصورة نصف شهرية

يوم الاثنين ١٤ جمادي الاولى سنة ١٣٤١ — ١ يناير سنة ١٩٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

﴿وبعد﴾ قيض الله لنا ان نتوفر على اظهار (مجلة) جامعة مصورة نصف شهرية اسميناها (المشكاة). تتناول بين دفتيها موضوعات شتى من علم وأدب وعمران.



رسالتان إلى
الشاعر محمود محمد صادق (*)
(١٩٠١ - ١٩٧٠)

[الشعر أصدق صفحة من تاريخ الأمم إذا كان مبعثه صدق العاطفة ، فدعونا نعبّر عن آلامنا التى نعانيها وعن آمالنا التى نحنّ إليها تعبيرًا بسيطًا طبعيًّا سلسًا قوامه المعنى المجرد دون المبنى والصياغة ، ولن نتخير من اللفظ إلاّ كما يُنْتقى الثوب للحسناء بحيث يظهر أكثر ما يمكن من جمالها دون أن يطمس من معالمه شيئًا] .

ديوان صادق
المقدمة ، صفحة (و)



الشاعر محمود محمد صادق
فى شبابه
(١٩٢٣)

(*) انظر التعريف به فى التعليق على الرسالتين .

الرسالة الأولى

أخى الشاعر الأديب

وصلت إلىّ قصيدتكم التى حيّيتم بها زعيمنا العظيم (*) فحمدت منها إخلاصاً للعظمة وشغفاً بالوطن ، ورأيت فيها من سهولة العبارة وأداء المعنى المراد ما تُهَنّأون به ويُرْجى أن تكون منه قوة عاملة للأدب المصرى . وتفضلوا بقبول التحية والسلام .

عباس محمود العقاد

(*) هو الزعيم خالد الذكر سعد زغلول

المصدر : ديوان صادق ، الجزء الأول « وحى الفجر » ، صفحة (٨) .

والرسالة غير مؤرخة فى الأصل . على أن القصيدة المشار إليها هنا نظمت فى ابريل ١٩٢١ على أثر عودة سعد من المنفى ، فبُعَيد ذلك بقليل يكون تاريخ الرسالة على وجه التقريب .

آبا الشعب عفوا إن تجدني مقصرا ففلبك قلب ما أحن وأطيبا
أبا الشعب إني لم أرف الشعب حقه وهل أنا إلا أن يقول فاكتبا
فحيّـاكما الرحمن عني تحيةً ترددها الآفاق شرقا ومغربا



وقد ورد الى المؤلف الخطاب الآتى من الاستاذ الشاعر الكبير عباس افندى محمود العقاد : أخي الشاعر الاديب

وصلت الى قصيدتكم التي حييتم بها زعيمنا العظيم فحمدت منها اخلاصا للعظمة وشغفا بالوطن ورأيت فيها من سهولة العبارة وأداء المعنى المراد ما تهنأون به ويرجى ان تكون منه قوة عاملة للادب المصرى . وتفضلوا بقبول التحية والسلام

عباس محمود العقاد

الرسالة الثانية

أخى الشاعر الأديب

إن الأذن لتصدف عن غناء الطرب إذا كانت الحوادث لا تأذن بغير أنين الألم، ولكنى أجد فى « أنينك » غناء يستطيبه السمع لأنها أنّات الحياة والأمل وليست من تلك الأنّات التى تنذر بالموت وتنم عن القنوط . ولعل الله يغيّر من هذه الحال بما يحدث من فوزٍ يلهمك غناء الفرح بالحرية ونغمة الفخر بالعزة الوطنية . وتقبّل السلام والثناء .

أسوان ٥ مارس سنة ١٩٢٢

المخلص

عباس محمود العقاد

---

(١) المصدر السابق ؛ (ص ٣٣)

يا رجال النيل منا كم نداء ورجاء
فاذكرونا حيث كنتم نحن قد كنا الفداء

وورد من الأستاذ العبقري الكبير عباس افندى محمود العقاد ما يأتي :

« أخي الشاعر الأديب :

إن الأذن لتصدف من غناء الطرب إذا كانت الحوادث لا تأذن بغير أنين الألم ولكني أجد في « أنينك » غناء يستطيبه السمع لأنها أنات الحياة والأمل وليست من تلك الأنات التي تنذر بالموت وتنم عن القنوط . ولعل الله يغير من هذه الحال بما يحدث من فوز يلهمك غناء الفرح بالحرية ونغمة الفخر بالعزة الوطنية وتقبل السلام والثناء »

اسوان ٥ مارس سنة ١٩٢٢ المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالتين

الشاعر محمود محمد صادق أحد شعراء ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد نظم كثيراً من قصائده الوطنية بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٣ ، ونشر معظمها فى الصحف المصرية لذلك العهد ، ثم جمعها مع شعره الوجدانى فى مجلد واحد من جزئين ، سمى أولهما « وحى الفجر » والثانى « وادى الدموع » ، وقد صدر الديوان فى أواخر سنة ١٩٢٣ .

و« الأنين » المشار إليه فى الرسالة الثانية اسم كتاب صغير أصدره الشاعر فى « الظروف العصيبة التى أعقبت ثورة ١٩١٩ متضمنا بعض قصائده الوطنية ، ومنها قصيدتا « الأنين » و « ألِى المنفى أيها الزعيم ؟ » وهما تمثلان فداحة الاستبداد الذى كانت تمارسه سلطة الاحتلال الانجليزى ومبلغ الهياج النفسى الذى اعترى الشعب المصرى فى ذلك الوقت » [١] .

وقد ظلت شعلة الوطنية تتوهج فى نفس الشاعر وتمدّه بقصائده الحماسية التى تشهد له بصدق المشاعر مع بلاغة التعبير وقوة الأداء ، حتى إنه فاز ، فى سنة ١٩٣٦ ، بالمرتبة الأولى فى المسابقة الرسمية التى عقدت لاختيار النشيد القومى المصرى ، وكان قد تقدم إليها بنشيده الذى يقول فى مطلعه :

بلادى بلادى فداك دمى   وهبت حياتى فدىً فاسلمى
غرامك أول مافى الفؤاد   ونجواك آخر مافى فمى

وفى سنة ١٩٤٨ ، أصدر الشاعر « ملحمة الحرب المقدسة » و« نشيد العروبة فى تحرير فلسطين » فى كتيب صغير من ٢٠ صفحة ، ذكر فى ختامه أن هذه الملحمة ، مع « الملحمة المصرية » التى نظمها لمناسبة عيد الجهاد الوطنى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، هما مقدمة « إلياذة العروبة الكبرى » التى وضعها « كيما لا ينفرد الغرب بفخر الياذته المشهورة » ، وأظنها لم تطبع ، كما لم يطبع الجزء

---

(١) عن الشاعر فى ديوانه « وحى الفجر » صفحة (٢٩) بتصرف يسير .

الثالث من ديوانه ، وهو يجمع شعره منذ سنة ١٩٢٣ ، حتى آخر حياته ، حيث وافته المنية فى العشرين من شهر مايو سنة ١٩٧٠

وقد نُسى هذا الشاعر البليغ والوطنى الغيور حتى يكاد لا يذكره أحد ، فلعل الأيام أن تنصفه بإظهار تراثه الشعرى كاملاً ، وإنه لتراث جدير بالبقاء والذيوع .

* * *

رسائل إلى
الأستاذ عبد الرحمن صدقى (*)
(١٨٩٦ - ١٩٧٣)



[العقاد شاعر الحياة ، ينظر فى أعماق قلبه وسماء عقله ويكتب ، وهو يحيا فى الأزمنة الحاضرة فيرى الحياة على غير البساطة التى كانت لها عند أهل العصور المتقدمة ، وهذه الميزة على أتباع المذهب العتيق من الشعراء تجعله صوت الحاضر فى حين هم أصداء الغابر ، وتشهد أن قوام شعره الطبع وقوام شعرهم التقليد] .

عبد الرحمن صدقى

(فى الهواء الطلق ، صحيفة السفور ، سنة ١٩٢٠)

(*) انظر ترجمته فى :

- الأعلام للزركلى (٣٣٦/٣) ، وفيه أنه عبد الرحمن بن محمد عثمان صدقى ، ابن عثمان رفقى . و(رفقى) هذه خطأ صريح وسهو ظاهر ، فلا صلة لآل صدقى بعثمان رفقى باشا الشركسى الذى كان ناظراً للجهادية والبحرية فى وزارتى محمد توفيق ورياض (أغسطس ١٨٧٩ - يناير ١٨٨١) قبيل قيام الثورة العرابية .

- أعلام مصر فى القرن العشرين ، صفحة ٣٠٠

- التعريف بالنفس من غير بخس ، ترجمة ذاتية محررة (تحت الطبع) .

بين العقاد وصدقى

عرف صدقى العقاد عن طريق المازنى أستاذه فى المدرسة الخديوية سنة ١٩١٣، فلم يلبث أن أعجب بمواهبه الأدبية وصغا إليه بودّه ولازمه ملازمة الصاحب والعشير ، وصار مع الأيام حواريَّه الأكبر ومريده الأول ، يكتب عنه ويعرّف بأدبه وينشر دعوته . وكان العقاد أول من قدّم صدقى للحياة الأدبية فى مصر حين نشر له « النشيد القومى » فى الجزء الأول من كتاب « الديوان فى النقد والأدب » فى سنة ١٩٢١ مفضّلاً إياه على نشيد شوقى .

على أنه ظهرت لصدقى قبل ذلك بعض مقطوعات شعرية وبعض مقالات فى النقد منذ سنة ١٩١٥ نشر معظمها فى صحيفة السفور بتوقيع (ق) غالباً وبتوقيع (صدقى) فى بعض الأحيان .

وقد توثقت الصداقة الأدبية بين العقاد وعبد الرحمن صدقى على مدى أكثر من نصف قرن ، وتجاوز ذلك إلى الصداقة الشخصية بين العقاد وآل صدقى : الأب والأبناء ، الذين عرفهم جميعاً عن كثب ، وكتب عنهم غير مرة .

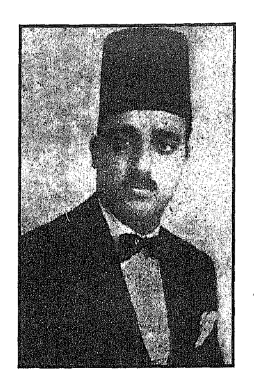
لا جرم كان صدقى بهذه المثابة أقدم أعضاء الندوة العقادية منذ عهدها الأول ، وأحد أعضاء « حديقة الحيوان الآدمية » التى يشرف بالانتساب إليها « كل ذى لبٍّ سماوىٍّ رشيد » ، وكان مكان صدقى منها مكان طائر البطريق أو « البنجوين » ، وإليه يشير العقاد بقوله :

ولَغَا البطريق فيها لَغْوه   وهو من قُطْبٍ جنوبىّ بعيد

وقد أكّد صدقى هذا الاختيار بقوله فيما بعد :

ياقوم لا بحثٌ ولا تحقيقُ   إن شئتمو أنا ذلك البطريقُ
أنا ذلك الطير المهيض جناحه   يمشى وحلم جناحه التحليق
أنا ذلك الطير الألوف فكل مَنْ   لاقى على وجه البسيط صديق

ومن عجائب الأقدار أنه ، بعد وفاة العقاد ، طُلب إلى صدقى أن يكتب عنه كتاباً ينشر فى سلسلة « أعلام العرب » التى كانت تصدرها الهيئة العامة للتأليف فى مصر ، واهتم صدقى بتأليف الكتاب وجمع له مراجعه ومصادره ، ولكنه لفرط احتفاله به لم يكتبه .





صورة وصفيّة للعقاد

« قامة باسقة مديدة كالعملاق فى غير عنف ولا بدانة ، سمرة كماء النيل فى مستهل فيضانه ، ذقن بارزة معقوفة تنبئ عن صلابة واستقامة ، فوقها شفة مقوسة تنم عن استخفاف وسرعة انفعال ، أنفه أشم جميل فيه عزة وحدّة ، وعيناه غير واسعتين فيهما حَيْطة وزَكانة ، تتراءى فى سيماء وجهه أعماق حزنٍ وتفكير ، وتتوّج وجهه المستطيل الناطق الأسارير هامةٌ مستطيلة يربو قُطْر جمجمتها طولًا على قطرها عرضاً بنسبةٍ ظاهرةٍ ملحوظةٍ ، وهو يمشي بخطوات واسعة وإحساسٍ بالوحدة ... (ولكنه يحس جميع ماحواليه ويشعر معه) وأحياناً تبصره واقفًا إلى واجهة مكتبةٍ يرمُق الكتب المعروضة أخيراً بعين فاحصة ملتفًّا فى مِعْطفه وعليه سيماء حزنه ووحدته كأنه مَالِكُ الحزين على ضفّة النيل القديم » .

عبد الرحمن صدقى

(مجلة روزاليوسف ، ١٤ ديسمبر ١٩٢٥)

الرسالة الأولى

عزيزى الأخ

عسى أن تكون عمليتك الجراحية قد نجحت كما تريد وأزالت ماكنت تشكوه من زَوْرك وأرجو أن تخبرنى بما رأيته إلى الآن من نتائجها فإننى أريد أن أجرّب مثلها فى زورى لأستريح من بقايا التعب التى تعاودنى منه حيناً بعد حين .

لم أكن أشكّ فى أنّ فهم شاب مثل جيتى فى حداثته يختلف عن فهم رجلٍ كمترجم كتابه وقد عرفت هذا المترجم فلم أعرف فيه خلقاً أو عقلاً يدرك من ملابسات الحياة النفسية وتعبيراتها الدقيقة مايدركه صاحب نشأةٍ كنشأة جيتى وذوقٍ كذوقه واتجاهِ ذهنٍ كاتجاه ذهنه . وأظن أن الاختلاف الذى نقلته إلىّ أهون من اختلافات أخرى أقدّر وجودها فى أثناء الكتاب وستعثر بها إذا أتممت المضاهاة .

عندنا هنا فتاة بولونية يهودية من السائحات ، وهى وحدها تقدّر بعشرة مواسم كاملة من مواسمنا الأسوانية . الله أكبر !! أأقول فتاة ؟؟ وماذا فى هذه الكلمة ؟؟ ألا لعنة الله على اللغات كلها فإنها أضيق من أن تمثل ماتراه العين فما بالك بما يتصوره الوهم ويترسمه الخيال . ماهى بفتاةٍ إن كان المقصود مايفهمه الناس عادةً من هذه الكلمة وإنما هى فتنة مجسّدة وألطاف مجمّعة من كل ماتهفو النفس لذكره فى الطبيعة : من صفاء الطلّ على الوردة المتهللة لأنوار الفجر ، إلى وضاءة النجم فى الآفاق البعيدة الزرقاء . ياويلتاه !! أين المصورون فى مصر ، بل أين المصورون فى العالم ؟؟ إنهم أغفل الناس عن واجباتهم فى الحياة ثم هم يشكون الفقر وينعون حظ الفنون وليس أحقّ بالفقر منهم ولا أعقّ للفنون من طغمتهم . وإلاّ فأين صور هذه العبقرية الجمالية الحية ، بل هذا المثل الأعلى المحسوس ؟؟ أين صورتها فى المجلات والصحف والإعلانات وعلب السجائر فى كل معرض فى الشرق والغرب ؟؟ وسأحاول إجمال وصفها فى كلماتٍ ربما أرسلت بها إلى

إحدى الصحف الأسبوعية ، ولعلّ السفور (*) بها أشبه ، فهل يصدر الآن ؟

مرّت هذه الفتاة قبل برهة عائدة إلى الفندق . وأنا أكتب إليك هذا الخطاب حيث أنتظر مرورها فى أكثر الأيام . وكثير غيرى ينتظرونها هنا فى هذا المكان وهو قهوة أقيمت على جانب الطريق فى متنزَّهٍ عام تابع للمجلس المحلى ، فإذا أسعدهم الحظ رأوها إذْ تكون فى رياضتها العادية على شارع النيل وإلاّ اختلف طريقها على حسب النزهات والرياضات التى تختارها ، وهى لا تسلم من غرابة الأطوار . وقد أردت أن أشركك معى على البعد فيما رأيت ، ولا أظنني فعلت ، فلعلك تراها بعد عودتها إلى القاهرة فتعلم حقًّا أن المصوّرين لا يبلغون حدّ الإعجاز فى الخيال وأمثال هذه المخلوقة فى عالم الحقيقة .

سلامى إلى الإخوان جميعاً

١٩٢٢/٢/٢٨

المخلص

عباس محمود العقاد

(*) السفور : صحيفة أسبوعية لصاحبها الأستاذ عبد الحميد حمدى ، صدرت بالقاهرة فى الفترة من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٢٥ ، وكانت لسان حال أدباء المذهب الجديد ، وفيها نشر الأستاذ عبد الرحمن صدقى أولى كتاباته الأدبية شعراً ونثراً .

التعليق على الرسالة

كتب الأستاذ العقاد هذه الرسالة إلى صديقه ومريده الكاتب الشاعر الناقد الأستاذ عبد الرحمن صدقى فى فبراير سنة ١٩٢٢ ، حيث كان العقاد فى بلدته أسوان معتكفاً مستشفياً من المرض الذى ألمّ به فى ذلك الحين .

وقد أطلعنى الأستاذ صدقى على أصل هذه الرسالة فى أوائل سنة ١٩٤٦ ، وكنت حديث العهد بصحبته . ولازلت أذكر المناسبة التى جعلته يطلعنى عليها ، فقد كنت أزوره فى مسكنه القديم بشارع الإخشيد بجزيرة الروضة ، وعرض فى أثناء الحديث بيننا ما جعله يطلق ضحكة عاليةً مجلجلةً ، ولكنها متقطّعة ، استغربت وَقْعها فى أول الأمر ، ثم ذكرت قوله فى إحدى قصائد ديوانه الأول « من وحى المرأة » :

* وضِحْكِيَ عَالٍ مُسْمِعٌ ذُو قَعَاقِعِ *

وهو وصفٌ صادقٌ كلّ الصدق لضحكته الطبيعية المعتادة التى طالما سمعتها وألفتها فيما بعد على مدى سنوات ، والتى لا تشبهها ضحكة فيما سمعت وعرفت من ضحكات الناس .

وقلت له يومذاك ضاحكاً متلطّفاً : الآن تأكد لى أن شعرك صادق مئة فى المئة فى جملته وتفصيله . ثم تساءلت عن سرّ هذه الضحكة ، فأخبرنى بأنه كان قد أجرى عملية جراحية فى « زوره » ، تركت بعدها هذا الأثر فى طبقات صوته والذى يبدو على أشده عند ارتفاع عقيرته بالضحك المتواصل . ثم قال لى صدقى إن الأستاذ العقاد كان مهتماً بأمر هذه العملية ويتابع أخبارها فى حينها ليطمئن على نتيجتها لأنه كان يريد أن يجرى مثلها فى زوره .

وقام الأستاذ صدقى إلى حجرة مكتبه وعاد بعد قليل وفى يده هذه الرسالة التى أطلعنى عليها ، وبعد أن قرأتها مرّةً ومرّة ، استأذنته فى أن أنقل صورة منها بخطى لأحتفظ بها لنفسى ، فأذن ومازلت أحتفظ بها بين أوراقى .

* * *

والإشارة إلى جيتى فى رسالة الأستاذ العقاد تومئ إلى الترجمة العربية لرواية « آلام ڤرتر » وكانت قد صدرت حديثاً . ويفهم من سياق الرسالة أن صدقى كان قد قرأ هذه الترجمة وقابلها ببعض الترجمات الانجليزية أو الفرنسية ، فوقف على اختلافات فى الترجمة العربية لا تؤدى عبارة الأصل تمام الأداء ، ولا تصل إلى دقائق المعنى كما أراده جيتى . وقد عرف العقاد لصدقى هذه الدقة فى الترجمة ، ولعله لهذا السبب عهد إليه ، بعد سنوات ، ترجمة المختارات المتفرقة من أشعار جيتى التى ختم بها كتابه الصغير الممتع « تذكار جيتى » والذى أصدره فى سنة ١٩٣٢ ، بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الشاعر الألمانى الكبير .

أما « الفتاة البولونية » الحسناء سائحة أسوان فقد أنجز العقاد وعده وكتب فى وصفها مقالاً بعنوان « عبقرية الجمال – وصف فتاة » نشره أوّلاً فى مجلة « المشكاة » [١] ثم أعاد نشره فى كتابه « مطالعات فى الكتب والحياة » [٢] .

ولم أعثر على أصل هذه الرسالة بين مخلفات الأستاذ صدقى بعد وفاته ، فلعلها ضمن أوراقه وكتاباته المخطوطة التى احتفظ بها ابن شقيقه الأستاذ أحمد حمدى صدقى ولا تزال فى حوزته حتى الآن .

* * *

(١) المشكاة ، السنة الأولى ، العدد الأول ، فى أول يناير سنة ١٩٢٣

(٢) المطالعات ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٤ (ص ٦٧ – ٦٩)

الرسالة الثانية

عزيزى عبد الرحمن

أكتب إليك هذا على شاطئ البحر فى رمل الإسكندرية والجو صحو والسماء صافية والضياء يغمر الآفاق والهواء بليلٌ لا هو بالرطب الكثيف ولا هو بالدافئ المرهق . وفى نفسى علامة حسنة تبشر بالخير فإننى لا أشعر الآن فى وحدتى بذلك المكان الخالى الذى أفتأ أحمله معى حيثما ذهبت وأريد أن أملأه بمن كانوا يملأونه فى كل حين .

أصبحتُ يوم الأحد على مناوشات صبيانية من قبيل ماتعلم : وقفةٌ خلف الباب تتسمّع .. ثم خطرةٌ عند النافذة تتراءى لى بالقميص الذى تعرف أننى أحبّ أن أراها فيه .. ثم ذهاب وجيئة وحركة وابتدار فى غير طائل .. ثم استدعاء للخادم مرة بعد أخرى فى غير موجب .. فتجاهلتُ هذا وأعرضت عنه مخلصاً فى الإعراض وخرجت مترفّعاً ألتمس هدوء الراحة فى الأمل الذى قدّرته فى الإسكندرية . ولكنى ماكدت أستقر فى القطار حتى فاجأتنى خيبة أملٍ لاذعة وآذنت الرحلة بالفشل من أول خطوة ، فهممت والله بالرجوع لولا أننى أعلم أننى لن أعود فى القاهرة إلى خيرٍ مما أقصده فى الإسكندرية . جلست فى مثل مجلسنا بالقطار يوم القناطر الخيرية والحجرة مغلقة علينا .. فما لمحتُ لى هذه الذكرى واستعرضت يومها فى مثل خطف البرق لحظةً لحظةً حتى شعرت بتلك الحديدة المحمّاة التى تتعقبنى فى العهد الأخير تكوى فى صميم النفس كيّها المختنق المكظوم لا منفس له ولا مهرب منه . وأردت أن أضحك من نفسى وأن أرقّه الألم بالسخر فقلت : بل أضحك من شياطين جهنم فذلك أبرّ بالنفس وأعدل فى شرعة الانتقام ! أتحدّى شياطين جهنم جميعاً أن تزيد أتعس المعذبين عندها ذرّة من العذاب فوق ما أشعر به فى تلك الساعة .. وأقعد حيث أنا ساخراً منها متهانفاً عليها لأنها لا تستطيع ! وكأننى استرحت إلى هذا الخاطر أو كأنما سرتْ إلىّ عدوى القطار الذى لا يلوى على شئ فمررت بهذه الذكرى إلى غيرها ، وجعلت

عزيزي عبد الرحمن

اكتب اليك هذا على شاطئ البحر في رمل الاسكندرية والجو
لطيف والسماء صافية والضياء يغمر الآفاق والهواء بليل
لا هو بالرطب الكثيف ولا هو بالدافئ المرهق . وفي نفسي
غلالة حزينة تشعر بالحزن فانني لا اشعر الآن في وحدتي
بفقدان الطفل الحالي الذي افتقد احمد من حيثما ذهبت واريد امثاله
امثاله ممن كانوا يملأون في كل حين

اصبحت يوم الاحد على صدمة صبيانية من قبيل ما
تعلم ! وقفت خلف الباب تتسمع ... ثم خطرة عندنا لندق
تترائين لي بالقميص الذي تعرف انني احب ان اراك فيه .. ثم ذهاب
وجيئة في حركة وابتدار في غير طائل ... ثم استدعاء للخادم مرة
بعد اخرى في غير موجب ... حتى هدت هذا واعرضت عنه محتملا
ما الاعراض وخرجت مترقعا للتي هدوء الراحة في الاسابيع التي
قدرتها في الاسكندرية . ولكني ما كدت استقر في القطار حتى
فاجأتني خيبة أمل بلا وعي وآذنت الرحلة بالثقل من أول
خطوة ، فهممت والله بالرجوع لولا انني اعلم انني لن اعود في
الشهر الاخير مما اقضيه في الاسكندرية . حلبة في مشغلبنا
بالقطار يوم القناطر الخيرية والجيزة فغلبتني عيني ... فاحتملت
هذه الذكرى واستعرضت يومها في مثل خطف البرق لحظة

أنظر إلى ما حولى غير واقفٍ عند منظر ولا متريث عند فكرة . وما بلغت طنطا حتى كنت قد ظفرت باكتشافٍ جديد ! سبحان الله ! هذه دنيا واسعة خارج الدنيا التى طويت فيها الكون أجمع : دنيا تطلع عليها الشمس ولا تبالى نظرات من تنظر ومن لا تنظر من النساء . فكيف نسيت هذه الدنيا ولم أستبق لها لفتة عين منّى ولا فَضْلة إحساس ؟ وماكدت أسترسل مع هذه السلوى حتى تحرك شيطان الوساوس يتهيأ بهواجس التنغيص والتكدير ، ورمى إلىّ بسؤال يمتحن به صلابة تلك السلوى : أو كنت تبالى أن تبعد عنك هذه الدنيا كما تبالى الآن أن تبعد عنك أهون لمسةٍ من يد امرأةٍ واحدةٍ بين نساء العالمين ؟ فلِمَ المغالطة فى الصبر والكذب على العزاء ؟ والحق أننى رأيت بعد ذلك أننى لم أغالط نفسى ولم أكذب على العزاء ، إذْ لو أننى فقدت ضوء الشمس كما فقدت تلك اللمسة من يد تلك المرأة لتلهفت على شجرةٍ واحدةٍ أراها فى العراء تحت قبة السماء كلهفتى الآن على أحبّ ما أشتاق من ذلك النعيم المفقود . فليست العزّة وقفاً على ذلك النعيم المفقود ولكنها حظ مباح لكل ممنوع ومزءود . والزهرة التى يريدها السجين على شجرتها ولا تطول إليها يده هى أعزّ عليه من كل مافى الأرض من النساء وغير النساء . وهنا عدتُ إلى فكرتى فى الحرية وعلمت مرة أخرى أننا إنما نأسى على الحرية وحدها حين نأسى على أى شئ من الأشياء وأىّ حظٍّ من الجمال .

وهذا البحر الذى أراه ممتدًّا أمامى فى سعةٍ مطمئنة وعمقٍ رصين – هذا البحر القوى الكبير أطالبه بأمرٍ هينٍ وأحسبه يخجل من عجزه عن تلبية هذا الطلب الصغير . أقول له ياشيخ ! أنت تغرق عشرين قطراً كاملاً بمن فيها من الرجال والنساء والعاشقين والأعداء ثم تطويهم فى ضميرك لايبين منهم إلاّ فقاقيع لا تثبت على مسّ الهواء ، أفيعجزك أن تغرق فى جوفك هذا اللاعج اللئيم الذى جئتك به من القاهرة ألقيه إليك ؟ وإخاله سيستحى على طوله وعرضه فلا أعود إلى القاهرة إلاّ وقد شيّعت ذلك الغريق وأمنت من ملاحقة أطيافه التى لا تطاق .

هذه حالتى الآن بين ما أزوّد به نفسى من دواعى العزاء وبين ماتثيره فىّ الهواجس من الألم اللجوج والخواطر السود . وسنرى إن لم أكن قد رأيت إلى الآن مافيه بلاغ .

* * *

لحظة حتى شعرت بتلك الوحدة الحادة التي تعقبني في العهد الأخير
تكوي في صميم النفس كيّا الحنين المكظوم لا [illegible] ينقضي
أ. ولا مهرب منه. وأردت أن أضحك من نفسي وأن أرفه الألم
بالسخرية فقلت: بل أضحك من شياطين جهنم فقد عذبت أبرع
بالنفس وأعدل في شرعة الانتقام! أتحدى شياطين جهنم
جميعا أن تزيد أقصى المعذبين عندها ذرة من العذاب فوق ما
أشعر به في تلك الساعة... والعجب حقا أني ما قرأت قط متهافتا
عبثا لأني لا أستطيع! وكأنني استرحت إلى هذا الخاطر أو كأنما
سرت إلى عدوى الفطانة الذي لا يلوي على شيء فجرت بي تلك
الذكرى الأغرها وجعلت أنظر إلى ما حولي غير واقف عند شيء
ولا متريث عند فكرة. وما بلغت هذا الحد حتى كنت قد [illegible]
بأنني في جديد..! سبحان الله! هذه دنيا واسعة خارج الدنيا
التي طويت فيها الكون أجمع: دنيا تطلع عليها الشمس ولا تبالي.
نظرات من تنظر ومن لا تنظر إليها... فكيف نسيت هذه
[illegible] الدنيا ولم أستبق لها لفتة عين مني ولا خاطرا عابرا؟
وما كدت أسترسل مع هذه السلوى حتى تحرك شيطان الوسوسة
[illegible] متهيئا يهرب من التفكير والتكدير أو زمن إلى سؤال يتحكم
به صلاح تلك السلوى: أو كانت تبالي أن تنطق عنك هذه
الدنيا كما تبالي الآن أن تبعد عنك أهون لمسة من يد امرأة
واحدة بين نساء العالمين؟ فهم المغالطة في [illegible] الحب والكذب
على العزاء؟ والحق أني رأيت بعد ذلك أنني لم أغالط نفسي
ولم أكذب على العزاء. إذ لو أنني فقدت ضوء الشمس كله
وفقدت تلك اللمسة بيد تلك المرأة لتلهفت على شعرة واحدة
أراها في الهواء تحت قبة السماء [illegible] كلهفتي الآن على أحب

محمد أفندى سعيد يؤنسنى بأحاديث شتى عن الأندية ومعاهد الصور المتحركة والمراقص والأصحاب . وأنا وهو نشترك فى تحيات كثيرة إليك وإلى أدهم أفندى وجميع الإخوان .

عباس

١٩٢٦/٤/١٢



ماذا من الدنيا ، لعمرى ، أريد   أنت هى الدنيا ، فهل من مزيدْ

العقاد

٢

ما اشتاق من ذلك النغم المفقود . فليست العزة وقفا على [illegible]
ذلك النغم المفقود ، ولكنها حظ مباح لكل ممنوع ومردود . والزهرة
التي يرينها السجين على شجرتها ولو تطول اليها يده هي اعز عليه
من كل ما في الارض من الشعر وفي السماء . وهنا عدت الى
فكرتي في الحرية وعلمت مرة اخرى اننا انما نأسى على الحرية وحدها
حين نأسى على اي شيء من الاشياء واي حظ من الحظوظ

وهذا البحر الذي اراه ممتدا امامي في سعة مطلقة وعمق
من ضيقه — هذا البحر القوي الكبير الطاغي بارضه واحسبه
يخجل من عجزه عن تلبية هذا الطلب الصغير . اقول له يا شيخ!
انك تغرق عشرين قطرا كاملا بمن فيها من الرجال والنساء
والعاشقين والاعداء ثم تطويهم في جوفك لا يبين منهم
الا فقاقيع لا تثبت على سطح الهواء . افيعجزك ان تغرق في
جوفك هذا [illegible] اللائح اللئيم الذي جنحك به من الشاطئ
القريب اليك ! واغار سيرمي على طوله وعرضه فلا اعود
الى القاهرة الا وقد شبعت ذلك الذوق وامنت من ملاحقة
اطيافي التي لا تطاق

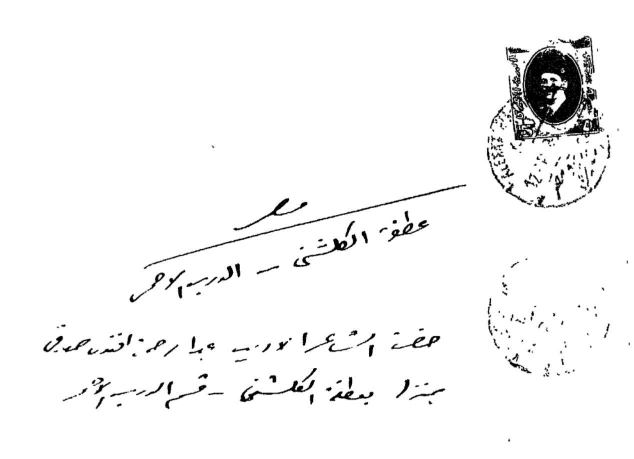
هي حالتي الآن بينما ازود نفسي من دواء العزاء وبينما
تتنزه قدامي السراحيب من الألم اللجوج والخواطر [illegible]
الشرود . ويسرني ان اعلم انك قد رأيت الى الآن ما في بلادي ؟

* * *

محمد افندي سعيد يؤنسني باحاديث شتى عن الاشياء
ومشاهد الصور المتحركة في الاقطار والاصحاب . وانا وهو
نشترك في تحيات كثيرة اليك والى ابراهيم افندي وجميع
الاخوان

عباس

١٩٢٦/٤/١٢


مصر
عطفة الكلشني – الدرب الأحمر
حضرة الشاعر الأديب عبد الرحمن أفندي صدقي
بمنزل بعطفة الكلشني – قسم الدرب الأحمر

التعليق على الرسالة

في رواية « سارة » للأستاذ العقاد ، وفى الفصل الذى اختار له عنوان « القطيعة » ، وصف العقاد فى تعبيرٍ فاجعٍ مؤثرٍ مشهد الوداع الأخير بين « همّام » بطل القصة – وهو هو العقاد على التحقيق – وبين صاحبته سارة على أثر اكتشافه خيانتها له ، وما كان من تواعدهما على اللقاء الأخير فى مفترق الطريق الذى طالما شهد لقاءهما فى أيام الصفو والهيام ، ليردّ كل منهما إلى صاحبه أوراقه وصُوَره وذكرياته . ويقول العقاد فى وصف الحالة النفسية التى استولت عليه عقب ذلك اللقاء : « لو كان همّام فى غير ذلك الموقف لتذكّر وقال وتدبّر ؛ تذكّر مفترق الطريق بالأمس وتذكّر مفترق الطريق فى هذا المساء ، وقارن بين لقاءٍ قلّما يضنّ فيه بشيءٍ ولقاءٍ قلّما يُجاد فيه بسلام الوداع الأخير . ولكنه كان مغمور الفؤاد فى جوٍّ من الغمّ واليأس كجوّ الضباب الكثيف : لا تسترسل فيه العين إلى مدىً بعيدٍ ولا ترى ماحولها إلاّ فى غلافٍ من نسيج الأطياف ، وكل مايذكره بعدما افترقا أنّ جسماً غاب عن النظر ولم يشيّعه وهو يغيب » .

وفى غمرة تلك الأزمة النفسية اللاّعجة سافر العقاد إلى الإسكندرية يلتمس هدوء الراحة ويحدوه الأمل فى أن يواتيه السلوان ، ويغرق فى أمواج البحر الخضم لواعجه وأشجانه . ومن هناك على شاطئ البحر فى رمل الإسكندرية كتب إلى صديقه عبد الرحمن صدقى هذه الرسالة التى تبدو كأنما تستأنف حديثاً جرى بينهما قبل أيام ، وتستكمل رواية وقائع ذلك اليوم العاصف الذى شهد ختام فصلٍ من فصول قصة الحب بين سارة والعقاد .

وهذه الرسالة ، التى كتبها العقاد فى سنة ١٩٢٦ ، تكاد أن تكون فى جملتها وتفصيلها وفى ألفاظها ومعانيها ، فصلاً شارداً من فصول رواية « سارة » كما طالعها القراء عند صدور طبعتها الأولى فى سنة ١٩٣٨ ، ولم يكن فارق عشر سنوات على الأقل بين كتابة الرسالة وكتابة القصة ، بمانعٍ من أن يكون توهّج العاطفة وتدفق الإحساس على درجةٍ واحدةٍ فى كلا العملين ، مما يؤكد عمق تلك التجربة النفسية فى حياة العقاد وقوة تغلغلها فى حسّه ووجدانه .

* * *

أمّا لماذا آثر العقاد صديقه عبد الرحمن صدقى بهذه الرسالة ، فذلك أن صدقى كان هو « العشير القديم » الذى أشار إليه العقاد ، فيما بعد ، فى سياق الرواية ، والذى دعاه فى ذلك اليوم من أيام سنة ١٩٢٦ ، ليكون معه فى بيته [1] ، وكان يعلم - كما تقول الرواية - أين ذهب العقاد ، ومن أين عاد . وأنه لما رأى سكوت العقاد وعزوفه قال له يمازحه ويسليه : « علام أنت آسفٌ ياصاح ؟ هل تركت فيها من بقيّة وَطَرٍ تشتهيها ؟ هل عندها من متعةٍ لم تستوف شِبَعَك منها ؟ فما بالك تأسى وتكتئب وقد أراحك الله من رفاتها بعد أن نعمت بروحها ولبابها ؟ » .

ولم يسترح العقاد إلى هذا العزاء ، بل رآه نقيض العزاء ، وقال على طريقته فى التعليل والتحليل : « .. عزاءٌ حسنٌ حين تكون المرأة التى تفقدها مائدة تفرغ منها وقد أتيت على آخر لقمةٍ فيها . أمّا حين تكون جزءاً من الحياة لا تنفصل إلاّ فصلت معها شطراً من لحمها ودمها وظاهرها وباطنها ، فذلك أضعف العزاء ، بل هو نقيض العزاء . إنما يعزّيك الزميل الذى تحسُّه قريباً منك بشعورٍ مثل شعورك ، ولقد يغنيك من عزائه إحساسك بقربه ساعتئذٍ وهو صامتٌ واجمٌ دون كلام ولا إيماء .. أمّا الكلام الذى سمعه « همّام » من صاحبه وهو فى جواره فقد تركه يصغى إليه وكأنه يتسمّع ألفاظاً مغلقةً من هاتفٍ لا يراه » .

* * *

وواضح من سطور الرسالة ، ومابين سطورها ، أنه لا الإسكندرية بكلّ مباهجها وفتنها ومجاليها ، ولا البحر بكل سعته وعمقه وجبروته ، استطاعا أن يزحزحا تلك الخواطر السود وذلك الألم اللجوج عن مكانهما فى نفس العقاد ،

---

(١) يقول الأستاذ عبد الرحمن صدقى فى مقالٍ بعنوان « سارة العقاد » نشر بمجلة الهلال عدد مايو ١٩٧٢ : « كان العقاد قد دعانى لأن أكون فى بيته قبيل الموعد أو قبل ذلك فيما أمكن حتى يمنعه وجودى من التفكير فى العدول عن قراره القطيعة » .

ويقول مرة أخرى فى حديث صحفى له مع الأديب الأستاذ سمير وهبى نشر فى المجلة الفرنسية « لميساجى » (الرسالة) بعددها ٧٠٤ الصادر فى ٢٥ يونية ١٩٧٢ ، وهو يتحدث عن قصة سارة : « قد ذكرنى العقاد فى روايته هذه ، إذ جعلنى الرجل الذى أتى به لكى يراقب أفعاله فينصرف عنها ، وكان يقول عنى : إن صدقى هو الصديق الذى يخذلنى فى كل موقف ، وهو يقصد بالطبع المواقف الغرامية ! » .

أو أن يطرحا عنه ذلك اللاعج اللئيم الذى أبى إلاّ أن يرافقه إلى حيث كان يلتمس السلوّ والنسيان ..

اللهم إلاّ الشعر ..

نعم ، إلاّ الشعر الذى هو عزاء الشاعر ومَوْئله القرير فى كل زمانٍ ومكانٍ . ومن عزائه للعقاد فى هذه التجربة النفسية الأليمة أنه نفضها عنه شعراً فى قصائدومقطوعات نظمها فى أعقاب تلك القطيعة بينه وبين سارة ، وهى القصائد التى أودعها الجزء الرابع من الديوان ، ولا مجال هنا للتمثيل لها أو الاختيار منها ، وقد تناولناها جميعاً بالتفصيل فى مقامٍ آخر [١] . ثم كان المستقر الأخير لهذه التجربة فى العمل القصصى الوحيد للعقاد وهو رواية « سارة » التى بدأ كتابتها فى شكل فصولٍ نشرها تحت عنوان « مواقف فى الحب » ، ثم عاقه عن مواصلة الكتابة فيها عائق عارض فأمسك إلى أجل ، ثم فرغ لإتمامها بعد برهةٍ كما يقول ، « فأتمّها على الصورة التى ظهرت بها : رواية تحليلية أو تحليلاً روائياً كما يشاء من يشاء » [٢] .

ونذكر أخيراً أن سارة ليس هو الاسم الحقيقى لبطلة القصّة ، وإنما اسمها « إلزا » Elsa ترجمه العقاد على طريقته فى ترجمة الأسماء باعتبار المشابهة بالدلالة ، أو بالوزن ، أو باقتران الأسماء على الألسنة والأسماع [٣] . ويرجح الأستاذ عبد الرحمن صدقى ، فيما حدثنى به ، أن اختيار العقاد لهذا الاسم كان بتأثير إيحاء كتاب هازلت [٤] المشهور « كتاب الحب » ، Liber Amoris ، واسم المحبوبة فيه سارة (Sarah) .

---

(١) انظر للمؤلف كتاب « قراءة تاريخية فى ديوان العقاد وقصائد لم تنشر » تحت الطبع .

(٢) سارة ، مقدمة الطبعة الثانية (١٩٤٣) صفحة ٣ ، ٤

(٣) السابق ، صفحة ٧

(٤) وليم هازلت William Hazlitt (١٧٧٨ - ١٨٣٠) من أعظم النقاد وكتاب المقالة الانجليز فى القرن الثامن عشر ، ومن أهم كتبه كتاب روح العصر The spirit of the age الذى يشتمل على صور نقدية بارعة لمعاصريه . وقد كان العقاد وإخوانه من الأدباء المجددين الذين ظهروا فى أوائل القرن العشرين يعجبون بهازليت ويشيدون بذكره يوم كان مهملاً فى وطنه مكروهاً من عامة قومه (انظر شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، صفحة ١٩٢) .

الرسالة الثالثة

لوكاندة مجاعص
لصاحبها
عبد الله مجاعص
محطة بحمدون « لبنان »

محطة بحمدون فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦

خرجوا علينا فى القطار . نهبونا . عادوا إلينا . قتلونا ... أدرِكونا فى العالم الآخر !

العقاد من بريد الآخرة

هذه نسخة الرسالة التى بعثتُ بها إلى بعض أصحابنا فى بحمدون بعد أن وصلنا إلى دمشق أو إلى الشام كما يسمونها هنا وفى جميع البلاد السورية . وكان أولئك الأصحاب يخوّفوننا عاقبة رحلتنا وينذروننا مصاباً فى الطريق أخفّه السلب وأثقله الهلاك . فلما وصلنا إلى دمشق أبَيْنا أن نخلف ظنهم ونكذّب نبوءتهم ، فأرسلنا إليهم بذلك النبأ ثم عدنا إليهم ونحن مصرّون على أننا أرواح قدمت إليهم بمعجزة من قوة التحضير لا من قوة البخار . ولكنهم لا يصدّقون !

أمّا دمشق فإن مناظر الطبيعة حولها تفوق وصف الواصفين وتملأ العين والنفس وتُنسى المسافر المقبل عليها تعب الوقوف فى القطار ساعة ونصف ساعة يمدّ البصر فى مروج مخضلّة ناضرة تزدحم بأشجار التفاح والكمثرى والسفرجل والخوخ وغير ذلك من أشجار لا تثمر ولكنها تروع الناظر بجمالها وهيبتها ولا سيما الحور أجمل ما رأيت من شجر هذه البلاد بقامته المديدة الهيفاء وخيلائه الرصينة التى قلّ أن تختلف بين عصف الرياح وخفق النسيم . يجرى فيما بين هذه الغابات المتلاحقة نهر بَرَدَى الذى لا يخطو فى أكثر الطريق إلاّ وثباً على الحجارة البيضاء ، والذى يغريك بالشرب وأنت غير ظمآن !

ثم تدخل دمشق فينعكس المنظر ويركد النهر ويفسد الهواء وتحسّ الكآبة تخيّم على المدينة وتقبض الصدور .وأبشع مارأيته فى هذه المدينة « مشنقة » فى أشهر ميادينها معلّقاً عليها خمسة يقال إنهم من الثوار . فنغّصت علىّ هذه المفاجأة كل مارأيت وعجلت بعودتى إلى بحمدون ، وصبغت ماشهدت بعد ذلك من الآثار

محطة بحمدون في [illegible] ١٩٢٦

[illegible]

[illegible]

والتحف بصبغة تشوّه كل جلالٍ وتمحو كل رونق . حتى أننى أحسست وأنا أطأ ضريح صلاح الدين العظيم كأنه مات محكوماً عليه !

سأعود إلى الإسكندرية على الباخرة « ماريت باشا » التى تبرح بيروت فى السادس عشر من هذا الشهر . وخلاصة ما أنبئك به عن حالتى الصحية أننى الآن أهضم غذائى بلا دواء . فإذا احتفظت بهذه النتيجة بعد العودة إلى مصر ، فنعم الفائدة هذه ، وعفاء على الـ (lide .....) (*) التى بلغ من سلطانها علىّ ماليس يُذكر بجانبه سلطان الأفيون على دى كوينسى (**) . وقد ينقصنى أن أكتب غداً عن اعترافات آكل « أبى كبير » كما كتب هو عن طاغيته الجبّار .

أرسل إلىّ الأخ محمد أفندى سعيد كتابين لايبانيز (***) فلم يصلا بعد ، وسألت مصلحة البريد فلم تجب حتى الساعة ، فانظر إلى خلل الأمور فى هذه الديار وقِسْ عليه سائر مابقى من المرافق والأحوال .

تحياتى إلى السيد الوالد والإخوان جميعاً وأفراد الأسرة فرداً فرداً ، وإلى الأخ الأديب على أفندى أدهم وجميع الأصدقاء والأصحاب ، والسلام إلى الملتقى القريب .

المخلص

عباس محمود العقاد

(*) هنا فى الأصل اسم دواء بالافرنجية ، وقد طمست معظم حروف الكلمة بفعل تهرؤ الأصل ونصول لون المداد ، فاستحالت قراءتها ، ولم أستطع الاهتداء إلى اسم هذا الدواء .

(**) توماس دى كوينسى Thomas de Quincey (١٧٨٥ - ١٨٥٩) الكاتب والناقد الإنجليزى المشهور ، وكان قد أدمن تعاطى الأفيون ، وكتب فى ذلك كتابه « اعترافات انجليزى آكل أفيون » .Confessions of an English Opium Eater

(***) بلاسكو ابانيز Blasco Ibanez (١٨٦٧ - ١٩٢٨) الكاتب السياسى والروائى الأسبانى العالمى ، وأحد الروائيين العظام فى الربع الأول من القرن العشرين ، من آثاره المشهورة كتاب « فى ظل الكنيسة » ورواية « بحرنا » و « دماء ورمال » و« زهر الربيع » و« أرض الكادحين » وغيرها .

[illegible] والله [illegible]

[illegible] فينعكس [illegible] الا [illegible] النهر و [illegible] الهواء [illegible]
[illegible] المدينة و [illegible] الشمس [illegible] ما [illegible]
[illegible]
[illegible] على سطح [illegible] كل [illegible] وعليت [illegible]
[illegible] ما [illegible] الآثار و [illegible]
[illegible] بلال [illegible]
[illegible] الدين الغليظ [illegible]

[illegible]

[illegible] الثانية [illegible]

[illegible]

[illegible] والله [illegible]

التعليق على الرسالة

تصحّح هذه الرسالة وهماً طالما وقع فيه كثيرون ممن ترجموا للعقاد ، حين ذكروا أنه لم يرتحل إلى خارج مصر ، اللهم إلاّ ماكان من سفره إلى السودان فى صيف سنة ١٩٤٢ عند اقتراب الجيش الألمانى من حدود مصر الغربية إبّان الحرب العالمية الثانية . وقد يزيد البعض على ذلك رحلته إلى فلسطين فى سنة ١٩٤٥ ، أو إلى المملكة العربية السعودية فى سنة ١٩٤٦

والواقع أن العقاد سافر إلى الشام لأول مرة فى سنة ١٩٢٦ ، وكان ذلك بطريق البحر على ظهر السفينة « شمبليون » حيث زار بيروت وبعلبك ودمشق ، وأقام فى بلدة « بَحَمْدُون » نحواً من شهر كان ينزل خلاله فى (لوكاندة مُجاعِص بمحطة بحمدون بلبنان) ومنها كتب هذه الرسالة .

ومن وحى تلك الرحلة نظم العقاد قصيدته (على أَطْلال بَعْلَبَك) التى نشرها ، بعد عودته من رحلته ، على صفحات « البلاغ الأسبوعى » [١] ثم أدرجها فى الجزء الرابع من ديوانه عند طبعه فى أوائل سنة ١٩٢٨ ، ويقول فى مطلعها :

أَيَا « بَعْلُ » هذا قادِمٌ لَكَ مُقْدِمُ	وَفِىٌّ لِـمَنْ يُزْرِى بِهِ الدَّهْرُ مُكْرِمُ
دَعَوْتَ وَحَوْلَيْك الأَسِنَّةُ شُرَّعٌ	فَلَبَّاكَ لا تَثْنِيهِ نَارٌ وَلاَ دَم
أَتَاكَ من الوادى الذى فى ضِفافِهِ	تَسَامَى لِآمُونَ البِناءُ المُدَعَّم [٢]

ومن وحيها كذلك قصيدته « من لبنان إلى مصر » المنشورة فى الجزء الرابع من الديوان [٣] ومطلعها :

غريبة الدار عند النيل تذكرةٌ	من وامقٍ فى ربى لبنان مغتربِ

---

(١) العدد التاسع عشر الصادر فى أول أبريل ١٩٢٧ (صفحة ٩) .

(٢) ديوان العقاد ، الجزء الرابع ، صفحة (٢٩٢)

(٣) صفحة ٣٢٤ ، ٣٢٥

ويقول منها :

يابنت لبنان أقريك التحية من — هضاب لبنان بين البحر والشهب
أمسيتُ ضيفك فى أرضٍ درجت بها — طفلاً صغير الخطى مأمونة اللعب
وذقتِ أوَّلَ نَشْوات الحياة بها — وكنتِ نشوة أمٍّ بَرَّةٍ وأَب

ومنها :

لبنان ! لبنان ! لاعيبٌ لديك ولا — عتبٌ عليك ، ولكن لست مُطَّلبى
ماحيلة الجنة الزهراء إن صفرت — من زهرةٍ هى عندى منتهى أربى
ساحات رضوان غيرى فيك يبصرها — ولا أرى غير قفرٍ ثم منتصب
قد ضاقت الأرض بى طرًّا فلا عجب — إذا وجدتك فى بلواى أَضْيَقَ بى

* * *

وبعد انقضاء ثلاثين سنة على تلك الرحلة الشآمية ، جاشت ذكراها بنفس العقاد ، فكتب فى وصف جبل لبنان يقول :

« جبلٌ ساحرٌ ، وأسحر مافيه سُوَيْعة الغروب قبل مغيب الشمس وبعد مغيبها بلحظاتٍ .

هناك يخيّل إليك أنك فى وادٍ من أودية عبقر يعود إليه سكّانه فى سكونٍ وخفاء ، ويشيع فيه الهمس بينهم من بعيدٍ لقريبٍ ، ومن قريبٍ لبعيدٍ ، فلا تحسب أنك قد عدت إلى عالم الإنس إلاّ بعد لحظاتٍ من مغيب الشفق وظهور المصابيح المتفرقة بين قرى الجبل ، كأنّها من بعيدٍ لقريبٍ ومن قريبٍ لبعيدٍ تحيات الأمان والسلام » (١) .

وإلى تلك الرحلة يشير العقاد فى قصيدته التى نظمها تحيةً لمهرجان الشعر الثالث الذى أقيم بدمشق فى سنة ١٩٦٣ ، والتى يقول منها (٢) :

مِن ثُلْثِ قَرْنٍ حُمْتُ فى رَبْعِكُمْ — كَحَوْمَةِ الطَّيْر على وِرْدِهِ

---

(١) ذكريات صيف فى لبنان ؛ مجلة « صوت الشرق » ، أغسطس ١٩٥٦

(٢) ديوان « مابعد البعد » ، صفحة (٣٠ - ٣٢) .

أَطُوفُ بالأَيْكِ عَلَى ظِلِّهِ ... أسأله ماشاء من بَرْدِه
وَيْحَ الصِّبا ، أَيْنَ لَهِيبُ الصِّبَا ؟ ... لَوْ عَادَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِن وَقْدِه
دمشقُ لَا تَبْعُدُ عنْ ذَاكِرٍ ... فى سَهْلِهِ أَصْغَى وفى نَجْدِه

* * *

وقد استهلّ العقاد هذه الرسالة بدعابةٍ لطيفة - هو صاحب عذرتها - تتمثل فى نسخة رسالةٍ ، كأنّها البرقية ، يقول إنه بعث بها من بريد الآخرة إلى بعض أصحابه فى بحمدون الذين حذروه عواقب الرحلة بالقطار إلى دمشق ، فلما انقضت الرحلة على خير ، لم يشأ أن يخلف ظنهم ويكذّب نبوءتهم ، فأرسل إليهم بذلك النبأ ، أو بتلك الاستغاثة ، ثم عاد إليهم وكأنه عائدٌ من عالم الأرواح .

ويستطرد العقاد إلى وصف مناظر الطبيعة حول دمشق وفى الطريق إليها ، فيصفها وصف شاعرٍ صَنَاعٍ ، حتى إذا وصل إلى دمشق صدمه منظر « المشنقة » التى نصبها الفرنسيون على عهد الانتداب ، والتى ذهب ضحيتها زعماءٌ وثوارٌ وطنيون ، حتى إن العقاد ليحسّ وهو يطأ ضريح صلاح الدين الأيوبى كأنّ هذا البطل العظيم قد مات محكوماً عليه بالإعدام .

* * *

أما سفرة العقاد الثانية إلى فلسطين ، فقد كانت فى سنة ١٩٤٠ ، وفيها تعرض ، هو وصديقه المازنى ، لمحاولة الاعتداء عليهما عند خروجهما من فندق الملك داود بالقدس ، وكتب الله لهما النجاة [١] .

وفى سنة ١٩٤٥ سافر العقاد إلى فلسطين مرة أخرى - أو ثالثة - ومن وحى هذه الرحلة كتب العقاد مقالاته الخمس التى نشرها فى صحيفة « الكتلة » اليومية ، بين اليوم العاشر واليوم الرابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، تحت عنوان « فى أرض الميعاد » ، وأعيد نشرها بعد وفاته ضمن الفصول التى أضيفت إلى كتاب « حياة قلم » [٢] .

* * *

(١) العقاد : من ذكريات بيت المقدس ؛ مقال منشور بمجلة الاثنين فى ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥

(٢) كتاب الهلال ، العدد ١٦٥ ، ديسمبر ١٩٦٤ ، صفحات (٢٣٤ - ٢٥٤) .

الرسالة الرابعة

أخى السيد صدقى

اتفقنا على إصدار « الضياء » ونرجو أن نحمد مَغَبّة الاتفاق .

ولا تسل عن الشواغل الكثيرة - الصغيرة - التى يستدعيها إصدار صحيفة يومية : من إعداد المكان الذى تتوافر فيه الشروط إلى إحضار الأثاث الضرورى إلى اختيار المحررين وموظفى الإدارة الأمناء إلى طلب النور والغاز والتليفون وما إلى ذلك من صغائر لا تعيها الذاكرة - وما نزال فى هذه الشواغل إلى الآن عسى أن تنتهى بابتداء العمل لنبدأ فى نوع آخر من الشواغل إلى .. انتهاء الحياة !

- خاطبنى الطناحى أفندى فى كتاب سعد وعرضت عليه اقتراحاتى ولم يحصل بعد ذلك جديد .

- ربما صدرت الصحيفة فى أول فبراير . وكان رجاؤنا أن تصدر قبل ذلك ولكن الاستعداد لها يحتاج إلى بعض العناء والانتظار .

- وقد لقيت مصطفى أفندى مصادفة فقال لى إنهم تركوا الكتب عند صديقتهم فى مصر الجديدة ولم يتسلموها إلى الآن - منذ عشرة أيام على التقريب - فأرجو أن تكتب إليهم مستعجلاً ردّها فإننى قد أحتاج إليها فى كل يوم بعد صدور الصحيفة على الخصوص .

وسلامى إليك وإلى من لديك وتحيات وأشواق

١٩٣٦/١/٢١ عباس

اخي السيد صدقي

اتفقنا على اصدار «الضياء» ونرجو انه

تجد مرفقة الاتفاق

ولا تسل عن الشواغل الكثيرة - الصغيرة -

التي يتطلبها اصدار صحيفة يومية : من الجهاز العامل

الذي تتوافر فيه الشروط الى اصطفاء الاثاث الضروري

والى اختيار المحررين وموظفي الادارة والارشاد

الى طلب النور والغاز والتلفون وما الى ذلك

من صغائر لا تعيها الذاكرة — وما تزال هذه

الشواغل الى الآن عسى ان تنتهي بابتداء العمل

لتبدأ انواع اخرى من الشواغل الى ... انتهاء الحياة!

- قابلني الطاهر افندي [illegible] وعرضت

عليه اقتراحاتي ولم يحصل بعد ذلك جديد

— ربما صدرت الصحيفة في أول فبراير . ولا أظن رجاءنا أن تقدم قبل ذلك
ولكن الاستعداد لا يحتاج إلا بعض العناء والاشتغال
— وقد لقيت بعض أدباء معاونة فقالوا لي إنهم تركوا الكتب عند صاحبهم
في مدينة الجديدة ولم يستلموها إلى الآن — منذ عشرة أيام على التقريب —
فأرجو أن تكتب إليه مستعجلا ردها فإني قد أحتاج إليها في كل يوم بعد صدور
الصحيفة على الخصوص
وسلامي إليك وإلى شاكر وتحية لأشواقه

عباس

٢١/٢/١٩٢٦

التعليق على الرسالة

بعث العقاد بهذه الرسالة إلى صديقه عبد الرحمن صدقى فى أثناء مقامه بأسيوط منقولاً إليها مغضوباً عليه من وزير المعارف وقتذاك ؛ الأستاذ أحمد نجيب الهلالى ، بسبب وحيدٍ هو صلة صدقى بالعقاد الذى كان يشنّ حملة صحفية ضارية على وزارة توفيق نسيم باشا ووزير معارفه .

وفى الرسالة ينهى العقاد إلى صاحبه اشتغاله بالتحضير لإصدار صحيفة « الضياء » بعد انقطاعه عن الكتابة لصحف الوفد ، وقد أخذ على عاتقه إصدار الصحيفة لحسابه بمساهمة ماليةٍ تكفل بها صديقه وابن قومه أو « بلديّه » الأسوانى إبراهيم باشا عامر ، ووعد بالمزيد عند الحاجة إليه . وقد صدر العدد الأول من الصحيفة فى اليوم الثامن من شهر فبراير سنة ١٩٣٦ ، وكتب العقاد افتتاحيته تحت عنوان « عهد وذكرى : حرية الرأى والشجاعة الأدبية » يشرح فيها خطته فى سياسة الصحيفة وتحريرها على عهد القراء به من حرية الفكر واستقلال الرأى بعيداً من برامج الأحزاب والهيئات .

على أن « الضياء » لم تلبث أن توقفت عن الصدور بعد عشرة أيام لنفاد موردها المالى ، ولم يسمح العقاد لنفسه أن يطلب المزيد منه بعد أن علم أن الصحيفة قد حوربت فى الأسواق حرباً لا هوادة فيها ، وقال فى ذلك : « لو كان مالى الذى أنفق منه لمضيت فى الإنفاق حتى ينفد ، ولكنه مال لا أستبيح التضحية به على غير جدوى » [1] .

وفى الرسالة إشارة إلى كتاب سعد زغلول ، وكان الأستاذ العقاد قد فرغ من

---

(١) اليوميات (٨/٣) ، وانظر راسم محمد الجمال : العقاد زعيماً ، صفحة ١٥٥ نقلاً عن صحيفة الضياء فى ١٨ فبراير ١٩٣٦

وانظر القصيدة التى نظمها العقاد فى الاحتفال بتكريم السرى الكبير ابراهيم عامر باشا (ديوان عابر سبيل صفحة ١٣٣) وكذلك الأبيات التى قالها فى رثائه وألقاها على قبره يوم وفاته (ديوان أعاصير مغرب صفحة ١١١) . وانظر للأستاذ العقاد :

- « كتاب سعد وماهى الأسباب التى دعتنى إلى تأليفه » مقال منشور بمجلة الأسبوع فى ٣ أكتوبر ١٩٣٤ ، ومقال « كتاب سعد لماذا لم أصدره حتى الآن ؟ » المنشور بصحيفة رزواليوسف اليومية فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٥ بمناسبة ذكرى سعد .

تأليفه منذ شهور (حوالى أغسطس ١٩٣٥) [1] ، ولكن أعاصير السياسة على عهد الوزارة النسيمية وخصومة العقاد للوفد ، حالت دون طبع الكتاب إلاّ بعد عام (يولية ١٩٣٦) ، وقد ختمه العقاد بقصيدته التى قالها يوم نقل رفات سعد إلى ضريحه المعروف ، وذلك قبل صدور الكتاب بشهر واحد ، وهى القصيدة التى يقول منها [2] :

دان ياسعد لك الذكر بما	شيّد البانى وما خطّ الزبورْ
قـدرٌ نـادى فـلبّتـه عـلـى	موعد الذكرى صخور وسطور
أنا بانٍ لك فى مُلْك النُّهَى	منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
مـن أسـانيـدك آسـاسٌ لـه	ومن الحق له حسنٌ ونور
إنْ أَنَـلْ شَـأْوَك فيه إنـنـى	بالذى شيّدتُ منه لفخور

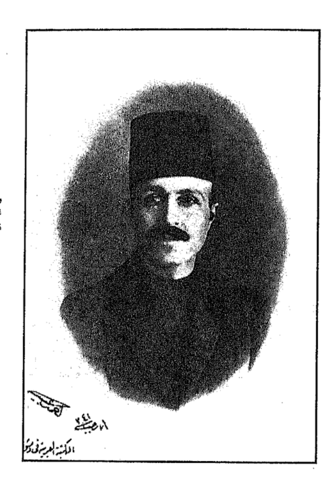
مشيراً إلى كتابه عنه .

* * *

(١) فى رسالة إلى الأستاذ طاهر الجبلاوى بتاريخ ١٩٣٥/٤/١٢ يقول العقاد : « إنى مشغول كثيراً لأننى أستأنفت الكتابة فى سيرة سعد » .

(٢) سعد زغلول سيرة وتحية ، صفحة ٦٢٤ ، وانظر ديوان عابر سبيل ، صفحة ٨٨

رسالتان إلى
الأستاذ أحمد عبيد (*)
(١٨٩٢ - ١٩٨٩)



١١

كتابي الى الشعرآء

سيدي

بعد اهداء واجب التحية والاحترام اقول : ان ولعي الشديد بالشعر العربي وخصوصاً العصري منه زرع في نفسي الاقدام على عمل اعلم انني لست من اهله غير ان ما اقدمني عليه هو اتكالي على مساعدتكم الادبية التي آمل ان ينالني نصيب منها اما هذا العمل الذي شرعت فيه واوشك ان يتم جزء منه فهو جمع طائفة مختارة من الشعر وترجمة قائليه في كتاب سميته :

مشاهير شعراء العصر

في الاقطار العربية الثلاثة

مصر وسورية والعراق

[illegible] من لطفكم العميم ان تبعثوا الي بصفحة من تاريخ حياتكم وقسم من شعركم [illegible] ينشر بعد وآخر مثال لشخصكم الكريم ليفضل بها هذا الكتاب غيره وعساي لا اخيب ان شاء الله ؟

احمد عبيد

دمشق ٢٥ كانون الثاني ٥ يناير ٥ سنة ١٩٢٢ صندوق البريد رقم ١٢٦

(*) هو أحمد بن محمد حسن بن يوسف بن عبيد (الذى تنسب الأسرة إليه) ابن محمد سليمان أغا . أديب شاعر محقّق متفقّه ، ووّراق نادر المثال ، قال عنه صديقه العلاّمة خير الدين الزركلى فى مقدمة « الأعلام » (١٧/١) : هو من أعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعها .

أسّس « المكتبة العربية » بدمشق فى سنة ١٩٠٨ ، ونشر عدداً من كتب التراث . وله مؤلفات عدة ، منها كتاب « مشاهير شعراء العصر (١٩٢٢) الذى ننقل عنه الرسالتين التاليتين .

وانظر ترجمة موسّعة له - تعرّف به لأول مرة - فى « الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية » (٢/ ٦٧٨ - ٦٨٣) للدكتورة فاطمة محجوب ، نشر دار الغد العربى بالقاهرة (بدون تاريخ) .

الرسالة الأولى

حضرة الأديب الفاضل

تحية واحتراماً ، وبعد فقد أخبرني أخي المازني أفندي بعزمكم على إصدار مجموعة من الشعر الحديث في الأقطار العربية ، فحمدت لكم تنبّهكم إلى سدّ هذا الفراغ وأثنيت على همّتكم . وقد علمت من رسالة الأخ المازني أنكم ستبرحون مصر بعد أيام قليلة ، فأرسلت إليكم مايمكنني إرساله من أسوان ، وهو آخر صورة شمسية لي وموجز ترجمتي . وكتبت إلى صديق في القاهرة ليبعث إليكم أجزاء ديواني الثلاثة أو مايجده منها باقياً في المكاتب ، فاختاروا ما يوافق طريقتكم في الاختيار .

لم أنظم بعد الديوان الثالث شيئًا لأنني منعت من الكتابة والمطالعة الجدية في العام الأخير . وتقبلوا التحية والسلام .

أسوان في ٢٤ مارس سنة ١٩٢٢

من المخلص

عباس محمود العقاد

— عباس محمود العقاد —

جوابه وتاريخ حياته

حضرة الاديب الفاضل

تحية واحتراما . وبعد فقد اخبرني اخي المازني افندي بعزمكم على إصدار مجموعة من الشعر الحديث في الاقطار العربية ، فحمدت لكم تنبهكم الى سد هذا الفراغ وأثنيت على همتكم . وقد علمت من رسالة الاخ المازني انكم ستبرحون مصر بعد ايام قليلة ، فارسلت اليكم ما يمكنني ارساله من اسوان ، وهو آخر صورة شمسية لي وموجز ترجمتي ، وكتبت الى صديق في القاهرة ليبعث اليكم اجزاء دواني الثلاثة او ما يجده منها باقياً في المكاتب . فاختاروا ما يوافق طريقتكم في الاختيار .

لم أنظم بعد الديوان الثالث شيئاً لانني منعت من الكتابة والمطالعة الجدية في العام الاخير ، وتقبلوا التحية والسلام

من المخلص
عباس محمود العقاد

اسوان في ٢٤ مارس سنة ١٩٢٢

***

« ثم كتبت اليه بعد شهور ـ وقد طبع اكثر الكتاب ـ ارجو منه ارسال ما نظمه في العهد الاخير مما لم ينشر في ديوانه فجاءني منه ما يلي : »

تحية وسلاما . وبعد فقد وردني خطابكم محولاً من اسوان الى جريدة الافكار التي اشتغل الان بقلم تحريرها بعد ان استمدت من صحتي ما يمكنني من العمل . وقد ارسلت الى حضرتكم قصيدتين من احدث ما نظمت واوصيكم بالمخطوطة منها على الخصوص

واني اكرر في هذه المناسبة تمنياتي لكم النجاح في عملكم الادبي المفيد ، وتفضلوا بقبول السلام .

من المخلص
عباس محمود العقاد

٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢

قال ناشر الكتاب : ثم كتبت إليه بعد
شهور – وقد طبع أكثر الكتاب – أرجو
منه إرسال مانظمه فى العهد الأخير مما
لم ينشر فى ديوانه . فجاءنى منه مايلى :

الرسالة الثانية

تحية وسلاماً وبعد فقد وردنى خطابكم محوّلاً من أسوان إلى جريدة الأفكار التى أشتغل الآن بقلم تحريرها بعد أن استعدت من صحتى مايمكننى من العمل . وقد أرسلت إلى حضرتكم قصيدتين من أحدث مانظمت وأوصيكم بالمخطوطة منهما (*) على الخصوص .

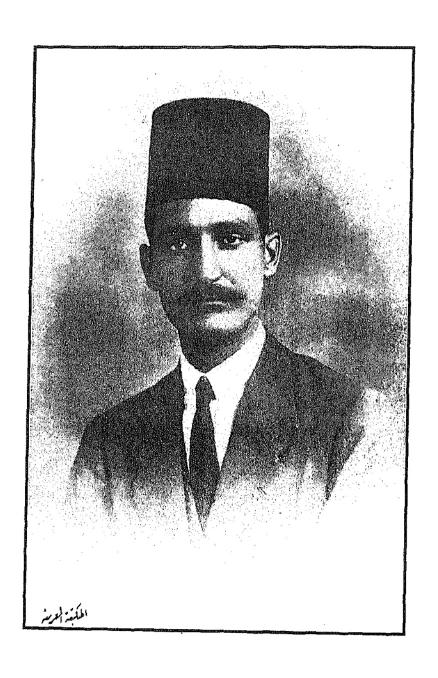
وإنى أكرر فى هذه المناسبة تمنِّىَّ لكم النجاح فى عملكم الأدبى المفيد ، وتفضلوا بقبول السلام .

٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢

من المخلص

عباس محمود العقاد

(*) فى الأصل المطبوع : منها . وهو خطأ فى القراءة على الأرجح ، صوابه ما أثبتناه .



العقاد فى سنة ١٩٢٢
[عن كتاب مشاهير شعراء العصر]



التعليق على الرسالتين

فى أوائل سنة ١٩٢٢ (١٣٤٠ هـ) حضر إلى مصر الناشر والأديب السورى السيد أحمد عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية فى دمشق لاستيفاء مادة كتابٍ كان يزمع إصداره عن شعراء العصر فى الأقطار العربية الثلاثة مصر وسورية والعراق [١] . وكان سبيله إلى ذلك أنه كتب إلى من يعرف من الشعراء المصريين كتاباً يطلب فيه من كل منهم أن يبعث إليه « بصفحةٍ من تاريخ حياته ، وقسم من شعره الذى لم ينشر بعد ، وآخر مثالٍ لشخصه » (يعنى صورته الفوتوغرافية) .

وقد كان التفكير فى مثل هذا العمل فى ذلك الوقت المبكر علامةً حسنةً من علامات النهضة الأدبية ، وخطوة موفقة فى دعم روابط الوحدة والتجمع بين أبناء العروبة فى شتى أقطارها .

وكان الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ممن كتب إليهم الناشر السورى فى هذا الشأن ، ولأمرٍ ما لم يكن الأستاذ العقاد ممن وصل إليهم كتاب الناشر ، ولعل ذلك كان بسبب إقامته آنذاك ببلدته أسوان مستشفياً من مرضه الذى أقعده عن العمل عاماً ونصف عام . على أنه علم بذلك الشأن من صديقه المازنى كما عرفنا من رسالته ، فكتب إلى الناشر الرسالة الأولى فى الرابع والعشرين من مارس سنة ١٩٢٢ . ولهذه الرسالة أهمية تاريخية خاصة ، فقد اقترنت مناسبتها بأول ترجمةٍ ذاتية للعقاد بقلمه ، حيث أجمل تحت عنوان « موجز ترجمتى » سيرة حياته منذ عهد النشأة حتى تاريخ كتابة الرسالة فى سنة ١٩٢٢ . ولهذه الأهمية رأيت أن أضع بين يدى القارئ نصّ هذا الموجز كما خرج من قلم العقاد :

* * *

« موجز ترجمتى »

ولدت ببلدة أسوان فى صيف سنة ١٨٨٩ م وتلقيت دروسى الابتدائية بمدرستها الأميرية فتخرجت منها سنة ١٩٠٣ ، وكان أبى يصطحبنى أيام دراستى

---

(١) لم يصدر من هذا الكتاب إلاّ القسم الأول الخاص بشعراء مصر .

الأولى إلى مجلس الأستاذ الأديب الشيخ أحمد الجداوى أحد فضلاء الأزهريين الذين لزموا السيد الأفغانى أثناء مقامه بمصر . فكنت أسمع مطارحاته الشعرية وقراءاته لمقامات الحريرى وبعض القصائد المختارة وأستظرف فكاهته ونوادره التى كان يرويها عن المتقدمين والمتأخرين ، فشوقنى ذلك إلى مطالعة الكتب الأدبية ، فكان أول ما وقع فى يدى منها كتاب (المستطرف فى كل فن مستظرف) وديوان البهاء زهير وقصص ألف ليلة وليلة ، ثم مجلد من دائرة المعارف للبستانى وأعداد مختلفة من صحيفة الأستاذ لصاحبها السيد عبد الله النديم ، وكنت أسمع اسمه كثيراً فى مجلس الأستاذ الجداوى . ومن ثم أقبلت بجملتى على المطالعة العربية والإفرنجية ونظمت الشعر ، ولا أزال أذكر أبياتاً من قصيدة صبيانية نظمتها فى فضل العلوم ، إذ كنت فى العاشرة من عمرى ، وهى :

علم الحساب له مزايا جمّة ... وبه يزيد المرء فى العرفان
وكذلك الجغرافيا تهدى الفتى ... لمسالك البلدان والوديان
وتعلّم القرآن واذكر ربّه ... فالنفع كل النفع فى القرآن

الخ ... الخ ..

ولم أتلقّ فى المدارس بعد انفصالى من مدرسة أسوان غير أبواب محدودة فى الكهرباء والطبيعة حضرتها بمدرسة الصنائع والفنون . وقد عاقتنى عوائق شتى عن متابعة التعلم المدرسى كما كنت أودّ يومئذٍ ، ولست على ذلك الآن بنادمٍ .

اشتغلت بعدّة وظائف حكومية كنت أستقيل منها واحدةً بعد الأخرى نفوراً من قيودها الثقيلة وتكاليفها الغثة ، أو رغبةً فى الدعة والعلاج لما كان ينتابنى أحيانًا من الضعف والسقم . وكان أول عمل صحفىّ لى فى جريدة « الدستور » التى أنشأها الأستاذ وجدى ، ثم كتبت فى صحف أخرى هى المؤيد والأهالى والأهرام ، وفى خلال ذلك كنت أزاول التدريس تارة بالقاهرة وتارة بأسوان ، ومن هذه البلدة أكتب إليك الآن ، فقد قضى علىّ بالمكث فيها شتائين متواليين استشفاء من مرضٍ أقعدنى عن العمل عاماً ونصف عام [١] .

* * *

(١) مشاهير شعراء العصر ، صفحة ٢٢٥ ، ٢٢٦

هذا وقد عاد ناشر الكتاب فكتب إلى الأستاذ العقاد بعد شهور يطلب إليه إرسال مانظمه فى العهد الأخير مما لم ينشر فى ديوانه . ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ حرص الناشر على تضمين كتابه المزيد من نماذج شعر العقاد وما ينطوى عليه هذا الحرص من تقدير خاص لشعره . فبعث إليه الأستاذ العقاد برسالته الثانية المؤرخة فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، وقد طواها على قصيدتين من أحدث مانظم فى ذلك الوقت ، ونجده يوصيه بالمخطوطة منهما على الخصوص .

والقصيدتان المشار إليهما هما قصيدة « ليلة على النيل » [١] التى لم يكن سبق نشرها ، وهى التى يعنيها العقاد بالمخطوطة . أما الثانية فهى قصيدة بعنوان « سلوى » [٢] كانت قد نشرت بصحيفة « الرجاء » الأسبوعية فى السابع من سبتمبر ١٩٢٢.

* * *

وبعد ، فمن حق كتاب « مشاهير شعراء العصر » الذى أتاح لنا الظفر بهاتين الرسالتين من رسائل العقاد ، أن نخصّه بكلمةٍ وجيزة تعرّف بمحتوياته على وجه الإجمال .

فهذا الكتاب الذى صدرت طبعته الأولى ، والوحيدة حتى اليوم فيما أعلم ، فى أوائل سنة ١٩٢٣ ، والذى يقع فى ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير ، قد اشتمل على منتخبات مختارة من الشعر لسبعة عشر شاعراً من أنبغ شعراء مصر فى عصرها الحديث ، مع تراجم حياتهم بأقلامهم فى الأغلب ، وأقوال بعض الأدباء فيهم ، وتصدير كل ترجمة بصورة حديثة للمترجم له طبعت طبعاً متقناً على ورق صقيل – ولم يكن ذلك شائعاً فى ذلك الوقت – وهؤلاء الشعراءهم بترتيب ورودهم فى الكتاب : إبراهيم عبد القادر المازنى – أحمد رامى – أحمد شوقى – أحمد الكاشف – أحمد محرم – أحمد نسيم – إسماعيل صبرى – السيد توفيق البكرى – حافظ إبراهيم – حسن القاياتى – عباس محمود العقاد – عبد الرحمن شكرى – محمد إبراهيم الجزيرى – محمد توفيق على – محمد الهراوى – محمود عماد

---

(١) ديوان العقاد ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٠٨ ، ومشاهير شعراء العصر ، صفحة ٢٤٤

(٢) الديوان ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٩٣ ، ومشاهير ، صفحة ٢٤٦

- مصطفى لطفى المنفلوطى . ولأول مرة ؛ حتى وقت صدور الكتاب ؛ كان يجتمع مثل هذا العدد من النخبة المختارة من الشعراء المصريين فى شبه ديوان جامع anthology ، وفى تناول جيد من حيث الشرح والتعليق وبيان المآخذ بما يتفق ومنهج التحقيق العلمى إلى حدّ كبير ، الأمر الذى جعل للكتاب قيمته التاريخية إلى جانب قيمته الأدبية ، وأضفى عليه طابع المرجع المعتمد الذى يلبّى حاجة الباحثين والقراء .

* * *



السيد أحمد عبيد

فى سنواته الأخيرة

[عن الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية]

رسائل إلى الآنسة مىّ (*)
« مارى إلياس زيادة »
(١٨٨٦ - ١٩٤١)

[.. لكن إعجابى بقصيدتك البليغة فى معناها ومبناها فاق كل إعجاب، وقد اغتبطت بها غبطة لا حدّ لها ، واحتفظت بها فى مكان أمين بين أوراقى خوفاً عليها من الضياع .

إننى لا أستطيع أن أصف لك شعورى حين قرأت هذه القصيدة ، وحسبى أن أقول لك : إن ماتشعر به نحوى هو نفس ماشعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت فى بلدتك التاريخية أسوان ، بل إننى خشيت أن أفاتحك بشعورى نحوك منذ زمنٍ بعيد، منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة « المحروسة » .

إن الحياء منعنى ، وقد ظَنَنْتُ أنّ اختلاطى بالزملاء يثير حميّة الغضب عندك ، والآن عرفت شعورك ، وعرفت لماذا لا تميل إلى « جبران خليل جبران »]

برلين فى ٣٠ أغسطس ١٩٢٥

مىّ

من رسالة إلى العقاد [١]

(*) انظر ترجمتها فى :

- الأعلام للزركلى (٥/٢٥٣) . - أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٤٨٢) .
- محمد عبد الغنى حسن : حياة مىّ ، مطبعة المقتطف والمقطم ، القاهرة ، ١٩٤٢ م .
- الدكتور منصور فهمى : محاضرات عن مى زيادة ، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

= - ودادسكاكيني : ميّ زيادة في حياتها وآثارها ، دار المعارف بمصر ، (١٩٦٩) .

- كامل الشناوى : الذين أحبوا ميّ ، دار المعارف بمصر ، (١٩٧٢)

- طاهر الطناحى : أطياف من حياة ميّ ، كتاب الهلال ، مارس ١٩٧٤

- وديع فلسطين : ميّ ، حياتها وصالونها وأدبها ، مطابع المستقبل ، القاهرة (بدون تاريخ) .

(١) النص رواية الأستاذ طاهر الطناحى في كتابه (أطياف ..) صفحة ٩٠ ، والعهدة عليه .

رسائل العقاد إلى ميّ

كلمة تمهيد :

قصة الصداقة الأدبية والعلاقة الحميمة بين العقاد والأديبة النابغة الآنسة ميّ – أو مارى إلياس زيادة – معروفة مشهورة ، ولسنا هنا بصدد التأريخ لها أو تفصيل الحديث عنها ، ولن نعرض لها إلّا بمقدار ما يستدعيه التعليق على الرسائل التالية التى تيسّر لنا الوقوف عليها من رسائل العقاد بخطّه إلى ميّ ، وهى على الأرجح ليست كل رسائله إليها .

وبادئ بدءٍ فثمة ملاحظتان أُوليان ينبغى التنبيه إليهما قياماً بحقّ أمانة التاريخ .

أولى هاتين الملاحظتين أن جميع رسائل العقاد إلى ميّ لم تنشر فى حياة العقاد ، بل بقيت – على مدى حياته – وديعة غالية من ودائع العمر التى يضنّ بها على الإفشاء والإعلان .

على أنه ، من ناحية أخرى ، كان الأستاذ العقاد لا يرى مانعاً من نشر هذه الرسائل ومثيلاتها ، وقال فى تعليل ذلك كما جاء فى مقالٍ له بعنوان « رجال حول ميّ » ما ننقله هنا مع بعض الاختصار :

« فى سجل الأدب الخاص من عصر النهضة العربية الحديثة مكان فسيح لصفحات جميلة لا تزال مطوية إلى اليوم ، وإن كانت منها مايهم أن يطلع إلى عالم النور من طيّات الخفاء .. وعند ميّ – على مانعلم – أنماط عديدة من الرسائل التى تسلّلت فى عداد هذا الأدب الخاص ، ولا ندرى أين موضعها الآن .. ولكن الذى بقى منها فى موضعه أو عند أصحابه ، يساوى الجهد الجميل الذى يبذل فى جمعه وإنقاذه وتسليمه لأصحاب الحق الأخير فيه ، وهم قراء الآداب ومحبّو الفنون » [1] .

---

(١) مجلة الهلال ، مارس ١٩٦٢ . وقد أعيد نشره فى كتاب « رجال عرفتهم » فى سلسلة كتاب الهلال ، أكتوبر ١٩٦٣ ، صفحة (٢٠٨ – ٢٠٩) .

والملاحظة الثانية أن نشر هذه الرسائل ، عقب وفاة العقاد ، تَوزَّع بين مصادر ثلاثة ، هى على التحديد :

أوّلا – مقالات ثلاث للمرحوم الأستاذ طاهر أحمد الطناحى نشرت فى مجلة الهلال [١] .

ثانياً – كتاب « لمحات من حياة العقاد المجهولة » [٢] للمرحوم الأستاذ عامر أحمد العقاد ، فى طبعته الأولى . وقد أُسقطتْ كلمة « المجهولة » من عنوان الكتاب فى طبعته الثانية .

ثالثاً – كتاب « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » [٣] للأستاذ أنيس منصور . وكان قد سبق نشره على حلقات متتابعة بمجلة « أكتوبر » فى الفترة من ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٨٠ إلى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٨١

وقد جاءت نصوص الرسائل فى مقالات الأستاذ الطناحى بطريق الرواية نقلاً عن الأصل أو بتصرّفٍ يسيرٍ عنه ، بينما جاءت فى كتابى الأستاذين أنيس منصور وعامر العقاد مصوّرة عن أصولها بخطّ العقاد .

* * *

وقد أرجع الأستاذ الطناحى تاريخ رسائل العقاد الأولى إلى مىّ ، إلى سنة ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، وقال فى التدليل على ذلك : « كانت سنّه – أى سن العقاد –

---

(١) هذه المقالات بترتيب نشرها هى :

– « دموع الحب بين الآنسة مى وعباس محمود العقاد » ، الهلال ؛ يولية ١٩٦٤

– « غرام العقاد والآنسة مى » ، الهلال ؛ أغسطس ١٩٦٤

– « غرام العقاد » ؛ الهلال ؛ سبتمبر ١٩٦٤

وقد جمعت هذه المقالات مع مقالات أخرى ، فى كتاب صدر عن سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٢٧٩ فى مارس ١٩٧٤ ، بعنوان « أطياف من حياة مىّ » .

(٢) الطبعة الأولى عن دار الكتاب العربى ، بيروت (أكتوبر ١٩٦٨) والطبعة الثانية عن دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠

(٣) الطبعة الأولى ؛ دار الشروق (١٩٨٣) ، والطبعة الثانية ؛ المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٨٤ م .

لا تزيد على سبع وعشرين سنة ، وكانت سنّها لا تتجاوز الحادية والعشرين (١) ..
وحدث أن سافر إلى أسوان على أثر مرضٍ انتابه ، فبعثت إليه برسالةٍ تسأل عن صحته ، وتبلغه فيها تحيات أدباء الصالون الأدبى ، وتمنياتهم الطيبة له بالصحة والعافية ، فردّ عليها برسالة أنبأها بأن طبيباً ألمانيا كان يزور أسوان سائحاً طمأنه على صحته ، وقد كشف عليه كشفاً دقيقاً ، وبدأها بقوله :

« آنستى الأديبة اللوذعية مىّ زيادة ،

أكتب إليك الآن وأنا أقرأ « سبنسر » فى « قصر ملاّ » ، وهو طللٌ دارسٌ منصوب للرياح ، أقضى فيه الوحدة بين صفحات كتاب ، وقد جمع منظره بين وحشة القِدَم المتبدد ، ونضرة الصبا المتجدّد . وقامت حوله روضة عالية (*) تعرف باسمه ويرتاح إليها الطارق من سآمة ذلك الشبح المهجور فى أكمته ، وهى رابيةٌ (**) أثرية ذات طباقٍ يعلو بعضها فوق بعض ، فى كل طبقةٍ منها حياض الأزهار والنوار ، ومنابت العشب والبهار ، تنتهى من بحبوحتها العليا إلى جانبها الغربى فتشرف من ثم على النيل ، ويستقبلنى الجبل الغربى تليه الجزر والجنادل المعترضه فى جوف النهر ، وهو ينساب بينها انسيابا ، فروعًا وشعابا ، وأجلس بعد الغروب ، وأنظر أمامى إلى المقياس فى هيكله القديم ، وإلى النيل يجرى وكأنه لا يجرى ، وإلى الجنادل قد أطلعت رءوسها على متنه كأنها بعض حيوان ، يتنسم هواء الليل ، وإلى الجبال ممتدة على طول الأفق كالديباجة السوداء حول تلك المناظر الساحرة ».

وتستمر الرسالة فى وصف « قصر ملا » إلى أن يقول : « وقد كنت أتردد على هذه الأماكن الفينة بعد الفينة (***) ، أقضى هزيعاً من الليل ، فأجلس إلى صخر قديم ساوره النيل أعصاراً ثم قنع بمسح أقدامه ، وطغى عليه أعواماً فلم يظفر

---

(١) يذهب بعض من ترجموا لمىّ إلى أنّها ولدت فى سنة ١٨٩٥ ، وربما كان ذلك جريًا على ما تنوقل إبّان حياتها عن تاريخ مولدها ، وبمراجعة وقائع نشأتها وبـ ـهورها يرجح ما عرف من أن ميلادها كان فى سنة ١٨٨٦ ، وكانت سنّها عند وفاتها فى سنة ١٩٤١ خمساً وخمسين سنة .

(*) فى أصل مقال العقاد بكتاب الفصول : « وديفة منيفة » وشرحها فى الهامش : روضة عالية .

(**) فى أصل مقال الفصول : « رباوة » وشرحها فى الهامش : أى رابية .

(***) فى أصل مقال الفصول : « وقد كنت أتوردها الفَيْنة بعد الفينة » .

بغير المرور من أمامه ، وأعوّض العزلة بمساجلة بنات الأحلام ومسامرة عرائس الشعر ، ولله هنّ ما أجذلهن وأطربهن .. » .

وبعد أن يستوعب وصف هذا القصر يذكر لها كيف عرف الطبيب الألمانى ، وهو يقرأ كتاباً لهينى فى معبد فيلا . ثم يصف لها جو أسوان فى الشتاء ، ويذكر أنه نظم قصيدة طويلة فى ذلك الوصف يقول فيها :

أسوان تزهو حين يذ ... بُلُ كلّ مخضرٍّ نضير

الخ .. الخ .. » [1]

والذين عايشوا أدب العقاد واستظهروه ، واستوعبوا مؤلفاته وقرأوها قراءة درسٍ وبحث وتحقيق ، يعلمون علم اليقين أن هذه الرسالة التى ساق الأستاذ الطناحى أطرافاً منها هى فى حقيقتها إحدى المقالات التى سبق أن جمعها العقاد فى كتابٍ باسم « ساعات بين الكتب » ، وطبع منه خمس كراسات فى منتصف سنة ١٩١٤ ثم توقف [2] ، وهو غير الكتاب الكبير الذى ظهر بعد ذلك بالعنوان نفسه وصدر منه جزآن . وقد أعاد العقاد نشر هذه المقالات فى كتاب « الفصول » الذى أصدره فى سنة ١٩٢٢ ، وذلك تحت عنوان عام هو عنوانها القديم « ساعات بين الكتب » وأولى هذه المقالات مقالة « قصر ملاّ » التى يستهلها العقاد بقوله : « الآن وفى أسوان ، أى سبيل إلى غير الوحدة ومناجاة الأحلام ؟؟ وأى مشغلة للفراغ أجمل من قضاء الوحدة فى قصر ملاّ أو بين صفحات كتاب ؟؟

وقصر ملاّ هذا هو طللٌ دارسٌ منصوب للرياح من أينما أقبلت :

درسته الريح مابين صَبًا ... وجنوب درجت حينًا وطَلّْ

جمع منظره بين وحشة القِدَم المتبدد ، ونضرة الصبا المتجدد ، وقامت حوله

---

(١) اكتفيتُ بهذا البيت من خمسة أبيات ذكرها الأستاذ الطناحى فى كتابه : والقصيدة فى ديوان العقاد ، الجزء الأول ١٩١٦ ، صفحة ٥٥ ، ومجلد الديوان ١٩٢٨ ، صفحة ٦٧ ، وهى من شعره الأول ، انظر خلاصة اليومية ١٩١٢ ، صفحة ٩٩

(٢) انظر : الفصول هامش صفحة (١٢٧) ، وساعات بين الكتب ، الجزء الأول الصفحة الأولى (العنوان) .

وَدِيفة منيفة (*) تعرف باسمه ويرتاح إليها الطارق من سآمة ذلك الشبح المهجور فى أكمته ، وهى رباوةٌ (**) أثرية ذات طباق يعلو بعضها على بعض ، فى كل طبقةٍ منها حياض الأزهار والنوار ، ومنابت العشب والبهار ... » ، إلى آخر ما أورده الأستاذ الطناحى فى كتابه ونقلناه عنه ، ولولا خشية الإطالة لنقلنا المقال برمّته . على أن القارئ سيتبين لاشك أن الرسالة التى أوردها الأستاذ الطناحى هى بعينها مقال « الساعات » القديم الذى طبع فى سنة ١٩١٥ كما ظهر فى كتاب « الفصول » الذى طبع فى سنة ١٩٢٢ ، وهنا ينبغى أن نقف لنتساءل : أكان المقال ترديداً للرسالة ونقلاً حرفيا عنها ، وعندئذ يكون تاريخ الرسالة سابقاً لسنة ١٩١٤ أو فى بدايتها على الأكثر وهو مانستبعده ، أم أن الأمر على العكس من ذلك فيكون العقاد قد كرّر نفسه وبعث إلى ميّ رسالةً هى فى الأصل مقال منشور فى كتاب مطبوع ربّما قرأته ميّ ، وهو مايخالف طبيعة العقاد وقدرته على التعبير عن نفسه فى كل حالة من حالاتها وكل خالجة من خوالجها ، فضلاً عن مخالفته لأدب المراسلة وقواعد اللياقة والذوق السليم .

وقد أورد الأستاذ عامر العقاد هذه الرسالة فى كتابه « صفحات من حياة العقاد المجهولة » (١) نقلاً عن رواية الأستاذ الطناحى ، ولو كان لها أصل مخطوط لنشره كما فعل فى شأن رسائل أخرى أثبت صورها الخطية فى كتابه ، ولكنه فى هذه الرسالة اكتفى بالعَزْو إلى الأستاذ الطناحى وحسب . مما يجعلنا فى حيرةٍ من أمر هذه الرسالة من حيث محتواها وتاريخ كتابتها . ولهذا السبب أيضًا لم ندخلها وشبيهاتها فى عداد ماعرضنا له من رسائل العقاد فى هذا الكتاب .

وبعد هذه الملاحظات الأولية ، يمكن أن نمهّد لهذه الرسائل إجمالاً ، بما قاله العقاد نفسه فى وصف علاقته بميّ ، وذلك فى معرضين مختلفين يفصل بينهما مسافة ربع قرن من الزمان . وربما لم تكن شهادة العقاد – فى رأى بعض النقاد – هى الكلمة الأخيرة والقول الفصل فى شأن هذه العلاقة ، إلاّ أنها على أيّة حال وفى جميع الأحوال شهادة يجب أن تُسمع ، ورأى ينبغى أن يؤخذ بعين الاعتبار والتقدير .

(*) روضة عالية (عن الأصل) .

(**) أى رابية (عن الأصل) .

(١) صفحة ١٩٣

فلنقرأ ، أوّلاً ، ماذكره العقاد فى سياق رواية « سارة » وهو يقارن بين الحبَّيْن الكبيرين فى حياته : حبّه لهند – وهى ميّ على التحقيق – وحبّه لسارة بطلة القصة المعروفة بهذا الاسم .

يقول العقاد : « كان همّام يحبّ امرأة أخرى حين التقى بسارة فى بيت ماريانا : يحبّها الحب الذى جعله ينتظر الرسالة أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، وكانا كثيراً مايتراسلان أو يتحدثان ، وكثيرًا ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل إيثارًا للتقيّة ، واجتناباً للقال والقيل ، وتهدئةً من جماح العاطفة إذا خافا عليها الانقطاع ، ولكنهما فى جميع ذلك كانا أشبه بالشجرتين منهما بالإنسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق ..

كانا يتناولان من الحب كل ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل ، ولا يزيدان .

وكان يغازلها فتومئ إليه بأصبعها كالمنذرة المتوعدة ، فإذا نظر إلى عينيها لم يدر أتستزيده أم تنهاه ، ولكنه يدرى أن الزيادة ترتفع بالنغمة إلى مقام النشوز .

وكان يكتب إليها فيفيض ويسترسل ، ويذكر الشوق والوجد والأمل ، فإذا لقيها بعد ذلك لم ير منها ماينمّ على استياء ، ولم يسمع منها مايدل على وصول الخطاب ، وإنما يسمع الجواب باللحن والإيماء دون الإعراب والإفصاح ..

ولم تكن هند – وليكن اسمها هنداً – لتعتقد الرهبانية فى همّام ، ولا لتزعم بينها وبين وجدانها أنه معزول عن عالم النساء . غير أنها لم تكن تحفل اتصاله بالنساء مادام اسمهّن نساءً لا يلوح من بينهن اسم امرأةٍ واحدة ، وشبح غرام واحد . فإن اسم النساء فى هذه الحالة لا يدلّ على معنى ، ولا انتقاص فيه لما بينهما من رعايةٍ واستئثار .

فلما شعرتْ بأن النساء تحوّلن عنده إلى امرأة لها شأن غير شئون أخواتها من بنات حواء زارته على حين غرّة فى مكتب عمله ، وهى الزيارة الأولى والأخيرة من قبيلها ، ولم يكن لها مسوّغ من طول الغيبة ولا امتناع حديث التليفون ، فما شكّ لحظةً فى غرض الزيارة ولا فى باعثها ، وتوقّع منها عتباً عنيفاً على أسلوبها فى التعبير الصامت المبين ، ولكنه علم سلفاً أنها غير منصفةٍ فى عتبها ، لأنه لم يختلس

منها شيئاً هو من حقّها عليه . فرحّب بها وأبدى لها استغرابه لزيارتهاوابتهاجه بسؤالها عنه ، وأنصت مترقّباً .. فقالت بعد فترة وصوتها يتهدّج :

– لستُ زائرة ولا سائلة !

قال : إذنْ ...

ولم يتمّها لأنها نظرت إليه كمن يستحلفه ألا يتكلم . وانحدرت من عينيها دمعتان .

فما تمالك نفسه أن تناول يدها ورفعها إلى فمه يقبّلها ويعيد تقبيلها ، فمانعته ولم تكفُفْ عن النظر إليه . ثم استجمعت عزمها ونهضت منصرفة ، وهى تتمتم هامسةً : دَعْ يدى ، ودعنى ! ثم انصرفت بعد أن سكن جأشها وزال من صفحة وجهها أثر الدموع .

لو جاءت هذه الزيارة وهمّام فى بداية العلاقة بسارة لما كان بعيداً أن تقضى على تلك العلاقة ، وأن تردّ سارة اسماً مغموراً فى عامّة عنوان النساء .

بيد أنها جـــاءت وقد أوغلت العلاقة بينهما إيغالها الذى لا تراجع فيه ، وصمدت على طريقها تعدو مع الأيام عَدْواً لا تنظر فيه إلى الوراء . وفسح لها الطريق أن همّاماً لم يكن يوغل فيها مثقلاً بتبكيت ضميره ، لأنه لم يخن هنداً ولم يقصّر فى حقّها عليه ، ولا وهَم أنها تغضـب من أمرٍ لا عهد بينه وبينها فيه » (١) .

* * *

ثم لنقرأ ، ثانياً ، ماقاله العقاد فى أخريات حياته من مقاله الذى سبقت الإشارة إليه ، وهو « رجال حول ميّ » .

يقول العقاد وهو يتحدث عن زوّار ندوة ميّ :

« كم كان زوّار تلك الندوة العالية ؟ وكم كان كتّاب الرسائل منها وإليها ؟ إننى أعدّ ممن رأيتهم غير مرّةٍ نحو الثلاثين .. وكلّ زائرٍ من هذه النخبة كان حقًّا له أن يزور الندوة فى موعدها فى أصيل يوم الثلاثاء ، وكان يرى من حقّه أو واجبه ، أن يعتذر لفوات موعده منها بعض الأيام ، بل كان من حقه أن يكتب رسائل الاعتذار أو رسائل السؤال والتحية وإن لم يكن من مطمعه دائماً أن يتلقّى الجواب .

---

(١) سارة ، الطبعة الأولى (١٩٣٨) الصفحات من ١٦٤ إلى ١٦٧ باختصار يسير .

أكلّ هؤلاء عشّاق ؟ ...

وعلى مَنْ مِنْ كل هؤلاء ينبغى لميّ إذا أجابت ، أن تجيب جواب المحبوبة التى تتقبل العشق ممّن يدّعيه ؟

هذا هو الخاطر العاجل الذى يسبق إلى الوهم كلما ذكرت تحيات الرسائل ، أو القصائد أحياناً ، من غير واحدٍ فى هذه الزمرة المختارة .

وهذا هو الخاطر الذى تصحّحه لمحة سريعة أيضاً ، إلى طبيعة الندوة وطبيعة التحية « العُرْفية » التى تناسبها ، بل تستوجبها بقانون الشعر والفن ، إن لم نقل بقانون الجنتلمانية والفروسية ؟

فتاة جميلة أديبة ، يزورها أدباء وشعراء وكتّابُ قصّةٍ وأصحاب ذوقٍ فى جمال الكلمة وجمال الطلعة .

إن فات أحداً من هؤلاء واجب التحية المناسبة للمقام ، فما هو بزائرٍ صالحٍ لمثل هذه الزيارة ، ولو لم تكن زيارة عشقٍ ومناجاة .

وإن فات ميّا أن تتقبل هذه التحيات ، أو وجب عليها – كما قد يخطر على بال الأقدمين – أن تصدّها بالعبوس والغضب ، فليست هى زيارة « ندوةٍ » إذنْ .. ولكنها زيارةٌ واحدةٌ قد تنتهى كما تبتدئ عند باب الدار .

وهذا هو تأويل الرسائل على أسلوب الفن العاطفى ، أو العاطفة الفنية ، بين صاحبة الندوة وأكثر من زائرٍ من نخبة هؤلاء الزوّار ..

وقد كنت – كلما ازددت معرفةً بميّ وبحياتها فى ندوتها وفى بيتها – أشعر بحنان هؤلاء الأفاضل الأبويّين نحوها ، فإنهم – ولا ريب – كانوا يقصدون التَّسْرِية عنها ، ويدركون من بواكير صباها أنّ فَرْط التزمّت فى طويّتها يجاوز حدّه المأمون ، وأنها يوشك أن تعانى كثيراً من عادة العزلة النفسية التى جنت عليها فى أخريات أيامها ، وأنها تغالب شجنًا كمينًا لانطوائها الشديد على ذاتها ، يخيّل إلىّ أنه مزيج من الصدمة العاطفية وشعور التبتّل العميق فى سليقتها الدينية » [1] .

* * *

(١) رجال عرفتهم : « رجال حول مى » ، صفحات (٢٠٨ – ٢١١) باختصار يسير .

وفى ضوء هذين النصّين الكاشفين ، وعلى هدى من كتابات العقاد الأخرى عن ميّ ؛ نعرض لما وقفنا عليه من رسائله إليها بخطّه ، ولكم كان يسعفنا فى هذا الصدد أن تكون بين أيدينا رسائلها إليه ، ولكن غاية علمى أنها لم تنشر ، وقد أوردت بعض المصادر المتأخرة أطرافاً من هذه الرسائل نسبتها إلى ميّ ، ولكننا لا نعتمد عليها فى تعليقاتنا إلاّ فى حدود مايتفق منها مع مايفهم أو يؤخذ من رسائل العقاد ؛ والعهدة فيما نقلنا من ذلك على رواته وقائليه .

وقد آثرت أن أترك بعض محتويات الرسائل دون تعليق ، لأننى لم أسمح لنفسى أن أتكلم فيها بغير علم ، أو أن أذهب فى تأويلها إلى غير وجهها الصحيح . وفوق كل ذى علم عليم .

* * *

الرسالة الأولى

سيدتى الآنسة النابغة « ميّ »

أقدّم مع هذا كتاب الفصول إلى سيدتى الآنسة آملاً أن يكون له نصيب من التفات ذلك الفكر المثقف والنفس الشاعرة . وإنى آسف لما فى طبع الكتاب من خللٍ لو كنت أنا المتولّى طبعه لا هتممت باجتنابه . أما الجزءان الأول والثانى من ديوانى فإنى أغتبط بسؤال الآنسة عنهما وسأبحث عنهما حيث أنتظر أن يوجدا وأحضرهما إلى الآنسة إذا سمحت بزيارة تكون وُصْلةً للتعارف وإعراباً عن احترامٍ وإعجابٍ . وإننى لشاكرٌ لها هذه العناية مقدِّمٌ إليها أجمل التحية والإجلال .

١٠ فبراير سنة ١٩٢٣

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

عامر العقاد : « لمحات من حياة العقاد المجهولة » الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ ، صفحة (١٩٥)

سيدتي الآنسة النابغة «مي»

اقدم مع هذا كتاب الفصول الى سيدتي الآنسة آملا ان يكون له نصيب من
التفات ذلك الفكر المثقف والنفس الشاعرة . واني آسف لان طبع الكتاب قد
خفي لم يكشف ان الفصول طبعت لا الصحة باحسنها . اما الجزء الاول والثاني من
ديواني فاني اغتبط بسؤال الآنسة عنهما وسأبحث عنهما حيث انتظر ان يوجدا
واهديهما الى الآنسة اذا سمحت بزيارة تكون فرصة للتعارف واعرابا عن احترام
واعجاب . واني لشاكر لها هذه العناية مقدم اليها اجمل التحية والاجلال

المخلص
عباس محمود العقاد

١٠ فبراير ١٩٢٣

التعليق على الرسالة

تؤرخ هذه الرسالة على وجه التقريب ، إن لم يكن على وجه التحديد ، بداية التعارف الشخصى بين العقاد وميّ أو على الأقل بداية التراسل بينهما . ويؤخذ من أسلوب الرسالة ومن لهجة التخاطب فيها - فضلاً عن إيجازها الملحوظ - أن هذه البداية لا تذهب إلى أبعد من سنة ١٩٢٢ أو ١٩٢١ على أكثر تقدير . على أنه لا مراء فى أن العقاد عرف ميّاً كاتبةً وخطيبةً قبل هذا التاريخ ، وقرأ لها بعض كتبها التى كانت قد صدرت حتى ذلك الوقت ، وأكبر الظن أن ميّا كانت قد قرأت كذلك للعقاد شيئاً من كتاباته وكتبه التى صدرت قبل جزئى الديوان وكتاب الفصول ، وهى الكتب التى يفهم من الرسالة أنها لم تكن قرأتها بعد .

وعلى هذا فقد يكون من المستبعدْ ماقيل من أن العقاد حضر ندوة ميّ الأدبية منذ سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ [1] ، وإلاّ فقد كان خليقاً أن يهدى إليها جزئى ديوانه اللذين صدرا فى سنة ١٩١٦ و ١٩١٧ فى حينهما وألاّ يتأخر إهداؤهما إلى سنة ١٩٢٣ ، وبعد طلبٍ منها .

وقد يلاحظ كذلك أن العقاد لم يُضمِّن هذه الرسالة - الأولى فيما نعتقد - تحيته إلى والدىْ ميّ ، وهى التحية التى نجده يتحراها ويحرص عليها فى سائر رسائله فيما بعد ، مما يؤكد أنه كان إلى تاريخ هذه الرسالة ، وهو اليوم العاشر من فبراير ١٩٢٣ ، طارئاً جديداً على ندوة ميّ وعلى أهل بيتها ، حتى ليلتمس منها السماح له بزيارةٍ « تكون وُصْلةً للتعارف وإعراباً عن احترامٍ وإعجابٍ » ، ولا يقول هذا القولَ عشِيرٌ قديمٌ ترجع صلته بميّ وندوتها إلى سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ حسبما قيل .

* * *

---

(١) طاهر الطناحى : أطياف من حياة ميّ ، صفحة (٧٩)

ومن اللّافت فى هذا الصدد ، أن العقاد لم يكن ، حتى سنة ١٩٢٤ ، قد كتب شيئاً عن ميّ أو عرض لأىٍّ من مؤلفاتها قبل مقاله المطوّل عن كتابها « الصحائف » [١] ، وهو المقال الذى نشره فى صحيفة البلاغ على امتداد ثلاثة أسابيع متوالية من ٢٤ مارس إلى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٤ ، ثم أعاد نشره فى كتابه « مطالعات فى الكتب والحياة » الذى صدر فى تلك السنة نفسها [٢] وسيأتى الكلام عنه فى التعليق على الرسالة السادسة بعدُ .

* * *

(١) صدرت الطبعة الأولى من كتاب الصحائف فى فبراير ١٩٢٤ ، عن المطبعة السلفية بمصر .

(٢) المطالعات ؛ الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص (٢١١ - ٢٢٥)

الرسالة الثانية

أسوان فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٣

سيدتى

تلقيت خطاب سيدتى الآنسة مسروراً شاكراً وسرى إلىّ فى بلدتنا هذه المشهورة بشدّة حرّها كما تسرى نسمات الشمال فى رفيفها المنعش للروح ولمساتها الندية الملطفة لوقدة الشمس . وما يحقّ لى أن أشكو غمطاً لحقّ أو غبناً فى تقدير إذا كان كتاب الفصول ينيلنى ثناءً كريماً كهذا الثناء وعطفاً جميلاً كهذا العطف ويجعل لى حصّةً من اهتمام ذلك العقل المثقف وتلك النفس الزكية .

ولم أزل أعتقد أن الكتابة الأدبية فى بلادنا إنْ هى إلاّ رسائل خاصة يتهاداها على البعد أو على القرب عشرون أو ثلاثون فرداً من أهل الصناعة . فهم الكاتبون وهم القارئون . وإذا بلغ من رسالتى فى كتاب الفصول أن تصل إلى مكانةٍ من نفس الآنسة الفضلى وأن تسخو لها بساعاتٍ من وقتها فذلك غنم أثيرٌ لدىّ وجزاءٌ نفيس قيّم ، أما الجمهور ففى شاغل عن هذه العزلة التى قُضِىَ بها على المعنيّين بأمر الأدب بين ظهرانيه وسيظل ساهياً عمّا يتراسلون به من هذه المؤلفات ، وليس فى ذلك كبير خسارة . نعم إن إقبال الجمهور قد يوسع نطاق التعاطف الأدبى وقد يكون فى هذه التوسعة شئ من الراحة والترفيه ولكن هل فيها ترقية وتطهير : تطهير كذلك الذى تحبه الآنسة وتعلم نفسها الحسّاسة أنه من عتاد الآلام والتجارب ؟؟ ذلك ما أشكّ فيه .

وقد حدثتنى سيدتى الآنسة عن بعض الاختلاف فى النظر ، وإنه ليلذ لى أن يكون بيننا موضع أو مواضع قليلة للاختلاف فى النظر . لأنى أرى أن التقاء المتماثلين زيادة فى الكمية أما التقاء المتخالفين فزيادة فى الصفة والمزية ، ولهذا أستميح الآنسة أن أحتفظ بباب من أبواب المناقشة وليكن هو باب المعانى الرمزية التى تدافع عنها فى خطابها تفضّلاً وبرًّا منها .

أسوان في ٢٩ مارس سنة ١٩٢٢ م

سيدتي

تلقيت خطاب سيدتي الآنسة مسرورا شاكرا وسرى لك في بلدتنا
هذه المهجورة بشدة حرها كما تسري نسمات الشمال في ربيعها فتنعش
للروح وتمسح الندى اللطيف لوقدة الشمس. وما يجمل بي أن أشكر
عطفك أو غبطتك في تقدير إذا كان كتاب الفصول يستأهل ثناء
كريما كهذا الثناء وعطفا جميلا كهذا العطف ويجعل له حظوة من
اهتمام ذلك العقل المثقف وتلك النفس الزكية.

ولم أزل أعتقد أن الكتابة الأدبية في بلادنا أدنى إلى
رسائل خاصة يتعاطاها عدد البعض أو على الأقرب عشرون أو ثلاثون
فردا من [illegible]. فهم الكاتبون وهم القارئون. وإذا بلغ
من رسالتي في كتاب الفصول أن تصل إلى مكانة من نفس الآنسة

وأقول تفضلاً وبرًّا لأنى لا أجد الآنسة تكثر فى كتابتها من المعانى الرمزية ولا أتبيّن فى عباراتها المشرقة الصافية أثراً للإغرام بهذه المعانى . ولكن هناك اختلاف ، فعلى أىّ أمرٍ هذا الاختلاف ؟؟ إنه فى الرأى على ما أعتقد وليس فى الطريقة ، والرأى الذى أَميل إليه أنّ الرموز مطلوبة من المصوّر لأنها وسيلته الوحيدة إلى إبراز المعانى والخواطر وغير مطلوبة من الكاتب الأديب لأن الكلمات غير الرسوم فى الإفصاح عن المعانى والخواطر . ولا بأس مع هذا بقليلٍ من الرموز إذا كانت تعين على تقديس الفكرة وترمز فى النهاية إلى معنى صحيح تقرّ إليه الطبائع ويرضى عنه العقل ولا يخالف المحسوس . ويظهر لى أن الآنسة أوسع صدراً للمعانى الرمزية من ذلك ولا أعرف رأيها بالتفصيل فى هذا الموضوع ، فحبذا لو عرفته .

سلامى وإجلالى أزجيهما إلى ذلك الندىّ العامر بالفضل . وبى شوق إلى تلك الأحاديث الطلية العذبة . وأكون شاكراً إذا سمحت سيدتى بتبليغ تحيتى واحترامى إلى الوالدين الكريمين .

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

عامر العقاد : « لمحات من حياة العقاد المجهولة » ؛ صفحات (١٩٨ - ٢٠٠) .

المقتنى وإن تسخو ربما بساعات من وقتها فذلك غنم أكبر لدى
من جزاء نقدى قيم ، أما الجمهور ففى شاغل عن هذه الغزارة التى تقضى
ربما عند المعنيين بأمر الأدب من ظهرانيه وسيظل ساهيا عما يتراسلون
من هذه المؤلفات ، وليس فى ذلك كبير خسارة . فمن أن إقبال الجمهور
قد يوسع نطاق الثقافة الأدبية وقد يكون فى هذه التوسعة شئ من
الإباحة والترفيه ولكن هل فيها ترقية وتطهير : تطهير كذلك الذى
تحبه الآنسة وتعلم نفسها الشاعرة أنه من عتاد الآلام والتجارب !!
ذلك .. لا شك فيه

وقد حدثتنى سيدتى الآنسة عن ابتداء الاختلاف فى النظر ،
وإنه ليبدو لى أنه يكون بيننا موضع أو مواضع قليلة للاختلاف
فى النظر . ولكن أرى أن التقاء المتماثلين زيادة فى الكمية أما التقاء
المختلفين فزيادة فى الصفة والمزية ، ولهذا أستميح الآنسة أن
أحتفظ بباب من أبواب المناقشة ، وذلك هو باب المعانى الرمزية
التى تدافع عنها فى خطابك تفضلا وبرا منها.

وأقول تفضلا وبرا لأنى لا أجد الآنسة تكثر فى كتابتها
من المعانى الرمزية ولا أتبين فى عباراتها المشرقة الصافية
أثرا للغرام بهذه المعانى . ولكن هنالك اختلاف فى الرأى

أم هذا الاختلاف؟؟ انه في الرأي على ما اعتقد وليس في الطريقة،
والرأي الذي أميل اليه ان الرموز مطلوبة من المصور لانها وسيلته
الوحيدة الى ابراز المعاني والخواطر وغير مطلوبة من الكاتب الاديب
لأن له أدوات غير الصور في الافصاح عن المعاني والخواطر. ولا بأس
مع هذا بقليل من الرموز اذا كانت تعين على تقديم الفكرة وترمز
في النهاية الى معنى صحيح تنفذ اليه الطبائع ويرضى عنه العقل ولا
يخالف المحسوس. ويظهر لي أن الآنسة اوسع صدرا للمعاني الرمزية
من ذلك ولا أعرف رأيها بالتفصيل في هذا الموضوع. حبذا
لو عرفته

سلامي وإجلالي أزجيهما الى ذلك الفكر العامر بالفضل ولي
شوق الى تلك الاحاديث الطيبة المفيدة واكون شاكرا اذا
سمحت سيدتي بتبليغ تحيتي واحترامي الى الوالدين الكريمين

المخلص

عباس محمود العقاد

مي جالسة إلى مكتبها

الرسالة الثالثة

أسوان فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٣

سيدتى الآنسة

كنت أود أن أجادل حبًّا فى الجدل كما قلت فى خطابى الأول ولكن يخيل إلىّ أننا تقاربنا أو أننا نقول شيئاً واحداً بأسلوبين مختلفين . فالآنسة تقول إن المعانى الرمزية تأتى عفواً ولا تقصد قصداً ، وأنا أقول إن المعانى الرمزية لا تحب لذاتها وإنما تقبل حيث لا يكون للكاتب بُدٌّ منها . وهى لا تكون كذلك إلا حين يستعان بها على الاختصار أو على تقديس البساطة التى لا يؤبه لها أو تقريب الحقائق العظيمة الغامضة التى لا يلمّ بها الفكر إلاّ من طريق الرمز والإيماء . على أن كتّابًا يسترسلون فى الرموز بلا جدوى ليوهموا العمق حيث لا عمق أو ليخيّلوا المعنى البعيد حيث لا معنى ذا طائل تلمحه البصيرة فى البعد أو فى القرب ، فهؤلاء حكمهم واحد عند الآنسة وعندى بلا ريب .

وقد نتفق على أن الرموز فى الفنون كالرموز فى الديانات ، وذلك أن الكهّان الواصلين لا يتعاطون الرموز فيما بينهم للإبانة عن أسرار هياكلهم التى يعرفونها على بساطتها المجردة ولكنهم يدخرون هذه الرموز لمخاطبة زمر العباد الذين لا يشاركونهم الإعجاب بما للبساطة من جلال وروعة . ولربّما اتخذ الكهان أنفسهم لغة الرموز فيما بينهم ولكن فى أى شئ ؟؟ فى الأشياء التى يخفى عليهم جميعاً سرّها وتحتجب عنهم ملامحها فيتعللون منها بما يشبه الظلال الليلية إذ تلقى إلى الناظر شبحاً غامضاً من كل شئ ذى صورة وملامح . ولو أنهم وجدوا وسيلة إلى رسم هذه الملامح واضحة مميّزة لما اكتفوا من الصورة بظلالها ومن الذوات بأشباحها . ففى هذه المعارض التى تفوق ذرع الفكر ولا ترتفع عن أعمق أغوار النفس لا اعتراض على الرموز ولا نكران لها بل لاغنى عنها . لأن المعترض عليها إمّا أن يحتمى بالسكوت (وليس السكوت من الفن فى شئ) وإما أن ينطق فى التعبير عنها موضّحاً مبيناً وهو لا يستطيع .

أسوان في ٢٧ ابريل ١٩٤٢

سيدتي الآنسة

كنت أود أن أجادل حبا في الجدل كما قلت في خطابي الأول ولكن يخيل الي أننا تقاربنا أو أننا نقول شيئا واحدا بأسلوبين مختلفين. فالآنسة تقول أن المعاني الرمزية تأتي عفوا ولا تقصد قصدا، وأنا أقول أن المعاني الرمزية لا تجيء لذاتها وإنما تقبل حيث لا يكون للكاتب بد منها. وهي لا تكون كذلك الا حين يستعان بها على الاختصار أو على تقديس البساطة التي لا يؤبه لها أو تقريب الحقائق العظيمة الغامضة التي لا يلم بها الفكر الا من طريق الرمز والايحاء - على أن كتابا يسترسلون في الرموز بلا جدوى ليوهموا العمق حيث لا عمق أو ليخيلوا المعنى البعيد حيث لا معنى ذا طائل تلمحه البصيرة في البعد أو في القرب، وهؤلاء حكمهم واحد عند الآنسة وعندي بلا ريب

وقد نتفق على أن الرموز في الفنون كالرموز في الديانات، وذلك أن الكهان المواظبين لا يتعاطون الرموز فيما بينهم للابانة عن أسرار هياكلهم

ولعلنا ننصف البحث إذا رجعنا إلى منشأ الملاحظة التى أبْدتها الآنسة وهو الرأى أو المشورة التى أشرت بها فى خاتمة مقالى على كتاب « المواكب » . فهناك - أى فى المواكب - يشكو المؤلف مدنية الإنسان ويجعل الغاب رمزاً إلى المثل الأعلى الذى ينشده الساخطون على المدنية ومؤذياتها ويعتقد العدل فى شريعة الغاب وأنه لا جور ثمة ولا تعصب ولا غرور ولا شئ مما يشين المدنية ويضيق له صدر مجربها . ولو أننى أردت أن أشبّه مذهب المؤلف فى هذا القول تشبيهاً أتوخّى فيه الحقيقة ولا أطاوع المغالاة لشبّهته برجلٍ يشكو أضراسه وأسنانه فينعى على الأضراس والأسنان جملةً ويصب جام غضبه على خلقتها وتركيبها ويتمنى لو جعله الله أسداً أو ضبعاً لأن الأسود والضباع لا أسنان لها .. ! أليست هذه بعينها هى خلاصة شكوى المواكب ؟ أليس من يقول إن الأسد لا أسنان له كمن يقول إن الغاب لا ظلم فيها ؟ نعم إن الرجل متألم وإن الشكوى من الألم جائزة ولكنا إذا سمعنا متألما يتمنى على الله أن يخلع الأسنان كلها لأن واحدة منها أضجرته فنسى سابق فضلها عليه ولم ير لها من فائدة فأكبر ظنى (وظن الآنسة أيضاً) أننا لا نؤلف من صرخاته هذه مذهباً فى طب الأسنان أو فلسفة خاصة فى علم وظائف الأعضاء ، وليس لنا إلاّ أن نقول إن وجع الأسنان صعب فى الواقع ولكن صاحبنا لم يحسن الشكوى !

وإننى ليسرنى أن ترى الآنسة فى كلامى مايعدّ رمزاً ترضاه . وهذا خليق أن يحوّلنى إلى صفّها ويجعلنى من رأيها ويلزمنى الدفاع عن الطريقة الرمزية فى بعض الأحيان . ولكن ألا يبيحنى ذلك أيضاً أن أنتقد الرموز التى أجد لصاحبها مندوحة عنها ؟ فإن تعاطىّ الرموز مع انتقادى لها دليل على أننى أوثر من هذه الرموز ما يلجأ إليه الكاتب مسوقاً ولا يتحراه مختاراً . وهذا هو الملتقى الذى يتقابل فيه رأى الآنسة ورأيى فى هذا الموضوع .

* * *

ولقد حملتنى الآنسة تحية إلى أسوان الخالدة فحملتها وأدّيتها ولو جاز لى أن أنوب عن هذه الربوع التى مرت بها الدهور وهى باقية لأبلغتك عنها تحية عاطرة من كل هيكل فيها يزيده النسيان جلالاً وطهراً ، ومن كل شعاع فى سمائها

التي يدخرونها على بساطتها المجردة ولكنهم يدخرون هذه الرموز لمخاطبة زمر العباد الذين لا يشاركونهم الاعجاب بما للبساطة من جلال وروعة . وربما اتخذ الكبار انفسهم لغة الرموز فيما بينهم ولكن في أي شيء ؟ في الاشياء التي يخفى عليهم جميعا سرها وتحتجب عنهم ملامحها فيتعللون منها بما يشبه الظلال الليلية اذ تلقي الى الناظر شبحا غامضا من كل شيء ذي صورة وملامح . ولو انهم وجدوا وسيلة الى رسم هذه الملامح واضحة مميزة لما اكتفوا من الصورة بظلالها ومن الذوات بأشباحها . ففي هذه المعارض التي تفوق ذرع الفكر ولا ترتفع عن أعمق اغوار النفس لا اعتراض على الرموز ولا انكار لها بل لا غنى عنها . لأن المعترض عليها اما ان يحتمي بالسكوت (وليس السكوت من الفن في شيء) واما ان ينطق في التعبير عنها موضحا مبينا وهو لا يستطيع

ولعلنا ننصف البحث اذا رجعنا الى منشأ الملاحظة التي أبرزها الآنسة وصبو الرأي او المشورة التي أشرت بها في خاتمة مقالي على كتاب «المواكب» . فهناك – اي في المواكب – يشكو المؤلف مدنية الانسان ويجعل الغاب رمزا الى المثل الأعلى الذي ينشده الساخطون على المدنية ومؤذياتها ويعتقد العدل في شريعة الغاب وأن لا جور ثمة ولا تعصب ولا غرور ولا شيء مما يشين المدنية ويضيق صدر جبران . ولو أنني أردت أن أشبه مذهب المؤلف في هذا القول تشبيها أتوخى فيه الحقيقة ولا اطاوع المغالاة لشبهته برجل يشكو أضراسه وأسنانه فيبغي على

الصافية ، ومن كل محجر من محاجرها التى صاغت للعظمة أمثلتها الصامتة الناطقة فى معابد مصر الخالدة ، ومن كل ناضرة فى قصر ملاّ ، وكل باسقة فى جزائر النيل . بيد أنها إن أبت علىّ أن أنوب عنها فلن تأبى أن تزجى إليك أطيب تحياتها . فتقبّليها . وتفضلى بتبليغ سلامى واحترامى إلى الوالدين الكريمين .

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

أنيس منصور : « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٩٨٣ ، صفحات (٤١٩ - ٤٢٢)

الأضراس والأسنان جملة ويصب جام غضبه على خلقتك وتركيبك ويتمنى لو
جعل الله أسدا أو ضبعا لأن الأسود والضباع لا أسنان لها ..! أليست
هذه بعينك هي خلاصة شكوى المواكب؟ أليس من يقول ان الأسد لا أسنان
لكن يقول ان الغاب لا ظلم فيك؟ نعم ان الرجل متألم وان الشكوى من
الألم جائزة ولكننا اذا سمعنا متألما يتمنى على الله أن يخلع الأسنان كلها
لأن واحدة منك أضجرته فنسي سابق فضلك عليه ولم يرك من فائدة فأكبر
ظني (وظن الآنسة أيضا) اننا لا نؤلف من صرخاته هذه مذهبا في طب
الأسنان او فلسفة خاصة في علم وظائف الأعضاء، وليس لنا الآن
نقول ان وجع الأسنان صعب في الواقع ولكن صاحبنا لم يحسن الشكوى!

واني ليسرني ان ترى الآنسة في كلامي ما يعد رمزا ترضاه. وهذا
خليق أن يحولني الى صفك ويجعلني من رأيك ويلزمني الدفاع عن الطريقة
الرمزية في بعض الأحيان ولكن ألا يبيحني ذلك أيضا ان انتقد الرموز
التي أجد لصاحبك منه ومنك عنك؟ فإن تعاطي الرموز مع انتقادي لها
دليل على انني اوثر من هذه الرموز ما يلجأ اليه الكاتب مسوقا ولا
يتحراه مختارا. وهذا هو الملتقى الذي يتقابل فيه رأي الآنسة
ورأيي في هذا الموضوع

∴

ولقد حملتني الآنسة تحية الى اسوان الخالدة فحملتها وأديتها
ولو جاز لي أن انوب عن هذه الربوع التي مرت بها الدهور وهي
باقية لأبلغتك عنها تحية عاطرة من كل هيكل فيها يزيده النسيان

جلالا وطهرا ومن كل شعاع في سمائها الصافية ومن كل حجر من محاجرها
التي صاغت للعظمة امثلتها الصامتة الناطقة في معابد مصر الخالدة ومن
كل ناضرة في قصورها وكل باسقة في جزائر النيل. بيد انها ان ابت عليّ
أن انوب عنها فلست تأبى أن تزجي اليك اطيب تحياتها. فتقبليها وتفضلي
بتبليغ سلامي واحترامي الى الوالدين الكريمين مع

المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالتين
الثانية والثالثة

تدور هاتان الرسالتان حول موضوع واحد ولهذا جمعنا بينهما فى تعليق واحد .

* * *

كان العقاد فى سنة ١٩١٩ ، قد كتب نقداً لكتاب « المواكب » للشاعر اللبنانى الشهير جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) [١] ، ثم أعاد نشر هذا النقد فى كتاب « الفصول » الذى أهداه إلى مىّ كما رأينا فى رسالته الأولى هنا . وكان أبرز ما أخذه العقاد على المواكب ومؤلفه غلبة المعانى الرمزية التى يرى فيها العقاد « بقية من بقايا إبهام الكهّان الأقدمين لا يقبلها فى العصور الحديثة إلاّ أشباهُ أتباع الكهّان فيما تصرّم من العصور » [٢] .

ويفهم من الرسالة الثانية أنّ ميًّا كتبت إليه تراجعه فى بعض آرائه عن جبران وكتاب المواكب ، وعن المعانى الرمزية خاصة . لذلك نراه يعود إلى توضيح رأيه ، ويحاول أن يقرّب شقة الخلاف بينه وبين مىّ ، فيقول إنه « لا يجد الآنسة تكثر فى كتابتها من المعانى الرمزية » ، ويقترب أكثر فيقول إنه لا يرى بأساً فى أن يستعمل الكاتب قليلاً من الرموز إذا كانت تساعد على توضيح الفكرة وتثبيتها ، أو تقديسها كما قال ، وإذا كانت ترمز فى النهاية إلى معنى صحيح يقبله العقل ولا يرفضه الحسّ .

ويعاود العقاد فى الرسالة الثالثة محاولة التقريب أو التوفيق بين رأيه ورأى مىّ ، فيرى أنهما يقولان شيئاً واحداً ولكن بأسلوبين مختلفين . ونكاد نحس فى هذه المحاولة أن العقاد إنما يتكلم بلسان « العاطفة الفنية » أو « الفن العاطفى » على حد تعبيره ، وأنه لا يلبث أن ينفى ، بلسان العقل والمنطق ، ما تصطنعه المشاعر العاطفة من أسباب التوفيق والتقريب .

---

(١) نشر هذا النقد فى صحيفة « الأهالى » ، عدد ٢١ مايو ١٩١٩

(٢) الفصول ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٢ ، صفحة (٤٩)

ولم يزل ذلك موقف العقاد من الرمزية ورأيه فيها . فقد كتب فى سنة ١٩٤٧ يقول : « إن الرمز شئ مألوف فى تعبير الإنسان وفى طبيعته ، ولكنه مألوف على حالةٍ واحدةٍ لا يخلو منها معرض الرمز والكناية ، وهى حالة الاضطرار والعجز عن الإفصاح ، فلم يرمز الإنسان قط وهو قادر على التصريح والتوضيح ، ولم يجد كلمة واضحة لمعنى واضح ثم آثر عليها الالتواء شغفاً بالالتواء .

ويجمل العقاد رأيه فى الرمزية بقوله : « فالرمزية فى حدودها المعقولة – مالم تجعل الدنيا كلها رموزاً وكناياتٍ وأطيافاً – تعيش فى الظلام ولا تعيش فى الضياء ، وهى ضرورية ماشعر الإنسان بضرورتها فى تمثيل الدقائق والأسرار ، ولكنها تخرج من الضرورة إلى الضرر إذا أصبحت مطلوبة لغير سبب ، وأصبح شعارها الرمز للرمز والغموض للغموض والتلفيق للتلفيق »[١] .

* * *

وبقدر ماكانت الرسالة الأولى موجزة فى حدود القصد منها ، وما اتسمت به من التزام أدب اللياقة الاجتماعية فى لغة الخطاب ، ولا مزيد ، فقد انفسح المجال فى الرسالتين الأخريين لومضاتٍ خاطفة من لغة « العاطفة الفنية » أو « الفن العاطفى » وهى اللغة التى ستطالعنا فى الرسائل التالية وستأخذ نغمتها فى الارتفاع طبقةً بعد طبقة حتى تصل فى النهاية إلى عليا طبقات التصدية والغناء .

* * *

---

(١) « المدرسة الرمزية » ؛ مجلة الكتاب ، يناير ١٩٤٧ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٧ وأعيد نشرها فى كتاب « حياة قلم » ، ص ٣٤٥ – ٣٥٣

الرسالة الرابعة

أسوان فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٣

سيدتى

كان رمضان رفيقاً بى فمرّ وما شعرت به ! وطلع خطابك والعيد فى ليلة واحدة فكانا أجدر صاحبين أن يترافقا . ولو أنه جاء لصائم فى إبان الصيام لأعانه على نسكه ومدّ له من العون بقدر مايزاد من سطوره وأحرفه . لأنه زاد شهورٍ من غذاء النفس . ولا شك أن الجسوم أيضاً بحاجةٍ إلى زاد النفوس .

تسألنى الآنسة هل يعرفنى قومى كما ينبغى أن يعرفوا ؟ وبودّى أن أقول نعم ولكنى لا أستطيع أن أقولها . فمنّى إلى قومى جدول من العطف متسرّبٌ مطّرد ، لا أزال أرسل فيه دم حياتى وصفوة أملى ولا يزال يذهب منى ولا يعود إلىّ ولا أدرى إلى أين يذهب ، فلعله يجفّ فى بعض الطريق ! تغيضه مغاور العالم السفلى أو تشربه ريح السَّموم ... ولكن هل آسى على ذلك ؟ أمّا مختاراً فلا ، وأمّا مُكْرهاً فما الحيلة فيما نُساق إليه سَوْقًا ؟ على أن العطف ياسيدتى كآثار الفنون يقاس بالجودة لا بالعدد ويروع بعلوّه لا بمساحته فربّ صورة واحدة مجتمعة المحاسن تفضل ألوفاً من الصور التى تتفرق فيها محاسنها الصغيرة ، وربّ نفحة عطف من نفس زكية ترجح بالعطف من نفوس شتى لا يجمع بيننا وبينها غير دفاتر الإحصاء . نفوس لو التقينا بها فى كون آخر لما عرفنا أنها من كوننا بعلامة واحدة من علاماتها ولما ظننا أنها خطرت فيه مرة ولو خطرة العابر . فإذا كان فى أثرٍ من آثارى ماتجود عليه الآنسة بساعات من وقتها ونفحات من عطفها فهل آسى على العطف من جمهورٍ يُحْرَمون فلا يُرثى لمحرومهم ويُمْنحون فلا يُغبط صاحب الحظوة بينهم ؟

أما المخالفة الجديدة فأهلاً بها فإنى أحبّ أن أستديم أسبابها ، وشكراً للآنسة على تفسيرها البديع للطبيعة . ولكنها بعدُ طبيعة الآنسة مىّ لا طبيعة المواكب ! وحسبها كرماً أنها تجود على غيرها بطبيعة كاملة من تصويرها وخلقتها — هذا كرم

أسوان في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٢

سيدي

كان رمضان رفيقاً لي هنا وما شعرت به! وطلع هلاله
والعيد في ليلة واحدة فكانا أجدر صاحبين أن يترافقا. ولو أنه
جاء الصائم في أيام الصيام لأعان على نسكه وعدل من الصوم
بقدر ما يزاد من سطوره وأحرفه. لأنه زاد شعوري من غذاء
النفس. ولا شك أن الجسوم أيضاً بحاجة إلى زكاة النفوس

تسألني الآنسة هل يعرفني قومي كما ينبغي أن يعرفوا؟ وبودي
أن أقول نعم ولكني لا أستطيع أن أقولها. تحتي إلى قومي جدول من
العطف متسرب مطرد، لا أزال أرسل فيه دم حياتي وصفوة أملي
ولا يزال يذهب مني ولا يعود إلي ولا أدري إلى أين يذهب، فلعله
يجف في بعض الطريق! تغيضه مغاور العالم السفلي أو تقشره
ريح السموم... ولكن هل آسى على ذلك؟ أما مختاراً فلا وأما
مكرهاً في الحياة فيما نساق إليه سوقاً! على أن العطف يا سيدي
كآثار الفنون يقاس بالجودة لا بالعدد ويروع بعلوه لا بمساحته
ورب صورة واحدة مجتمعة المحاسن تفضل الوفا من الصور التي
تتفرق فيها محاسنها الصغيرة، ورب نفحة عطف من نفس زكية

إلهى وليس لأحدٍ أن يحاسب الآلهة على هباتها . فإن كان لابدّ من كلمة تقال فلى كلمة أضيفها وهى أن فى هذه الطبيعة معانى من المثل الأعلى لجهاد الحياة ، ولا أظن الآنسة تعطى الطبيعة بهذا التفسير جميع معانى المثل الأعلى كما وردت فى المواكب . لأن الراحة ليست غايتنا من الحياة وإنما هى المحطة التى لابد لنا من الوقوف عليها فى طريقنا إلى تلك الغاية ، أليس مثلنا الأعلى فى الحياة أن نكون كالآلهة التى لا تطلب راحةً لأنها لا تحسّ تعباً ؟ غير أنى لا أنسى أن الراحة قد تكون مثلاً أعلى من طريق القلب والخيال ، وإن لم تكن كذلك من طريق الغريزة والوجدان .

سأصل إلى القاهرة بعد وصول خطابى هذا بأيام ، وسأعدّ نفسى لجميع مخالفات الآنسة السعيدة الموحية ، وسلام وشوق واحترام إلى الملتقى .

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

- أنيس منصور : « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » ، (صفحات ٤٢٣ - ٤٢٥)

ترجع بالعطف من نفوس شتى لا تجمع بيننا وبينها غير دفاتر
الإحصاء. نفوس لو التقينا بها في كون آخر لما عرفنا أنها
من كوننا بعلامة واحدة من علاماتها ولما ظننا أنها خطرت
فيه مرة ولو خطرة العابر. فإذا كانت ثم أثر من آثاره ما
تجود عليه الآنسة بساعات من وقتها ونفحات من عطفها فإن
آسى على العطف من جمهور يحرمونه فلا يرثى لمحرومهم ويمنحونه
فلا يغبط صاحب الحظوة بينهم؟

أما المخالفة الجديدة في أصلابها فإني أحب أن أستقديم
أسبابها، وشكر الآنسة على تفسيرها البديع للطبيعة. ولكنها
بين طبيعة الآنسة هي لا طبيعة المواكب! وحسبها كرماً أنها
تجود على غيرها بطبيعة كاملة من تصويرها وخلقها - هنا
كرم إلهي وليس لأحد أن يحاسب الآلهة على هباتها. فإن كان
لا بد من كلمة تقال فلي كلمة أضيفها وهي أن في هذه الطبيعة
معاني من المثل الأعلى لجلاد الحياة، ولا أظن الآنسة تعطي
الطبيعة بهذا التفسير جميع معاني المثل الأعلى كما وردت في
المواكب. لأن الراحة ليست غاية تنشدها الحياة وإنما هي المحطة
التي لا بد لنا من الوقوف عليها في طريقنا إلى تلك الغاية،
أليس مثلنا الأعلى في الحياة أن نكون كالآلهة التي لا تطلب
راحة لأنها لا تحس تعباً؟ غير أني لا أنسى أن الراحة قد
تكون مثلاً أعلى من طريق القلب والخيال وإن لم تكن كذلك
من طريق الغريزة والوجدان

سأصل الى القاهرة بعد وصول خطابي هذا بأيام
وسأعد نفسي لجميع مخالفات الآنسة السعيدة الموحية، وسلام
وشوق واحترام الى الملتقى

المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

يحق لقارئ هذه الرسالة أن يتساءل : أكانت ميّ قد بدأت تشعر فى نفسها شعوراً خاصًّا تجاه العقاد ؟ أتراها أحسّت بعاطفةٍ مّا نحوه ؟ وهل رأت فى هذا الأديب العملاق « رجلها » المرموق ؟ ثم أيكون هذا الإحساس الكامن هو سرّ اهتمامها بمنزلته الأدبية ومكانته بين قومه ، وما إذا كانوا يعرفونه كما ينبغى أن يعرفوه عبقريًّا نابغًا وعصاميًّا نادر المثال ، وشاعراً ملهماً تتوهج روحه بمعانى الخير والحق والحب والجمال ؟ أكانت هذه هى الصورة التى أحبت مى أن يكون عليها من اختارته لقلبها ليجمع فى محرابها بين شخص المحب الوامق وشخص الأديب صاحب المكانة المرموقة بين قومه وبنى وطنه ؟

سواء صحّ هذا التأويل أو كان مجرد وهمٍ من الأوهام – وما أكثر الأوهام فى حياة الناس وفى عواطف القلوب – فقد قابله العقاد بإحساسٍ مثله ومن ذلك المعدن نفسه ! إحساس يجعل نفحةَ عطفٍ من ميّ على أثرٍ من آثاره ترجح عنده عطفَ الجمهور وتقديره ، وإن يكن يحمل لهذا الجمهور جدولاً من العطف يرسل فيه دم حياته وصفوة أمله ... ومثل هذا الإحساس لا يكون صادراً إلاّ عن قلبٍ ينبض بالحب ويتعبد فى محراب المحبوب .

* * *

الرسالة الخامسة

مصر فى ٩ يوليه سنة ١٩٢٣

شكراً لسيدتى الآنسة على تمنياتها الطيبة وعلى تفسيرها الجميل لملكة حافظ الرياضية وما قسمه فى شعره من حساب بغير حساب ... فقد كان بعض الإخوان يقرأون هذا البيت من قصيدته :

وَرُبَّ لفظٍ حكيم فى مُفاوضةٍ
أجْدَى على مِصْركم من ألف فدّان

فيقولون لى مازحين : ماهذا الادعاء ياصاح ! وهل عندكم فى أسوانكم كلها ألف فدان فيكون فيها من يملك هذا القدر ؟ والحق أنهم أدنى إلى القصد فى مزحهم وأن حافظاً جزاه الله قد ظلمنى بالتفرقة بينى وبين « عمد » بلادنا فى مزية الغنى . فإن أسوان أشبه بلاد الله أعياناً بدَهْماء وأدباءً بوجهاء ... ولكن الآنسة صحّحت المبالغة وردّت حصة العمدة إلى نصف فدان فطابقت الحقيقة وأنصفتنى من منافسىّ فلم تجعل لهم من مزيةٍ علىّ ، وجاز لى أن أكون بحسن حسابها من الأعيان فلا أستشفع بالأدب وحده فى ترشيحى بأسوان .

وللآنسة على ذلك شكرٌ سأغتنم بأدائه غداً مسرّة الحضور بمجلسها والاستماع إليها .

المخلص
عباس محمود العقاد

المصدر :

عامر العقاد ، « لمحات من حياة العقاد المجهولة » ، صفحة (٢٠٢)

مصر في ٩ يوليه سنة ١٩٢٤

شكراً لصديقتي الآنسة على تنبؤاتها الطيبة وعلى تفسيرها الجميل لملكة حافظ الرياضية وما قاله في شعره من حساب بغير حساب ... فقد كان بعض الإخوان يقرأون هذا البيت من قصيدته :

ورب لفظ حكيم في مفاوضة أجدى على مصركم من ألف فدان

فيقولون لي مازحين: ما هذا الادعاء يا صاح .! وهل عندكم في أسوان كلها ألف فدان فيكون فيها من يملك هذا القدر ؟ والحق أنهم أدنى إلى القصد في مزحهم وأن حافظاً جزاه الله قد ظلمني بالتقدير وبيني وبين «عمد» بلادنا في مزية الغنى . فإن أسوان أشبه بلاد الله أعيانا بدهماء وأدباءً بوهيميا ...

ولكن الآنسة صححت المبالغة وردت حصة العمدة إلى نصف فدان فطابقت الحقيقة وأنصفتني من منافسي فلم تجعل لهم من مزية علي، وجاز لي أن أكون بحسب حسابها من الأعيان. فلا أستشفع بالأدب وحده في ترشيحي بأسوان .

وللآنسة على ذلك شكر سأغتنم بأدائه غداً مسرة الحضور بمجلسها والاستماع إليها

المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

« التمنيات الطيبة » من ميّ كانت بمناسبة دخول العقاد أول انتخابات نيابية في مصر بعد صدور دستور سنة ١٩٢٣ ، فقد رشح العقاد نفسه لعضوية مجلس النواب عن دائرةبلدته أسوان على مبادئ الوفد على عهد رئيسه الزعيم العظيم سعد زغلول . ولم يوفق العقاد فى هذه الانتخابات للأسباب التى أجمل ذكرها تلميذه النجيب وقريبه القريب الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف فى كتابه عن « العقاد وأسرة محمد على » ، حيث يقول :

« كان المرشحون فى دائرة أسوان أربعة ، منهم اثنان من رجال الوفد هما حنفى بك مصطفى منصور والعقاد . فكان ينبغى لسعد زغلول أن ينحّى أحدهما عن ترشيح نفسه ، فإذا امتثل فذاك ونعمت أعين ، وإلاّ فليعلن أن الآخر هو مرشحه الوحيد فى الدائرة ، وتلك وحدها كافية لإنجاحه .

وكان من حق العقاد على جهاز الوفد كله أن يجامله هذه المجاملة إن لم يكن ذلك حقه فى نظر العدل والإنصاف ، فهو حقه على الأقل فى نظر نفسه وطماحتها إلى هذا المكان والمكانة .

ولكن الوفد ترك الأمر على علاته ، ينجح فى الدائرة من قدر له فيها النجاح بغير تدخل منه ، واكتفى بأن يقول للعقاد إن الناس كلهم يعرفون أنه كاتب الوفد الأول ، وأن دعاة الوفد كلهم يدعون له ، حتى لقد أيّده حافظ إبراهيم – شاعر النيل – بقصيدة طويلة نشرت على الناخبين فى منشور انتخابى ، لا يقصد منها فن الشعر وأدب القريض بقدر ما يقصد منها أن أجهزة الوفد كلها تقف فى صف العقاد ، وهى التى يقول فيها :

يـاآل أسوان قـد فـزتم بمكـرمـةٍ ... لله دَرُّكـُـمُ يـــا آل أســــوان
رشحتمُ اليوم عبّاساً ولا عجب ... فقد وقعتم على حيّ بن يقظان
عـلـى أديـبٍ أريـبٍ لا يـعـادلـه ... فى الرأى من عُمَد الأرياف ألفان

رشحتموه لرأيٍ ثاقبٍ أبداً | يعلو الغداة على قسّ وسحبان
عباس إن يُنْتَخبْ للبرلمان غداً | فهو الأحقّ به من كل إنسان
دار النيابة ليست دار مهزلةٍ | تُؤَمّ للّهْوِ أو تفريج أحزان
ولا كراسيّها صُفّت ليشغَلها | أمثالها من ذوى مالٍ وأطيان » [١]

وهى القصيدة التى أشار إليها العقاد فى رسالته ، وزاد على الأبيات التى أوردها الأستاذ الشريف بيتاً هو :

ورب لفظٍ حكيمٍ فى مفاوضةٍ | أجدى على مصركم من ألف فدان

وهو البيت الذى كان موضع التندُّر من ميّ التى صححت مبالغة حافظ وردّت حصة العمدة فى أسوان إلى نصف فدان ... فطابقت الحقيقة وأنصفت العقاد من منافسيه كما يقول .

* * *

(١) أحمد إبراهيم الشريف : « العقاد وأسرة محمد على » ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، ص (٨٨ - ٨٩) .

الرسالة السادسة

سيدتى الآنسة

شكراً للآنسة على الهدية النفيسة ، إنّى الآن أجد فى أسوان مادة جديدة للقراءة وقلّ أن يوجد فى أسوان إلاّ كل قديم مُعَاد .

ليس كل مافى الكتابين جديداً عندى وليست هذه الأيام أول عهدى بما فيهما من العبارات والأفكار ، فقد قرأت أكثر ما احتوياه من قبل وكدت أفرغ من قراءة البقية الآن ، ولكن الجديد منهما والقديم ينتهيان بى على السواء إلى عالم واحد وروح واحدة : هما عالم الآنسة « مىّ » الرحب الأنيس وروحها العاطفة السمحة .

فأمّا عالمها الذى أعرفه وأحسب أنّ قراءها جميعاً يعرفونه فبماذا عساى أن أصفه ؟ أصدق ما أقول فيه – كما يتمثل لى – أنه يرينا هذه الدنيا كأنها متحف من متاحف الفن الجميل كل مافيه رائق شجى أو مجمل مهذب . نعم وما هذا العالم إلاّ دنيانا هذه بعينها تعاد على أنظارنا ولكن على صورة يرضاها الذوق المرفّه ويستريح إليها النظر الوادع . فحتى المناظر النابية التى نراها فى دنيانا نبحث عنها فى هذا العالم فإذا هى لا يُبخل عليها بالإطار الجميل والغطاء الثمين ! وحتى القديم المحطّم هو مجبورٌ هنا فى الضماد الموشّى والوقاء المنظم ، وحتى زوايا الظلال لها نصيبها من أشعة النور البنفسجى .

وأما الروح فهى تلك التى تليق بأن تكون سيدة هذا العالم وهى التى يشف كل حرف عمّا أودعته من غزير العطف والسجاحة . تعطف على الموافق والمخالف وتبتسم للمصيب والمخطئ ، وربما كانت ابتسامتها هذه ممّا يحبّب الخطأ إلى أهله فيتعمدونه ليفوزوا بالسخط ... ولا أخشى أن أقول إنها تشف أيضاً عن قلّة مبالاة فى غير قليل من المواضع – لا أخشى أن أقول ذلك لأننى أقرأ ما وراء المعانى فأعلم أنها قلة مبالاة لم تأت إلاّ من المبالاة بما هو أجلّ فى النفس وأوْلى باشتغال الخاطر . ومثلها فى ذلك مثل من يترك الأطفال يحلّون مابينهم من الخلاف على أى وجه يشاءون وهو هو الذى يبيت مُعَنّى الفكر بما يدبر لهم من وسائل الحياة والخير . ولم

صديقتي الآنسة

شكرا للآنسة على الهدية النفيسة . اني الآن أجد في أسفار مادة
جديدة للقراءة وقل أن يوجد في أسفار الا كل قديم معاد

ليس كل ما في الكتابين جديدا لدي ولست هذه الايام اول عهدي بما
فيهما من العبارات والافكار ، فقد قرأت اكثر ما احتوياه من قبل ولكني
أفرغ من قراءة البقية الآن ، ولكن الجديد منها والقديم يشتبهان على
السواء انهما عالم واحد وروح واحدة : هما عالم الآنسة مي الرحب
المؤنس وروحها اللطيفة السمحة

فأما عالمها الذي أعرفه وأحب ان أزوره جميعا يعرفونه فماذا عساي
أن أصفه ؟ أصدق ما أقول فيه - كما يتمثل لي - انه يرينا هذه الدنيا كأنها
متحف من متاحف الفن الجميل كل ما فيه رائع شجي أو جميل مهذب . نعم وما هذا
العالم الا دنيانا هذه بعينها تعاد على انظارنا ولكن على صورة يرضاها الذوق
المرهف ويستريح اليها النظر الوادع . فحتى المناظر النابية التي نراها في
دنيانا تبحث عنها في هذا العالم فاذا هي لا تجتلى علينا الا بالاطار الجميل والغطاء
الشفيف ! وحتى القديم المحطم هو جديد هنا في الضماد الموشى والوقاء
المنظم ، وحتى زوايا الظلال لها نصيبها من اشعة النور البنفسجي

واما الروح فهي تلك التي تليق بأن تكون سيدة هذا العالم وهي
التي يشف كل حرف عما اودعته من غزير العطف والسماحة . تعطف على
الموافق والمخالف وتبتسم للمصيب والمخطئ ، وربما كانت ابتسامتها

تَغْلُ نغمة الغضب بعض الشئ فى صفحات الكتابين إلاّ فى مقالة « أحمد كمال » ولكن آه ياسيدتى ! لو ترك الأمر لى لوضعت فى موضع كل حرف من تلك المقالة الشافية سوطاً من نارٍ ثم لرأيت نفسى راضياً لا غاضبا ..

وفى ضيافة هذه الروح ، وبين جوانب هذا العالم ، أقضى الآن ساعات من أمتع أوقات الفكر والشعور وأعوّض مايفوتنى من مجالس الثلاثاء بهذه المجالس التى لا تحدّها أيام ولا أماكن . وأقرأ مالم أقرأ وأعيد ما قرأت فأعلم أنها فاكهة من فواكه الجنة التى لا ينقصها الجنى ولا يشبع منها المتناول وأتطلع إلى الشجرة فأسأل لها المزيد من البركة وأطلب لها السلامة من الأيدى التى لا تعرف أن تجنى حتى ترجم ... وأرجو أن أوفق بعد استيعاب مافى الكتابين النفيسين إلى التعبير عما فى نفسى من الشكر والتقدير .

٢٣ فبراير سنة ١٩٢٤

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

– أنيس منصور : فى صالون العقاد : (صفحات ٤٢٦ – ٤٢٧) .

هذه مما يجب الخطأ الى أهله فيتعمدون ليفوزوا بالسخط ... ولا أخشى
أن أقول انها تكشف أيضا عن قلة مبالاة في غير قليل من المواضع - لا أخشى
أن أقول ذلك لأنني أقرأ ما وراء المعاني فأعلم ان قلة مبالاة لم تأت الا
من المبالاة بما هو أجل في النفس وأولى باشتغال الخاطر . ومثلك في ذلك
مثل من يترك الاطفال يحلون ما بينهم من الخلاف على أي وجه يشاءون
وهو هو الذي يحيي فيهم معنى الشكر بما يدبر لهم من وسائل الحياة والخير . ولم
تعلُ نغمة الغضب بعض الشيء في صفحات الكتابين الا في مقالة «دوام الحال»
ولكن آه يا سيدتي ! لو ترك الأمر لي لوضعت في موضع كل حرف من تلك
المقالة الشافية سوطا من نار ثم لرأيت نفسي راضيا لا غاضبا

وفي حمى هذه الروح ، وبين جوانب هذا العالم ، أقضي الآن ساعات
من أمتع أوقات الفكر والشعور وأعوض ما يفوتني من مجالس [illegible] بهذه
المجالس التي لا تحدها أيام ولا أماكن . واقرأ ما لم اقرأ وأعيد ما قرأت فأعلم
انها فاكهة من فواكه الجنة التي لا ينقصها الجني ولا يشبع منها المتناول وأتطلع
الى الشجرة فاسأل لها المزيد من البركة وأطلب لها السلامة من الايدي التي
لا تعرف أن تجني حتى تجرح .. وأرجو ان أوفق بعد استيعاب ما في
الكتابين النفيسين الى التعبير عما في نفسي من الشكر والتقدير

المخلص

٢٠ فبراير ١٩٢٤

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

« الهدية النفيسة » التى تشير إليها الرسالة فى مُفْتتحها هى كتابان لمىّ أهدتهما إلى العقاد ، هما « الصحائف » [١] و « ظلمات وأشعة » [٢] . نقول ذلك على سبيل التوكيد بالنسبة للكتاب الأول ، وعلى سبيل الترجيح الذى يرقى إلى درجة اليقين بالنسبة للكتاب الثانى. أمّا الأول فلأنه يحتوى على المقالة المشار إليها فى الرسالة وهى مقالة « أحمد كمال » [٣] ، وأما الثانى فلأنه أقرب كتب مىّ من حيث صدوره إلى تاريخ الرسالة ، ولأن هذين الكتابين أُهديا فى الوقت نفسه إلى الأستاذ المازنى فصرّح باسميهما فى مقالٍ له بعنوان « الواجب » [٤] كتبه على أثر تلقّيه الكتابين .

* * *

ولا نعيد هنا ماقاله العقاد فى رسالته عن « عالم مىّ الرّحْب الأنيس » ، أو عن « روحها العاطفة السمحة » التى تتجلى فى كل ماتكتبه . فربما أحوجنا ذلك إلى أن ننقل كلمات الرسالة بحذافيرها ، فيكون تكراراً لا جديد فيه ، ولعل الأوفق أن يعود القارئ إذا شاء إلى قراءة الرسالة مرة أخرى .

على أننا سنلتقى بكل ماجاء فى هذه الرسالة ، ويزيد عليه ، فى المقال المطوّل الذى خصّ به العقاد كتاب الصحائف ونشره تباعاً فى ثلاث حلقات [٥] عرض فيها لمحتويات الكتاب عرضاً وافياً مستفيضاً ، حتى لقد جاء المقال فى جملته كأنه

---

(١) صدرت طبعته الأولى عن المطبعة السلفية بمصر فى فبراير ١٩٢٤

(٢) الطبعة الأولى بمطبعة الهلال بمصر ، فى يناير ١٩٢٣

(٣) الصحائف : مقال « مات أحمد كمال » ، صفحة ١٢٨

(٤) نشر بصحيفة الأخبار (الرافعية) فى ١٢ ابريل ١٩٢٤ ، وأعيد نشره فى كتاب « حصاد الهشيم » ، الطبعة الأولى ، المطبعة العصرية بمصر ، يناير ١٩٢٥ ، صفحة (٢٥٣)

(٥) نشرت الحلقات الثلاث تحت عنوان « الصحائف » بصحيفة البلاغ اليومية فى شهرى مارس وابريل ١٩٢٤ ، ثم أعيد نشرها فى كتاب « مطالعات فى الكتب والحياة » ، صفحات (٢١١ - ٢٢٥)

تلخيص جيّد للكتاب ، أو لمعظم مافيه ، ومهّد لذلك بكلمة تعريف وتقدير لميّ وأدبها أثنى فيها عليها غاية الثناء وأطرى مزاياها أيّما إطراء ، فى لهجةٍ حانيةٍ رفيقة ، ولغةٍ شاعريةٍ رقيقة ، حتى ليصح القول بأن العقاد فى هذا المقال كان الصديق المتعاطف قبل أن يكون الناقد المحايد .

يقول العقاد فى مستهلّ هذا المقال :

« الآنسة مى كاتبة مطبوعة ، ولك أن تسألنى كيف تعرف ذلك ؟ فأقول لك إن علامة الكاتب المطبوع أن يكتب مايوافق طبعه غير متوخٍّ فيه المحاكاة لغيره . وهذا هو شأن الآنسة ميّ فى جميع ماتكتب . فإن كنت من المولعين بالتعريفات وأردت أن تضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقول المناطقة ليظهر لك التطابق بين الكاتبة وماتكتب من هذا التعريف ، فاعلم أن ميّ هى آنسة شرقية سوريّة المنبت تعيش فى مصر ذكية الفؤاد مهذبة الفكر مطلعة على آداب الغرب لطيفة الشعور عليمة بسنّة الحياة ، ثم احفظ هذا التعريف وافتح أىّ كتابٍ من كتبها على أىّ صفحةٍ من صفحاته عند أىّ سطرٍ من سطوره لاتجد إلاّ مايطابق تعريفك ويوافق القول المنتظر ممّن يكون على هذه الصفة ... » .

ويُجمل العقاد مزية ميّ الكاتبة فيقول : « من الكاتبات من يلبسن عليك الأمر إذا قرأت لهن فيخيل إليك من روح كتابتهن أنها كتابة رجالٍ لا كتابة نساء ، أو أنها قد تنسب إلى جنسٍ من الجنسين بلا فارقٍ فى النسبتين . أمّا الآنسة ميّ فبنتُ جنسها البارة بمواهبه ، وهى مثلٌ صالح من أحسن أمثلته ، وعنوان عالٍ من أصدق عناوينه » .

وإذا استعرنا مصطلح العقاد المشهور ، فإنّ « مفتاح شخصية » ميّ فى رأى العقاد هو صفة « العطف » .. « فهذا العطف - يقول العقاد - هو أخصّ ما خُصّت به كاتبتنا النابغة وأَبْيَن مايَبين لك من جملة آرائها فى الناس والكتب والأفكار ، وهو النعمة التى تسبغها على كل ما تتناوله من الموضوعات وتطرقه من المباحث فتلفّها فى شَمْلةٍ حيّةٍ وثيرةٍ من الرفق والسماحة ، فلا عصبية ولا خصومة ولا إلحاح فى رأيٍ من الآراء ، بل هنالك غصن الزيتون مرفوعٌ للجميع ، وراية السلام مرفرفة فى كل مكان ... »

ويمضى العقاد قائلاً : « بهذه الروح الرؤوم جعلت مىّ مباحثها كلها سمراً مؤنساً وصيّرت الدنيا كلها غرفة استقبالٍ لايصادف فيها الحسّ مايصدمه ويزعجه ، أو هى صوَّرتْها متحفاً جميلاً منضودًا لا تخلو زاوية من زواياه من لباقة الفن وجودة الصنعة . فإن كان للمنظر من مناظر الدنيا حسنه ورواؤه ففيهما الكفاية وعليهما مزيدٌ من مهارة التنسيق وبراعة الترتيب تجود به الآنسة من عندها . وإن لم يكن له هذا النصيب من الحسن والرواء فلن يحرم فى المتحف المكان الممهّد ولا الإطار المُحَلَّى ، ولكنه ينالهما وعليهما مزيد من مهارة التنسيق وبراعة الترتيب أيضاً : غطاءٌ مُوَشّى ثمين !

وكُنْ من شئت من أصحاب الآراء الشديدة أو الرفيقة ، الشاذة أو المطردة ، السابقة أو المتخلفة ، ثم اقرأ كتابة الآنسة مىّ لا تجد فيها مايغضبك أو تظن أنه مناقضة مصوّبة إليك فى هوى نفسك ومنزع فكرك . وليكن لك رأيك فى أسلوب الكتابة أو نمط التفكير أو صيغة التعبير ، فما من كاتبٍ إلاّ وللناس فى أسلوبه وتفكيره وصيغ تعبيره آراء لا تتفق . أمّا الإنسان فى مىّ – ذلك الكائن الشاعر الكامن وراء الكاتب منها والمفكر والمعبّر – فلا يسع الآراء المتفرقة إلاّ أن تتفق فيه وتصافحه مصافحة السلام والكرامة » [1] .

* * *

هكذا استقبل العقاد ميًا فى أول مقالٍ له عنها وعن أدبها ، وقد استغرقه عالمها واستهوته روحها وملكت عليه أقطار فكره وحسّه . ولعل القارئ يلحظ مدى التوافق والتطابق بين لغة الخطاب فى الرسالة موضوع التعليق ولغته فى مقال « الصحائف » ، حيث يبدو العقاد فيهما أديباً يتكلم بلسان المحب ، أو محبًا يتكلم بلسان الأديب ، كلاهما قريب من قريب .

ومن طرائف المفارقات التى تستدعيها نزعة مقارنة النظائر والأشباه ، والأضداد أيضاً ، فى حوادث التاريخ وفى حياة الأشخاص ، ما يمكن أن نستشفّه من الرواية التى ذكرها العقاد فى سياق حديثه عن الدكتور يعقوب صرّوف صاحب

---

(١) المقتبسات جميعها من مقال « الصحائف » فى كتاب المطالعات ، ص (٢١١ – ٢١٣)

« المقتطف » (١٨٥٢ - ١٩٢٧) - وهو أحد أساتذة ميّ المقدّمين وأحد آبائها الروحيين - فقد كان العقاد يزوره ذات يوم من سنة ١٩١٦ ، وكانت المناسبة كما يقول العقاد .. « تعقيبًا على مقالٍ للآنسة ميّ زيادة حول فلسفة برجسون (*) لم أقرّها على كثيرٍ ممّا فيه ، وكان الدكتور صروف يقرأ تعقيبى وهو يبتسم ، ويقول بين آونة وأخرى : « يا رجل ! .. أتتمرجل على بنت ؟ .. » فاستعدتُ منه المقال ، وعلمت بعد ذلك أنه أطلع الآنسة على ملخص ذلك التعقيب ! » (1) .

وسبحان مقلّب القلوب !

* * *

(*) هنرى برجسون Henri Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١) الفيلسوف الفرنسى صاحب مذهب دفعة الحياة Alan Vital ، ومن كتبه بحث مشهور عن فلسفة الضحك ، تحدث عنه العقاد فى كتابه « جحا الضاحك المضحك » وفى مقالات أخرى .

(١) رجال عرفتهم : « الدكتور يعقوب صروف » ، كتاب الهلال ، أكتوبر ١٩٦٣ ، صفحة (١٢١)

الرسالة السابعة

سيدتى الآنسة

شكراً للسياسة فى هذه الأوقات فإنّها علّمتنا التحفظات التى تحلّ المشكلات ... فإنى مع احتفاظى بالعتب على الآنسة لحرمانى من إهداء كتابها الأخير (*) أبادر بتقديم هديتى الصغيرة « مطالعات فى الكتب والحياة » (**) وأعطيها معنى القربان الذى لا يشترط فيه التبادل ، وأرجو أن يكون ذلك الحرمان الذى خصّتنى به الآنسة عقوبةً لا إهمالاً ، لأن العقوبة عندى بالمرتبة التّالية بعد المكافأة .

ولا تحسب سيدتى أنّى خالٍ من الغرض بتقديم هذا القربان ، فإنما أردت أن أُرِيَها كيف ينهزم الرجال ولا يثبتون أمام الأنوثة المقدّسة التى يحترمونها ويحبّونها فى المرأة بغير التجاءٍ منها إلى سلطان الشريعة ! وبذلك أحمى فكرة من الأفكار التى تعودنا أن نسمّيها بنات القرائح ، وإن كنت قد تعلمت أخيراً أن هناك شيئًا أحلى من بنات القرائح وهو الملَبَّس ...

ولتتقبل الآنسة هديتى وتحيتى والسلام

١٩٢٤/١٠/١

من المخلص

عباس محمود العقاد

(*) الأرجح أنه كتاب « بين الجزر والمد » المطبوع بمطبعة الهلال فى يونية سنة ١٩٢٤ ، فهو أقرب كتب مى من حيث الصدور – إلى تاريخ الرسالة .

(**) صدر كتاب المطالعات فى سبتمبر ١٩٢٤ ونوهت عنه مجلة المقتطف بعددها الصادر فى أول نوفمبر ١٩٢٤

المصدر :

– أنيس منصور : « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » الحلقة السادسة والعشرون ، مجلة أكتوبر ، العدد ٢٤٣ ، فى ٢١ يونية (حزيران) ١٩٨١ ، صفحة (٧٤)

ولم تنشر هذه الرسالة فى الكتاب المطبوع .

سيدتي الآنسة

شكراً للنيابة في هذه الأوقات فإنها علمتنا التحفظات التي تقل المشكلات... فإني مع احتفاظي بالعتب على الآنسة لحرماني من اهداء كتابها الأخير أبادر بتقديم هديتي الصغيرة «مطالعات في الكتب والحياة» وأعطيها معنى القربان الذي لا يشترط فيه التبادل. وأرجو أن يكون ذلك الحرمان الذي خصتني به الآنسة عقوبة لا إهمالاً، لأن العقوبة عندي بالمرتبة التالية بعد المكافأة

ولا تحسب سيدتي أني خال من الغرض بتقديم هذا القربان فإنما أردت أن أريها كيف ينهزم الرجال ولا يثبتون أمام الأنوثة القوية التي يحترمونها ويحبونها في المرأة بغير التجاء إلى سلطان الشريعة..!
وبذلك أمحو فكرة من الأفكار التي تعودنا أن نسميها بنات القرائح وإن كنت قد تعلمت أخيراً أن هناك شيئاً أحلى من بنات القرائح وهو الملبس...
ولتتقبل الآنسة هديتي وتحيتي والسلام من المخلص؛

١٩٥٤/١٠/١ عباس محمود العقاد

الرسالة الثامنة

سيدتى الآنسة العزيزة

هنّئت بالعام الجديد وعيده ... ياخير من زان الجديد وزينَا
لك فى سمائك كل يوم رحلة ... تطوينها عُلْوًا وتبتدئينا
وهى النفوس مؤرخات زمانها ... لا النجم يذرع فى الفضاء سنينا
إن الذين يؤرخون حياتهم ... بمطالع الأفلاك لا يحيونا
فاهنئ بمطلع كل عامٍ مقبل ... فى طىّ نفسك حافلاً ميمونا
وخذى التحية من أخٍ لك لم يكن ... ليُخَصَّ عندك بالتحية حينا
يرجو لقلبك كل موقع نبضةٍ ... عيدًا جديدًا بالسرور قمينا

عباس

سيدتى

تهنئتك هى العيد فأشكرك شكراً تقصر عنه عبارتى وأهدى إليك باقة من أزكى تحيات العطف والاحترام

المخلص
عباس محمود العقاد
٢٦ أبريل سنة ١٩٢٥

المصدر :

عامر العقاد ؛ « صفحات من حياة العقاد المجهولة » ، صفحة (٢٠٦)

سيدتي الآنسة العزيزة

هنئتِ بالعام الجديد وعيده — يا خير من زان الجديد وزينا

لك في سمائك كل يوم رحلة — تطوينها علواً وتبتدئينا

وهي النفوس مؤرخات زمانها — لا النجم يذرع في الفضاء سنينا

ان الذين يؤرخون حياتهم — بمطالع الأفلاك لا يحيونا

فاهني بمطلع كل عام مقبل — في طي نفسك حافلاً ميمونا

وخذي التحية من أخ للشعر يكرمه — ليخص عندك بالتحية حينا

يرجو لقلبك كل موقع نبضة — عيداً جديداً بالسرور قمينا

عباس

سيدتي

تهنئتك هي العيد. فاشكرك شكراً تقصر عنه عبارتي واهدي اليك باقة من ازكى تحيات اللطف والاحترام

المخلص

عباس محمود العقاد

٢٦ ابريل ١٩٢٥

التعليق على الرسالة

القصيدة المصاحبة لهذه الرسالة هى إحدى القصائد التى أجاز الأستاذ العقاد نشرها فى الجزء الرابع من ديوانه [1] خلافًا للقصائد الأخرى التى حجبها عن النشر.

وقد تناولها بشئ من التنقيح عند نشرها فى الديوان ، فاستبدل بكلمة « النفوس » فى البيت الثالث كلمة « القلوب » ، وبعبارة « مقبل فى طىّ نفسك » فى البيت الخامس عبارة « ينجلى فى أفق نفسك » ، وبكلمة « نبضة » فى البيت الأخير كلمة « خفقة » .

(١) ديوان العقاد (٣٠٥/٤) بعنوان « تهنئة بعامٍ جديد » .

الرسالة التاسعة

سيدتى الآنسة

شكرك لى على الأبيات التى تفضلت بقبولها نعمة من نعم السماء وابتسامة فى فم الحياة ... أتمنى لك من السعادة بقدر ما بَعَثَهُ فى نفسى وبَثَّه فى جوانب قلبى . ولست بخيلاً بالدعاء لو تعلمين حين أتمنى لك « بقدر » ما شعرت به ولا أزيد .

عرفت من قبل أن الإخوان « حجّاج » القافلة لن يدعوك فى سلام ! وأنهم لن يتركوك فى خلوة مع البحر والليل لأنهم يحملون المدينة معهم أنّى ذهبوا وربما حملوها معهم إلى السماء لو صعدوا يوماً إلى السماء ... ولكنى – بعد أن قرأت خطابك – وددت لو أنك كنت أكثر عناداً لهم ممّا أردت ! فإنى كنت أقرأ كلماتك وسطورك وأخشى أن تنتهى وأود أن تطول إلى غير نهاية . ولكنها انتهت ، ورأيتك لسوء حظى قليلة العناد فى هذا الموقف ! فهل تكونين كذلك فى كل حين ؟!

وإنى أبصرك الساعة بين الماء والسماء فأشعر بوجود الله حقًّا وأحسّ بمحضره قريباً قريباً لأننى لا أستطيع أن أعرف قوة غيره تحمل ذلك المهد السابح الذى أتمثلك فيه طفلةً وادعة فى أحضان ذلك الحنان السرمدى العظيم . وسأتمثلك فى مجازك من البحر إلى اليابسة وفى طريقك إلى روما وفى روما العريقة الخالدة وفى كل مكان ، بل إنى أكاد أراك رأى العين فى غدوّك ورواحك ويقظتك ونومك واجتماعك وانفرادك ، بل ماذا أقول ؟ إنى لا ينقصنى من رؤيتك شئ .

وهلّا أحدثك بما أشعر به وأنا أكتب إليك من القاهرة وأنت فى طريقك إلى مدينة غريبة بعيدة بموقعها بعيدة بتاريخها القديم وذكرياتها الخالدة ؟ إنى على مابى من الشوق إلى رؤيتك وسماع صوتك لست أشعر البتة – وهذا ما أستغربه – بأننى أخطّ هذه السطور لتصل إليك على البعد حيث لم أكن ولم تكونى قطّ قبل الآن ، ولا أحسّ فضاء بين نفسينا تنتقل فيه الرسائل ويقاس بمسافات البـــحار والآفاق

وظلام الليل وبياض النهار ، فلا مثالُكِ بعيدٌ منّى لأنه أقرب قريبٍ إلىّ حيث هو حاضر أبداً أراه ولا أرى شيئًا سواه ، ولا تواريخ روما القديمة تحتويك فى ذكريات الزمان لأننى أراك دائماً فى العالم الذى لا زمان فيه ولا أبعاد ولا حدود ولا قديم ولا حديث . أراك فى عالم الوجود الخالص الذى تفتحه لنا يد الله جلّ جلاله ساعة ننظر فى لحظة من لحظات الحياة فإذا الروح الإلّهية نفسها تطل علينا من أهداب عينين إنسانيتين ... وتمسح على وجه الأرض والسماء فإذا جميع مافيهما بادٍ لنا فى حلّته الأبدية كما رآه الله أول مرة فلا تاريخ له بعدها غير تاريخ تلك اللحظة التى انطوت فيها جميع آباد الزمان ، وفى ذلك العالم ليست أقدمُ التواريخ المهجورة إلاّ حديثَ الأمس وليست ذكرياتُ روما البعيدة إلاّ مشاهد الحاضر الماثل أمام الأبصار .

وليست هذه أول مرة أذكرك فيها بين معاهد البلاد النائية وظلال الأزمنة القديمة ، فقد ذكرتك فى أسوان وذكرتك عند عرش إلّه النيل ومعبد ايزيس ، وما كان أعجب الخواطر التى ألمّت بى هناك بين الهياكل التى أحبها وأحب أن أتصورك فيها ! كانت صورتك تكسوها من حياة ونضرة وعطف وجمال وأمل وابتسام ، وكانت مناظرها الرهيبة تكسوك من هيبة وجلال وسكون وابتهال ، وكان كلاكما يأخذ من صاحبه خير ماعنده ويمنحه خير ماعنده . فيزدان الجمال بالرهبة وتزدان الرهبة بالجمال . وأعبد « مى » فى تلك الهياكل وأحب إيزيس .. أو أعبد ايزيس وأحب « مى » ... وأقولها اليوم وأنا مستعد لعقوبتها الرحيمة ... ولكنى لن أندم عليها . نعم لن أندم عليها أبداً .

والآن أنت فى روما المدائن بين تحف الفن وآثار التاريخ وصوامع العبادة العامرة وميادين الرياضة الدائرة . فكل ما أرجوه – كل ما أرجوه – أن ترجئى العقوبة إلى ما بعد العودة .. وأن تُرينى بعينيك ومن خلال نفسك – وأنت فى روما – شيئًا مما تتوهج به تانك العينان الجميلتان وتتأرج به تلك النفس الطهور .. فإذا سمحت لى أن أخطر ببالك هنيهة وأنت هناك سارحة الطرف أمام آية من آيات العبقرية أو عند زاوية من زوايا الكلسيوم أو وسط حجرة من حجرات الكعبة المسيحية أو بين يدى منظر من مناظر الطبيعة الساحرة تحت ضوء القمر الحالم الفريد – إذا سمحت لطيفى أن يقف إلى جانبك هنيهة فى بقعةٍ من تلكم البقاع فذلك أسعد لى ألف مرّةٍ من أن أراها بعينى وألمسها بيدى ، وتلك عندى رحلة على أجنحة الملائكة إلى جناب روما القدسىّ من طريق علّيين .

[illegible]

... نعم لن أندم عليها أبدا ...

[illegible]

وإذا شهدتُ روما بعد ذلك فلن يكون شأن أقدس ما فيها من النفائس والآثار أنه الأثر الذى بناه فلان ، وعبدت فيه الآلهة والأوثان ، وعاش كذا من الزمان ، ولكن سيكون شأنه الأوحد الأسمى أنه الأثر الذى وقفت لديه « مىّ » وأَرَتْنِيهِ قبل أن أراه بعينى .

فهلْ ستذكريننى ؟؟ إننّى آمل وأتوسّل . بل إننى واثق أنك ستذكرين ! واثق كلّ الثقة وسعيدٌ كلّ السعادة بهذه الثقة الغالية . فلا تَنْسَىْ يا آنسة ... واعذرى ولا تشتدّى علىّ ! ولك منّى أعزّ وأصفى ماترسله نفسٌ إلى نفسٍ من تحيات الشوق والرجاء والعطف والشكر والاحترام

أول يوليو سنة ١٩٢٥

المخلص
عـباس محمود العقاد

المصدر :

عامر العقاد : « لمحات من حياة العقاد المجهولة » ، صفحات (٢١٧ - ٢١٩) .

التعليق على الرسالة

ظنّ بعض من عرضوا لهذه الرسالة أن الأبيات التى حظيت بشكر ميّ واعتدّ العقاد هذا الشكر منها « نعمة من نعم السماء وابتسامة فى فم الحياة » هى قصيدته « إلى ميّ فى روما » [١] التى يقول فى مطلعها :

آل روما لكمو منّا الولاءْ	وثناءٌ عاطرٌ بعد ثناءْ
وسلامٌ كلّما ضاء لنا	طالعُ الإصباح أو جنّ مساء
فى حِماكم كعبةٌ ترمقها	مُهَجٌ مِنّا وآماقٌ ظِماء
كعبة لا كالتى يعمرها	بينكم رَهْطُ القُسُوس الحنفاء

... ...

وهو ظنٌّ لا وجه له بدليل أن تاريخ الرسالة سابقٌ على تاريخ إرسال القصيدة كما هو واضحٌ فى الأصلين المنشورين بخط العقاد ، ولا يستقيم أن تتحدث الرسالة عن أبيات لم تكن أرسلت بعدُ إلى ميّ

والذى نراه أن الأبيات المقصودة بالشكر هى إحدى المقطوعات الشعرية الأربع التى نظمها العقاد فى تواريخ مقاربة لتاريخ الرسالة وأرسلها فى حينها إلى ميّ ، وقد احتفظ بها بين أوراقه الخاصة فلم يضمّنها ديوانه عند صدوره فى سنة ١٩٢٨ ، فيما عدا واحدة منها هى القصيدة التى نشرها تحت عنوان « حوريّة الوحى » فى الجزء الرابع من الديوان [٢] . ثم أعاد الأستاذ عامر العقاد نشر هذه القصيدة على أصلها الأول ، كما نشر المقطوعات الثلاث الأخرى ، لأول مرة ، فى كتابه « لمحات من حياة العقاد المجهولة » [٣] .

---

(١) نشرت هذه القصيدة فى ديوان « وحى الأربعين » (١٩٣٣) بعنوان « حجّاج روما » ، مع تنقيحات يسيرة (صفحة ١٢٥ وما بعدها) . وقد أثبتنا هنا نصّ الأبيات على أصلها الأول كما جاءت فى رسالة العقاد إلى ميّ ، والتى نشرها المرحوم عامر العقاد فى كتابه لمحات من حياة العقاد المجهولة .

(٢) صفحة ٣٣٤

(٣) صفحات (٢٢١ - ٢٢٥)

ونرجّح نحن ، ترجيحاً لا يعوزنا تعليله ، أن قصيدة « حورية الوحى » كانت هى المقصودة بالذكر والشكر فى مطلع هذه الرسالة ، وأنّه لهذا كان حرص العقاد على إثباتها فى الديوان دون أخواتها الأخريات .

وفى هذه القصيدة بيت حذفه العقاد حين نشرها فى الديوان وهو البيت الذى يقول فيه :

أدْعُوك دعوة عابدٍ وَصِبٍ   يزجى الصلاة لمريم الطهر

* * *

ونعود إلى الرسالة فنرى العقاد فيها ، كما لم نره من قبل فى رسائله إلى ميّ ، عاشقاً مشبوب الحسّ بعاطفة الحب مفعم النفس بأشواق الوجد والهيام ، لا يتحفظ تحفّظه السابق فى التعبير عن مكنونات قلبه ودخائل نفسه ، ولا يتحرج من مصارحة ميّ بحبه فى غير تردد أو مواربة ، ولا يصطنع التوقّر والتخفّى وراء ستار الفن العاطفى أو العاطفة الفنية . وكأنما كان سفر ميّ وغيابها المنتظر فى رحلتها إلى إيطاليا وألمانيا داعياً لإطلاق هذه العاطفة المشبوبة من أعماقها طفرةً واحدةً ، والبَوْح بها جملةً ، تَخَفُّفاً من لأوائها ولواعجها المكتومة ، ووصولاً بها إلى إحدى الراحتين .

ويعْمِد العقاد فى الرسالة إلى ضَرْبٍ من الرمز والإيماء ، فيتمثل ميًّا وهى على ظهر السفينة فى البحر ، بين الماء والسماء ، طفلةً وادعةً فى مهدٍ سابحٍ تحمله القدرة الإلهية التى لا قدرة سواها يمكن أن تحتضن ذلك الحنان السرمدى العظيم الذى يلف ميًّا بشَمْلته وسط ذلك العباب الزاخر وكأنما هى ڤينوس تخرج من بين زبد البحر مرة أخرى ، ويحشد العقاد كل مايعيه صدره من صور الماضى البعيد والحاضر المشهود ، ويطير على جناح الخيال فيرى ميًّا بكل عينٍ ويحادثها بكل لسانٍ ،ولا يدع مكاناً ولا زماناً إلاّ ذكرها واستحضرها ثَمَّةَ ، ويذكر فيما يذكره ، أسوان فيذكر عرش إلّه النيل ومعبد إيزيس . ويلجأ العقاد إلى ما يسمّيه « لعب العبقرية الخالدة » عند أبى العلاء المعرى فيتلاعب باللفظ وبالمعنى ؛ بما قصد إليه من الجمع بين هياكل أسوان وبين إيزيس وميّ ، ليقول إنه يعبد ميّ فى تلك الهياكل ويحب إيزيس ، أو يعبد إيزيس ويحب ميّ . يقول ذلك وهو يقصد قصداً إلى هذا الاعتراف ، أو هذا التصريح ، عن حبه لميّ . وإنه ليعلم بالتجربة الطويلة أن هذا

الاعتراف ذنب يستحق به العقوبة « الرحيمة » من ميّ – لأنها عقوبة ميّ ! – وأنه متقبل لهذه العقوبة مستعدّ لها ، وكل ما يرجوه ويتوسّل إليها من أجله أن ترجئ توقيع هذه العقوبة إلى ما بعد عودتها من رحلتها . لماذا ؟ لكى تسمح له بأن يرى بعينيها ماستراه هى من نفائس الآثار والفنون .. فأى توحّد وامتزاج ؟..

ويختتم العقاد رسالته بالأمل فى أن تتذكره ميّ ولا تنساه ، وأن تعذره فيما صرّح به من حبه لها ولا تشتد عليه فى الحساب .

وللقارئ أن يسأل : لِمَ كان التصريح والاعتراف ؟ وفيم كان التوسّل والرجاء؟

وجوابًا على هذا السؤال نقول : إن العقاد وهو يكتب هذه الرسالة إلى ميّ ، فى شهر يولية من سنة ١٩٢٥ ، كان على مفترق الطرق بين عاطفتين متناقضتين كلّ التناقض ، هما عاطفته نحو ميّ ، وعاطفته نحو سارة التى عرفها فى تلك الفترة من حياته (١٩٢٥) ، فكانت كل منهما تشدّه إليها وتجذبه نحوها ، وهو بينهما موزع النفس والقلب لا يكاد يستقر على قرار ..

كانت عاطفته نحو ميّ قد تطورت من الصداقة الأدبية والإعجاب المتبادل إلى الحب من جانب واحد على الأقل ، وقد وصف العقاد هذا الحب بأنه « الحب الذى جعله ينتظر الرسالة أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، وكانا كثيراً مايتراسلان أو يتحدثان ، وكثيراً ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل إيثارًا للتقيّة واجتنابًا للقال والقيل ، وتهدئةً من جماح العاطفة إذا خافا عليها الانقطاع » .

ثم يقول استكمالاً لهذا المعنى بعدما تقدم فى العبارة السابقة التى نقلناها عنه ، ولا بأس أن نعيد هنا هذا النص الذى سبق لنا الاستشهاد به لدقة تحليله وعمق دلالته ؛ وهو كما جاء فى قصة « سارة » :

« كانا يتناولان من الحب كل ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل ، ولا يزيدان .

« وكان يغازلها فتومئ إليه بأصبعها كالمنذرة المتوعدة ، فإذا نظر إلى عينيها لم يدر أتستزيده أم تنهاه ، ولكنه يدرى أن الزيادة ترتفع بالنغمة إلى مقام النشوز . وكان يكتب إليها فيفيض ويسترسل ، ويذكر الشوق والوجد والأمل ، فإذا لقيها بعد ذلك لم ير منهاماينم على استياء ، ولم يسمع منها مايدل على وصول

الخطاب ، وإنما يسمع الجواب باللحن والإيماء دون الإعراب والإفصاح ..

ثم يستطرد ، ويكنّى عن ميّ باسم هند ، وعن شخصه باسم همام :

« ولم تكن هند – وليكن اسمها هنداً – لتعتقد الرهبانية فى « همام » ، ولا لتزعم بينها وبين وجدانها أنه معزول عن عالم النساء . غير أنها لم تكن تحفل اتصاله بالنساء مادام اسمهنّ نساء لا يَلُوح من بينهن اسم امرأةٍ واحدةٍ ، وشبح غرامٍ واحد ، فإن اسم النساء فى هذه الحالة لا يدل على معنى ، ولا انتقاص فيه لما بينهما من رعايةٍ واستئثارٍ » [1] .

* * *

وعلى الرغم من ذلك ، فقد ظل العقاد يحتفظ لميّ بمكانها من نفسه ، ولم تزل عاطفته نحوها كعهده بها فى بدايتها لا تخبو بل لعلها كانت تزيد توهجًا وذكاءً ، وظلّ يناجيها بمثل هذه الرسالة التى تفيض بمعانى المودة والعطف ومشاعر الوله والصبابة والهيام ، وهى لا تفتأ تصده عن هذه العاطفة صدًّا ليّنًا هيّناً حيناً ، وعنيفاً غاضبًا حيناً آخر . وقد طالما عذّبته بهذا الصدّ وحيّرَته ، كما قال لها من أبياتٍ لم تنشر إلاّ بعد وفاته :

عِشْتِ يامىّ هاجراً أو عطوفًا ... أنت مومومقةٌ على الحالتين
عذِّبينى أعرفْ مكانك عندى ... وألَذّ العذابَ لَوْ فيه حَيْنى
وأُهِنْ فيكِ كبرياءَ عزيزٍ ... لم يكن قبل أن يراكِ بهَيْن [2]

أو كما قال من أبيات أخرى لم تنشر كذلك فى حياته :

عَلَّمْتِنى الصَّبْرَ الجميلَ ولَذَّ لِى ... صبرِي وطالتْ فى هواكِ أَنَاتى
لا أشتكى أبداً ، وها أنا قائلٌ : ... مافاتَ فاتَ وكلّ آتٍ آت
إنْ كان أفضلُ مَنْ أحبّ وأرتجى ... يَقْسُو عَلىَّ ولا يجيبُ شَكَاتى
فبأىّ حقٍّ أشتكى مِنْ مِحْنة ... يجرى بها قَدَرى وظلم عُداتى ؟ [3]

---

(١) سارة ، صفحة ١٦٤ ، ١٦٥

(٢) لمحات من حياة العقاد المجهولة ، صفحة ٢٢٢

(٣) لمحات من حياة العقاد المجهولة ، صفحة ٢٢٢

وقد أَمْلَى ذلك لسارة أن تستقل بقلب العقاد ، وأن تسيطر عليه ، ولم تلبث أن ملكت عليه حسّه ولُبَّه ، ويتّصل ذلك بميّ فيدركها مايدرك المرأة من الشعور بالغيرة ، وتسارع إلى زيارة العقاد ، لأول مرة ، فى مكتبه بصحيفة البلاغ ، وتعبر فى طريقها إليه بمكتب الأستاذ عبد القادر حمزة الذى أجمل تحيتها واصطحبها إلى مكتب العقاد ، وهو يعجب فى نفسه من هذه الزيارة المفاجئة .

* * *

ويقول العقاد تعليقاً على هذه الزيارة :

« لو جاءت هذه الزيارة وهمّام فى بداية العلاقة بسارة لما كان بعيداً أن تقضى على تلك العلاقة ، وأن تردّ سارة اسماً مغموراً فى عامة عنوان النساء . بيد أنها جاءت وقد أوغلت العلاقة بينهما إيغالها الذى لا تراجع فيه ، وصمدت على طريقها تعدو مع الأيام عَدْوًا لا تنظر فيه إلى الوراء ، وفَسَح لها الطريق أن همّاماً لم يكن يوغل فيها مثقلاً بتبكيت ضميره ، لأنه لم يَخُن هنداً ولم يقصّر فى حقّها عليه ، ولا وهم أنها تغضب من أمرٍ لا عهد بينه وبينها فيه » [1] .

وهكذا انتهى أعظم حب فى حياة العقاد للأديبة النابغة التى انتهت حياتها ، وأأسفاه ، بالجنون أو ما يشبه الجنون .

* * *

(١) سارة : صفحة ١٦٦ ، ١٦٧

الرسالة العاشرة

سيدتى

وددت أن أحمل إليك مقالاتى الأدبية التى كتبتها أثناء سفرك ولكن عاقنى أمس عائق عن حضور مجلسك الزاهر فأرسلتها فى البريد متمنياً لها حظّاً سعيداً من اطلاعك وعنايتك . وتقبّلى ياسيدتى تحياتى واحتراماتى .

٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٥

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

عامر العقاد ؛ « لمحات من حياة العقاد المجهولة » .

سيدتي

وددت أن أحمل إليك مقالاتي الأدبية التي كتبتها أثناء
سفرك ولكن عاقني أنني عاكف عن حضور مجلسك الزاهر
فأرسلتها في البريد متمنيا لها حظا سعيدا من اطلاعك
وعنايتك . وتقبلي يا سيدتي تحياتي واحتراماتي

المخلص
عباس محمود العقاد

٢٦ أغسطس ١٩٢٥

التعليق على الرسالة

الحب يخبو !
أتُراه يعود وتذكو جذوته من جديد ؟!

الرسالة الحادية عشرة

سيدتى

كان أمس يوم الثلاثاء ولم أَزُرْكِ فى مجلسك الزاهر ، ولكنى زرتك حيث أجدك فى كل حين . وخرجت عشيّةً إلى صحراء « ألماظة » القريبة منّا أتمشّى فى أنحائها وأتنسّم هواءها وأرقب نجومها (ومنها الزُّهرة وعطارد) وأفكّر معك فيما أحسبك تفكرين فيه . وأناجيك بأبيات من هذه القصيدة التى يرتسم عليها أثرٌ من بداوة الصحراء التى وُلِدَتْ فيها :

حَيَّاكِ يا « ميّ » ماغَنَّى وماعَبِقَا ... وفاض حولَكِ بشْراً كلُّ ما شَرِقا

وعَاذَ صَفْوَكِ هَالاَتٌ مُحَصِّنَةٌ ... من رحمةِ الله تَنْفِى شَرَّ ما خَلَقا

بالرَّغْمِ مِنَّا الأَسَى يمشى إلى حَرَمٍ ... يَجْلُو الأَسَى عن مُريديه إذا طَرَقَا

وعبرةٌ تتراءى فى تجمّلها ... كالنَّور مؤتلقاً لا النُّور محترقا

وفى الصدور التى تهفو القلوب بها ... قلب يناجيك ما استحيا له رمقا

يحيا على النور من عينيك مقتبساً ... من وَمْضِهِ فَرَحاً أو غَمْضِهِ شَفَقا

أتعلمين به ؟ بل أنت عالمةٌ ... بالودّ فى هذه الدنيا إذا صدقا

طوبى له – ألف طوبى ! – إن وثِقْتِ به ... فإنه بك دون الناس قد وَثِقا

١٩٢٥/٩/١٦

عباس محمود العقاد

المصدر :

– أنيس منصور : « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » ؛ الحلقة السادسة والعشرون ، مجلة أكتوبر العدد ٢٤٣ ، الأحد ٢١ يونية ١٩٨١ ، ص ٧٤ ، ولم يُنشر أصل الرسالة المخطوط فى الكتاب المطبوع .

شيدق

كان أمس يوم الثلاثاء ولم أرك في مجلسك الزاهر ولكنني رأيتك حيث أحب أن أراك . . خرجت عشية إلى صحراء مصر الجديدة القريبة منا أمشي في أنحائها وأتنسم هواءها وأرقب نجومها (ومنها الزهرة وعطارد) وأحدثك فيها حديث تفكيري فيه . وأنا حييتك بأبيات من هذه القصيدة التي يتنسم عبيرها أثر من بكارة الصحراء التي ولدت فيها :

حياك يا مربع ما غنى وما عبقا
وفاض حولك بشرًا كل ما شرقا

وعاذ صفوك هالات مزينة
من حوز الله تنفي شر ما خلقا

بالرغم منا الآسي يمشي الى حرم
يجلو الأسى عن مريديه إذا طرقا

وعبقري تراءى في تجملها
كالنور مؤتلقا أو النور محترقا

أتعلمين به؟ بل أنت عالمة
بالكون في صدر الدنيا إذا صدقا

طوبى له ـ ألف طوبى ! إن وثقت به
فإن بك دون الناس قد وثقا

عباس محمود العقاد

١٦/٩/١٩٥٥

أجزاء من الرسالة كما نشرت فى مجلة « أكتوبر »

التعليق على الرسالة

في أواخر أغسطس ، أو أوائل سبتمبر ، من سنة ١٩٢٥ أجريت للأستاذ العقاد جراحة في أنفه ، أخلد بعدها إلى الراحة ، وكان ذلك في أثناء إجازته السنوية من عمله الصحفي بصحيفة « البلاغ » [١] . ولهذا السبب تخلّف عن حضور ندوة ميّ في يوم الثلاثاء السابق على تاريخ الرسالة ، وأناب عنه في الزيارة رسالته إليها ، وفيها يذكر خروجه للتريض في صحراء ألماظة القريبة من بيته يتنسم هواءها ويرقب « نجومها » كما يقول ، ويخصّ بالذكر منها « الزُّهرة » ربّة الجمال و«عطارد» إله الشعر ، وهي إشارة موحية فوق ما توحيه أبياته الشِّعْرية التي تضمنتها الرسالة ، والتي ناجى بها ميًّا مناجاة الحب ، وقد عاوده الشوق إليها ، بعد أن كادت شعلته تخبو في قلبه .

وهذه الأبيات من الشعر الذي لم ينشره العقاد في ديوانه ، ونشرها لأول مرة الأستاذ أنيس منصور في إحدى حلقات كتابه المشهور « في صالون العقاد » .

وقد ردّت ميّ على رسالة العقاد في اليوم التالي مباشرة ، تشكر له تحيته الشعرية وتطمئن على صحته ، في رسالة قصيرة نشرها الأستاذ أنيس لأوّل مرة أيضاً ، وهذا نصّها [٢] :

القاهرة ١٧ سبتمبر ١٩٢٥

سيدى الأستاذ العزيز

أبكيتني بهذه القصيدة ، أبكاني صوتك الحنون ، فشكرًا .
حبّذا كلمة تطمئنني عن صحتك . كيف أنت ؟

ميّ

---

(١) راسم محمد الجمال : العقاد رجل الصحافة ..، سلسلة اقرأ ، مارس ١٩٧٩ ، صفحة (٨٨)

(٢) صحيفة أخبار اليوم ، في يوم السبت ٦ نوفمبر ١٩٦٥ ، مقال بعنوان « بطولة ميّ والعقاد والرافعي وغيرهم » بقلم أنيس منصور .

والتفسير النفسى لمضمون رسالة العقاد ، وللقصيدة التى انطوت عليها ، لا يبعد بنا كثيراً من فحوى التعليق على الرسالة التاسعة التى سبق تاريخها تاريخ هذه الرسالة بشهرٍ ونصف شهر ، فكلتاهما كتبت بعد أن توثقت العلاقة الناشئة بين العقاد وسارة بطلة قصته المعروفة بهذا الاسم ، فكان ؛ وهو يحسّ فى أعماقه طغيان هذه العلاقة الجديدة على حسّه وإيغالها فى نفسه إيغالها الذى لا تراجع فيه كما قال ؛ لا يزال يراوحه ويغاديه حبّ ميّ ويعاوده رسيس الهوى الذى يجده من حبّها ، وكأنما كان لسان حاله قول رصيفه القديم « ذى الرّمة » فى صاحبته ميّة :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبّين لم أَجِدْ　　　رَسِيسَ الهوى من حبّ ميّة يَبْرَحُ

ويبقى « النأى » صحيحاً بمعناه وإن تمثل هنا فى صورة الحب الجديد .

* * *

ولعل جواب ميّ على قصره واقتضابه ، لا يخلو كذلك من لاعجةِ أسىً وشوقٍ وحنين ، وهى تسأله : كيف أنت ؟ وقولها له : أبكانى صوتك الحنون . ولَاتَ ساعة حنين ، ولات ساعة بكاء ...

* * *

ولم يفتأ « رسيس الهوى » من حب مى يخامر قلب العقاد ، وتعاوده طيوفه ورؤاه ، متوهجاً حينًا ، خابيًا كابيًا حينا آخر ، حتى إذا أدركت ميًّا الوفاة وسكنت منها الأنفاس ، بكاها العقاد بكاء الواله المفجوع ورثاها رثاء المحب الولوع ، ووقف فى حفل تأبينها يسأل « النخبة من رهط النديّ » بصوتٍ يتهدج وعينين تلتمعان من أثر الدموع :

أين ميّ ؟ هل علمتم أين ميّ ؟
الحديث الحلو ، واللحن الشّجى
والجبين الحرّ والوجه السَّنى
أين ولّى كوكباه ؟ أين غابْ ؟

ويجيبه مجيبٌ بلسان الأقدار : كل هذا فى التراب ...
آه من هذا التراب !

* * *



يالذاك اللبّ من ثروةٍ خِصْبِ
نيّر يقبس من حسٍّ وقلب
بين مرعيّ من ذوى الألباب رَحْب
وغِنًى فيه وجودٍ مستحبّ
كلما جاد ازدهى حسنًا وطابْ

* * *

طلعُهُ الناضر من شعرٍ ونثرٍ
كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النُّـور على شاطئ نهر
فله فى العين سحرٌ أىّ سحر
وصدىً فى كل نفسٍ ، وجوابْ

* * *

تلكمُ الطَّلْـعةُ مازلتُ أراها
غضّـةً تنشر ألوان حلاهـــا
بين آراء أضاءت فى ســـناها
وفـروع تتــهادى فى دُجــاها
ثم شاب الفرْع والأصلُ وغابْ

العقاد

رسالة غير مؤرخة

سيدتى الآنسة

تحيّاتٍ وأشواقاً ، وبعد فهذه أبيات من « أصوات النساء » لا أدرى هل توافق المقترح أو تختلف فيها نظرة سيدتى ونظرتى فى هذا المعنى . وإنّى مُرْسلها إليك مغتبطاً بحظّها من تلاوتك إيّاها على كل حال . وتفضلى بقبول السلام والإجلال .

من المخلص
عباس محمود العقاد

أَكْبِرُوا شَأْنى ولكنْ دَلِّلوا ... فِىَّ طفلاً خالدًا لا يكبرُ
وأعينونى فإنْ أَسْعَدْتُكُمْ ... بعدها فارْضَوْا وإلاّ فاعذروا
وأَعِزُّونِى ولكنْ جَرِّبُوا ... لَذَّةَ الطاعة عندى وانظروا
أنا بالطاعة أحيا فإذا ... لم أَجِدْ أَمْراً فإنِّى آمُر

* * *

المصدر :

أنيس منصور ، « فى صالون العقاد كانت لنا أيام » الحلقة السادسة والعشرون ؛ مجلة أكتوبر ، العدد ٢٤٣ ، الأحد ٢١ يونية (حزيران) ١٩٨١ ، صفحة (٧٦)

سيدتي الآنسة

تحيات وأشواقا. وبعد فهذه أبيات من «أصوات الشادن» لأورن هل توافق المقترح أو تختلف فيها نظرة سيدتي ونظرتي في هذا المعنى. وأن أرسلها إليك مغتبطا بحظها من تلاوتك إياها على كل حال. وتفضلي بقبول السلام والإجلال

من المخلص
عباس محمود العقاد

أكبروا شأني ولكن دللوا	فيّ طفلا خالدا لا يكبر
وأعينوني فإن أسعدتكم	بعدها فارضوا وإلا فاعذروا
وأعزوني ولكن جربوا	لذة الطاعة عندي وانظروا
أنا بالطاعة أحيا فإذا	لم أجد أمرا فإني آمر

التعليق على الرسالة

ظهرت هذه الرسالة فى أصلها المخطوط بغير تاريخ . وهى تدخل بشكلها وموضوعها فى نطاق الرسالة الأولى ، من حيث الإيجاز الذى يوحى بما وراءه من توخّى الحرص على أدب اللياقة الاجتماعية فى لغة الخطاب ، وقد يوحى كذلك بشيءٍ من إرادة « الاحتجاز » الذى يعتصم به العقاد جليس الندوة الغِطْرِيف (الجنتلمان) ؛ تاركًا للشاعر ، أو للطفل الخالد فيه ، أن يقول بلسان العاطفة الفنية مايحتبس وراء إرادة الاحتجاز .. ولو إلى حين !

والأبيات الشعرية التى تضمنتها الرسالة ، وسمّاها العقاد « من أصوات النساء » هى ماتقوله العاطفة الفنية بعيداً من مواضعات اللياقة وآداب « الصالون » ، ويفهم من الرسالة أن هذه الأبيات نظمت باقتراح من ميّ ، ولا تفصح الرسالة عن أسباب الاقتراح والمناسبة التى دعت إليه .

وهذه الأبيات والأبيات القافية فى الرسالة السابقة لم يكن قد سبق نشرها قبل مقالات « صالون العقاد » ، ولم تدرج فى « ديوان العقاد » ، ومكانها منه فى الجزء الرابع الذى يشتمل على أشعار هذه الفترة من حياة العقاد .

* * *

من آثار مى



« إلى ينابيع روما »

« ... كم ذا طلب عطشى الارتواء من المثول لديك ، ياعيون روما ، وكم ذا سألت خريرك أن ينسينى نفسى الجريحة .

... ...

تأملتك فى الصباح والأصيل وعند انتصاف الليل ، يا ينابيع روما ، وسمعتك قرب الصروح الشامخة وبين الأخربة الدارسة تسوقين فى نَفَسٍ لا ينقطع معانى الضحك والبكاء ، والعبث والتفجع ، والتهليل والنحيب ، والمجون والحكمة ، ففهمت منك أن نسيج الزمان كنسيج المياه متماسك متناثر ، وأن رَكْبه يمر ويبقى ، وأن كل بداية تتلوها نهاية ، وكل نهاية تعقبها بداية ، وفهمت أنك أنت من أصدق الصور للأزمنة المتدافعة فى المسافة ، أبداً فى ابتداءٍ وانقضاء ، أبداً فى انقضاءٍ وابتداء ...

... ...

روما ، روما ! إنك العظيمة حقًّا !

إنك العظيمة حقًّا لأن العظمة الصادقة كالحب الصادق تذهل المرء عن نفسه ، وفى الوقت ذاته تلفته إلى نفسه وتجعله أتمَّ معرفةً بها ، فتنمو أمامه وتنجلى ظهوراً .

وأنا الساعة أنظر فى مياهك على وقع شدو النوافر فانفصل عن نفسى وأنسى اسمى ورسمى ، أنظر فى مياهك فيفارقنى الكرب الذى لا يفارق ، ويجفونى الألم الملازم العنيد ، فلا أذكر بعد إلاّ أنى مقيمة فيك ، وأن ينابيعك حولى مترنمة ، وأن آثارك على مقربةٍ منّى قائمة ، وأنى فى قرارة هذا الحوض الجميل أرقب مواكب تاريخك المتتابعة

... نسيت نفسى ، ياللرغد ويااللهناء ! لكننى أعود فأذكرها ويشتد عطشى الملهب العميق ، فألقى بيدى فى مائك ، ياينابيع روما ، وأشرب شربةً لها فى فمى طعم الترياق والكوثر .

لحظةً ليس غير ! لقد رجعت إلى حالى فما ارتويت بقطرةٍ إلاّ كانت لهيباً فى الأوام الذى لا يرتوى ، ومافزت بفهمٍ جديدٍ إلاّ كانت الخاطرة المستحدثة وقوداً لعذاب فكرى وطمعه إلى توسيع حدوده ، ومانعمت بنفحة عطفٍ إلاّ كانت زكاةً لعاطفة الحنان التى لا تشبع فىّ ولا تكتفى !

« مىّ »

مقتطفات مختارة من « نشيد إلى ينابيع روما » المنشور بمجلة الهلال (يناير ١٩٢٥)

الرسالة الأخيرة

(غير مؤرخة)

صديقتى الآنسة الفضلى

صديقى وجارى الأستاذ حافظ جلال المحامى قادم إلى حضرتك للسؤال عن بعض البيانات القانونية التى لا بدّ منها قبل تبليغ النيابة حسب مشيئتك . فأرجو أن تثقى به فى ذلك ولولا أننى أعالج تعبًا جسديًّا يلزمنى البقاء فى المنزل ساعاتٍ أخرى لحضرت معه . ولكنى سأتشرف بزيارتك اليوم وأرجو أن يتم كل شئ على ماتريدين . وتفضلى بقبول التحية والاحترام

من المخلص

عباس محمود العقاد

---

(١) المصدر :

عامر العقاد ؛ لمحات من حياة العقاد المجهولة . صفحة (٢٢٧) .

صديقتي الأستاذة الفضلى

صديقي وجاري الاستاذ حافظ جلال المحامي
قادم الى حضرتك للسؤال عن بعض البيانات
القانونية التي لا بد منها قبل تبليغ النيابة
حسب مشيئتك. فارجو ان تلتقي به في وقت
ولولا انني اعاني تعبا جسديا يلزمني البقاء في
المنزل ساعات اخرى لحضرت معه. ولكني سأتشرف
بزيارتك اليوم وارجو ان يتم كل شيء على ما
تريدين. وتفضلي بقبول التحية والاحترام

المخلص
عبد الحميد السيد

التعليق على الرسالة

تتصل هذه الرسالة بجانب من جوانب مأساة ميّ فى بدايتها ، فقد ذكر الأستاذ طاهر الطناحى فى كتابه « ألحان الغروب » [١] أنه حدث فى صيف سنة ١٩٣٥ أن جاء إلى ميّ من يطالبها بمبلغ ثلاثمائة جنيه - وهو مبلغ لم يكن بالزهيد فى تلك الأيام - بدعوى أن أرضها مرهونة ، فطلبت أن تطّلع على وثيقة الرهن فأطلعوها وضيّقوا عليها فى الطلب حتى ضاقت بحالها واشتدت آلامها ، وهى فى شكواها وضيقتها لا تصرّح لأحدٍ بما يثير فى نفسها هذه الآلام ، وأصابها من جرّاء ذلك مرض « الشعور بالاضطهاد » . وكانت هذه الحادثة بداية مأساتها التى انتهت بها إلى مستشفى « العصفورية » فى لبنان .

ويبدو أن ميّ كانت قد استشارت الأستاذ العقاد فى شأن هذا الدين المزعوم ، فكتب إليها هذه الرسالة يبلغها فيها أن الأستاذ حافظ جلال المحامى - تلميذ العقاد وصديقه - قادم إليها للسؤال عن بعض البيانات القانونية التى لابد منها ، ويطلب منها أن تثق به فى ذلك . غير أن الذى حدث بعد ذلك أن ميًّا أُكرهت على السفر إلى لبنان حيث أودعت مستشفى الأمراض العقلية هناك ، ولم تعد إلى مصر إلاّ بعد سنوات .

وقد عرض الأستاذ العقاد لهذه المأساة فى حياة ميّ فى تقديمه لكتاب « الساعات الأخيرة » [٢] فذكر أن مأساتها بدأت قبيل سنة ١٩٣٠ ، « وأنها لم تزل كامنة تتفاقم فى الخفاء حتى ظهرت بعد ذلك بسنوات ، وأنه لحق بها خوف الاضطهاد وهى معرّضة له مستهدفة لوساوسه وأوهامه منذ زمن ليس بالقصير ،

---

(١) صدر هذا الكتاب فى سنة ١٩٥١ ، ثم أعيد طبعه بعنوان « الساعات الأخيرة » وصدر عن سلسلة كتاب الهلال فى يناير ١٩٦٢

(٢) يتألف هذا التقديم من مقالين للعقاد سبق نشرهما بصحيفة الأساس ، الأول بعنوان « ألحان الغروب » والثانى بعنوان « مأساة نابغٍ ونابغة » ثم أعيد نشرهما فى كتاب « بين الكتب والناس » (١٩٥٢) صفحات ٢٩١ - ٣٠٠ .

وكانت قد بقيت وحيدةً فى معيشتها بعد فقد أبيها ثم فقد أمّها ، وبعد خيبة رجاءٍ فى الحياة البيتية لم تكن تبديها ولم تكن مع ذلك قادرة على إهمالها ، وأطبقت النكبات عليها وهى فى هذه العزلة بادّعاء المدّعين وطمع المتقاضين ... » .

ويقول العقاد « إن من بلاء هذا الداء – داء الاضطهاد – أن الإقناع فيه متعذر أو مستحيل ، فإذا حاولت أن تنزعه من صاحبه سرى الشك إليه فى إخلاصك واتّهمك بأنك من المؤتمرين به والعاملين على إنفاذ الدسيسة فيه وإجازة الغفلة عليه » . ثم يقول عن تجربته الشخصية : « وقد وقعت فى هذا الخطأ مرة وأنا أحسب أن الأمر أوضح من أن يقبل اللبس والخفاء ، فزرتُ الآنسة مى ورأيتها ترتجف وهى تفتح الباب وتشير إلى المسكن الذى أمامها وتضع إصبعها على فمها تحذّرنى من الكلام ؛ قالت : ألا ترى هذه الحجرات وما فيها من النور ؟ إنها خالية خاوية فلماذا ينيرونها فى هذه الساعة ؟ فاتّجهت إلى تلك الحجرات وسألت عاملاً وجدته عند بابها فعلمت منه أنهم يعدّونها للتسليم فى اليوم التالى وهو أول الشهر وأول تاريخ الإيجار .. فلما أنبأتها بما علمت بدا عليها الخوف وخطر لها أننى أخفى عنها المؤامرة أو أشترك مع المتآمرين »[1] .

* * *

(١) بين الكتب والناس : صفحة ٢٩٩ – ٣٠٠

الى استاذي العالم الحكيم الكونت دي جلارزا

تذكار شكر واجلال

(محب)

الكتاب الاول

من كوة الحياة

نموذج من خط ميّ

ميّ تهدى نسخة كتابها « ظلمات
← وأشعة » (يناير ١٩٢٣) إلى أستاذهـا
← الكونت دى جالارزا أستاذ الفلسفة
الإسلامية بالجامعة المصرية القديمة

* * *

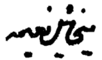
[... كل ما أذكره هو أنى تلقيت منها ذات يوم بطاقة مكتوبة بخط جميل تدعونى فيها إلى زيارتها فى يوم ثلاثاء ، أمّا أىّ ثلاثاء ومن أى شهرٍ أو عامٍ فعلمه عند الله . وقد استغربت يومئذ حسن الخط وتوهمت أنها استكتبت أحد الخطاطين وعددت هذا من التكلف الذى لا داعى له . ولما كنت أمقت التكلف وأنفر من الاجتماعات الكبيرة فقد زهدت فى الزيارة التى دعيت إليها ووطّنت نفسى على التخلف . ومن حسن الحظّ أنى نسيت أن أبعث إليها بردٍّ أو اعتذار ، وأحسب أن الأستاذ العقاد هو الذى هوّن علىّ الأمر وشجعنى على قبول الدعوة وعرّفنى أن هذا خطها لا خطّ خطّاط ، فلم أجد مناصًا بعد ذلك من تلبية الدعوة]

إبراهيم عبد القادر المازنى

(من كتاب « حياة ميّ » لمحمد عبد الغنى حسن ،

رسالة إلى
الأستاذ ميخائيل نعيمه (*)
(١٨٨٩ - ١٩٨٨)





[تصفحت كتاب « الفصول » فألفيته من الكتب التى تشارك فى تأليفها قلبٌ شاعرٌ واعٍ ، وفكر متنبه ممحّص ، وقلم عربى صميم ، سهل القياد فى أكثر مسالكه ، فتىّ الروح ، مستقل النزعة ، وما أندر القلوب الواعية والأفكار المتنبهة والأرواح الفتية والنزعات المستقلة فى آدابنا العربية ...

... لقد عرفنا العقاد فى كتاب « الديوان » ناقداً له مقاييس أدبية دقيقة ، ونراه فى « الفصول » الناقد الذى عهدنا ، والكاتب الذى له قلب يخبر ، وعقل يفكر ، وقلم يسطّر ، فإذا ما تمنينا « لفصوله » رواجاً فحباً بقراء العربية .. لا غيرة على شهرة الكاتب الأدبية أو منفعته المادية] .

ميخائيل نعيمه

(الغربال ، صفحة ٢٤٤ ، ٢٤٩)

(*) انظر ترجمته فى :

- سبعون : حكاية عمر ، ترجمة ذاتية موسعة (٣ أجزاء)
- ميخائيل نعيمه ، منهجه فى النقد واتجاهه فى الأدب للدكتور شفيع السيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢
- ميخائيل نعيمه للدكتور وليد منير ، نقاد الأدب - ٥ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣

الرسالة

أسوان فى ٢٦ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة الأخ الفاضل الجليل

تلقيت خطابك شاكراً مسروراً ، وزادنى شكراً لك وسروراً بخطابك أن عهدت إلىّ بكتابة مقدمة « للغربال » . فإنها أريحية منك ومودّة كريمة . وقد قلت فى خطابك اللطيف إنك تعهد إلىّ بهذا الواجب الأدبى لترينى كيف لاتعدّنى غريباً ولا بعيداً . وإننى أقول إننى مغتبط بهذه الروح الأخوية السمحة ، بل إننى كنت أستحل لنفسى العتب عليك لوخطر لك تكليفى كتابة المقدمة ثم عدلت عن ذلك لأىّ اعتبار ، فإننى كنت حقيقاً أن أعدّ ذلك العدول ضرباً من سوء الظن الذى تحاسب عليه كل نفسٍ كنفسك تضع الآداب الحقيقية فوق الآداب التقليدية الخاوية .

وقد كتبت المقدمة وأرسلتها إلى محيى الدين أفندى بعد أن قضيت ساعات ممتعة فى مطالعة آرائك الناضجة . وكانت هذه المطالعة خير الزاد فى هذه البلدة النائية من صعيد مصر التى قصدت الإقامة فيها فى إبّان الحوادث المضطربة ريثما تتغير الحال ، فحضرت إليها مصطحباً مقالاتك القيمة ولم يكن لى من مادّة قراءةٍ غيرها قبل وصول كتبى ، فشكراً لك أيضاً على ما أتحته لى من هذه الفرصة المقدورة .

وإننى أنتظر للغربال نجاحاً فى مصر وأنظر بعين الارتياح إلى التفات الناشئة هنا للنهضة الأمريكية ، فإنه التفات يقظةٍ يرجى منها الخير الكثير لآدابنا العربية .

سلامى وتحيتى إليك وأرجو أن تكون هذه المراسلة فاتحة تراسلٍ دائم طويل أطّلع منه على تحقّق ما نتمناه وتتمنونه لنهضتكم المباركة .

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر : ميخائيل نعيمه : سبعون ، المرحلة الثانية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٠ ، ص (١٩٩ - ٢٠٠)

« الشعور والفكر والبيان – ثلاثة لا يكون رجل كاتباً إلاّ إذا توافرت له أكثر من توافرها لسواد إخوانه في البشرية . ولولا تفاوت الناس بعمق الشعور واتّساعه ، وحدّة الفكر واندفاعه ، وجمال البيان وجلائه، لكان كلّ من عرف القراءة والكتابة كاتباً » . وهو قول لن أقول اليوم في الموضوع خيراً منه .

كان من هذه القرابة بيني وبين العقّاد في الاتّجاه والهدف أنّني ، عندما أرسلت مواد « الغربال » إلى الناشر سألته أن يكلّف العقّاد وضع مقدمة له . فجاءني جوابه :

« إنّي أحسّ رغبة من العقّاد في ذلك . وأظن أن إرساله إليك كتابه « الفصول » هدية هو أكبر دليل على هذه الرغبة. وأريد أن أقول لك بالسرّ إنّه قال لي إنّه يرى فيك نبوغاً على جميع إخوانك ، وعلى جبران أيضاً .. »

غير أنّني عدت فكتبت في ذلك إلى العقاد . وإليك الجواب الذي وردني منه :

« أسوان . في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة الأخ الفاضل الجليل

تلقيت خطابك شاكراً مسروراً . وزادني شكراً لك وسروراً بخطابك أن عهدت إليّ بكتابة مقدمة « للغربال » . فإنّها أريحيّة منك ومودّة كريمة . وقد قلت في خطابك اللطيف إنّك تعهد إليّ بهذا الواجب الأدبي لتريني كيف لا تعدّني غريباً ولا بعيداً . وإنّني أقول إنّني مغتبط بهذه الروح الأخوية السمحة . بل إنّني كنت أستحلّ لنفسي العتب عليك لو خطر لك تكليفي كتابة المقدمة ثم عدلت عن ذلك لأيّ اعتبار . فإنّي كنتُ حقيقاً أن أعدّ ذلك العدول ضرباً من سوء الظنّ الذي تحاسَب عليه كلّ

نفس كنفسك تضع الآداب الحقيقية فوق الآداب التقليدية الخاوية .

وقد كتبت المقدّمة وأرسلتها إلى محيي الدين أفندي بعد أن قضيت ساعات ممتعة في مطالعة آرائك الناضجة . وكانت هذه المطالعة خير الزاد في هذه البلدة النائية من صعيد مصر التي قصدت الإقامة فيها في إبّان الحوادث المضطربة ريثما تتغيّر الحال . فحضرت إليها مصطحباً مقالاتك القيّمة ولم يكن لي من مادّة قراءة غيرها قبل وصول كتبي . فشكراً لك أيضاً على ما أتحته لي من هذه الفرصة المقدورة .

وإنّي أنتظر للغربال نجاحاً في مصر وأنظر بعين الارتياح إلى التفات الناشئة هنا للنهضة الأمريكية . فإنّه التفات يقظة يرجى منها الخير الكثير لآدابنا العربيّة .

سلامي وتحيّتي إليك وأرجو أن تكون هذه المراسلة فاتحة تراسل دائم طويل أطلع منه على تحقّق ما نتمنّاه وتتمنّونه لنهضتكم المباركة .

المخلص

عباس محمود العقّاد »

وهكذا ظهرت الطبعة الأولى من « الغربال » في القاهرة صيف ١٩٢٣ . ولكن الناشر لم يكن محيي الدين رضا بل الياس أنطون الياس صاحب « المطبعة العصرية » . فقد رأى الأول أن يتنازل للثاني عن حقوق النشر والتوزيع نظراً لما يعهده فيه من الأمانة وحبّ الاتقان في الطباعة . وحال صدور « الغربال » كتب إليّ محيي الدين رضا يقول :

« أرجو أن تكون راضياً عنّي وعن مسعاي في سبيل مرضاتك . وأن يكون عملنا هذا فاتحة بخير ، وأن تيسّر لي طبع غير الغربال من أبحاثك الأدبيّة الشائقة . وأنا أعلم أن الغربال ستهبّ حوله زوابع ويدوّي

بقية نص الرسالة

التعليق على الرسالة

نشر هذه الرسالة الأستاذ ميخائيل نعيمه فى كتابه « سبعون » فى سياق الفصل الذى عقده للكلام عن كتابه « الغربال » [(١)] وروى فيه قصة هذا الكتاب والدافع المباشر على نشره ، وقد استهلّه بقوله :

فى جملة الذين استهواهم أدب « الرابطة القلمية » فتحمّسوا له بالغ التحمّس رجلٌ يدعى محيى الدين رضا . فقد حملته حماسته للأدب الجديد على نشر مجموعة منه أسماها « بلاغة العرب فى القرن العشرين » [(*)] . وهذه المجموعة صدرت فى القاهرة ومنها انتشرت فى سائر البلاد العربية ، فأجفل منها الجيل القديم ، واستقبلها الجيل الجديد بحفاوة وحرارة . وممّا قاله فيها العقاد : « ... وقد قرأنا فيها نثراً وشعراً أخصّ مايذكر لهما من المزايا نزعة التجديد وروح النقمة على التقليد ، والبعد عن تكلّف اللفظ وتعسّف المعنى ... وبين محتويات هذه المجموعة مايسمو معناه إلى درجة رفيعة فى البلاغة والذكاء ، وفيها من الابتداع ما يقلّ مثله بين آيات أدباء الغرب العصريين . ولا يؤخذ عليها إلاّ مايؤخذ عادةً على كتّاب العربية فى أميركا [(**)] : تساهلٌ فى قواعد اللغة وضعف فى أساليب التعبير بها . وماعدا ذلك فطرفة تستحق الثناء » [(٢)] .

---

(١) صدرت الطبعة الأولى لكتاب « الغربال » ضمن سلسلة المطبوعات العصرية التى كانت تصدرها المطبعة العصرية بالقاهرة ، لصاحبها إلياس أنطون إلياس ، فى سنة ١٩٢٣ . ثم صدرت طبعته الثانية عن دار المعارف بمصر فى سنة ١٩٤٦ . وتلتها عدّة طبعات رأينا منها الطبعة السابعة الصادرة عن دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤ ، ثم تعددت طبعاته بعد ذلك ، ولا غرابة فهو من الكتب الرائدة التى يُحتاج إلى مراجعتها فى كل وقت .

(*) كتاب « بلاغة العرب فى القرن العشرين » ، وهو كما جاء على غلافه « شذرات مختارة من أقلام رسل البلاغة العربية فى أمريكا : جبران خليل جبران ، أمين الريحانى ، ميخائيل نعيمه ، ايليا أبو ماضى . إلياس فرحات ، عنى بجمعها محيى الدين رضا » المطبعة الرحمانية بالخرنفش (دون تاريخ) .

(**) فى الأصل المنشور بجريدة الأهرام : أمريكا .

(٢) هذا النص مأخوذ من مقال العقاد بعنوان « بلاغة العرب فى القرن العشرين للأستاذ محيى الدين رضا » المنشور بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢١

ويقول الأستاذ نعيمه بعد ذلك :

عرفت محيى الدين رضا ، أول ماعرفته ، بالمراسلة عندما كتب إلىّ مبدياً تقديره وإعجابه ، ثم ما لبثت أن تسلمت منه رسالة مؤرخة فى ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٢ ، وإليك فقرة منها : « نحن فى هذه الأيام لا تمضى علينا سهرة إلاّ وتكون معنا . ولقد سرى ذكرك فى مصر أكثر من ذى قبل ، وبدأ الناس يعرفون منزلتك العظيمة . أنا أودّ كثيراً أن أنشر لك كتاباً خاصًّا من مقالاتك ومنظوماتك لتكون نموذجاً لمن يحبون السير على الأساليب الحديثة . فإذا سمحت فأنا مستعدّ لطبع هذا الكتاب ، على أن أرسل إليك ما تشاء من النسخ أو خلاف ذلك » .. تلك الرسالة كانت الدافع المباشر على نشر « الغربال » ، فقد رحت أجمع المقالات النقدية التى صدرت لى فى « الفنون » (*) و « السائح » (**) منذ سنة ١٩١٣ وحتى ذلك التاريخ . وعندما فرغت من جمعها وترتيبها كان همّى الأكبر أن أجد لها اسماً مناسباً ، فكان « الغربال » أول ماخطر لى فى بال .

ويستطرد الأستاذ نعيمه ، فى حديث طويل ، إلى الكلام عن أدباء « الرابطة القلمية » وما أُخذ عليهم من تهاونٍ فى قواعد اللغة وأساليب التعبير بها ، ويطرح رأيه فى هذه القضية وموقفه منها ، ثم يعود إلى الحديث عن « الغربال » فيقول ، مع بعض الاختصار :

كنت ، بعد اتصال محيى الدين رضا بى ، قد تلقيت منه نسخة من « الديوان » فى جزئين ، وهو الكتاب الذى اشترك فى تأليفه عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى . والاسمان كانا عندى نكرتين قبل ذلك . ولكننى ما إن اطّلعت على الكتاب حتى صفّق قلبى ابتهاجاً بهذين الرفيقين ألتقى وإياهما بغتةً

(*) مجلة « الفنون » مجلة أدبية أسّسها فى المهجر الأمريكى نسيب عريضة فى سنة ١٩١٣ ، وكانت تصدر فى نيويورك .

(**) مجلة « السائح » أسّسها عبد المسيح حدّاد فى سنة ١٩١٢ ، ثم صارت لسان حال « الرابطة القلمية » بعد تأسيسها فى نيويورك سنة ١٩٢٠

فى طريق واحد وهدف واحد . فقد قاما يفعلان فى مصر ماكنت أفعله وحدى فى نيويورك . إنهما يريدان تحطيم الأصنام وتقويم المقاييس الأدبية . وفى ما يقولانه زخمٌ وحرارةٌ واندفاعٌ وإيمانٌ لا يعرف الحدود بصواب مايقولان ، فكان أن نشرت مقالاً فى « الديوان » .. وبعدها بقليل أهدى إلىّ العقاد نسخة من كتابه « الفصول » ، فكتبت فيه مقالاً وهو آخر مقال مدرج فى « الغربال » ... وكان من هذه القرابة بينى وبين العقاد فى الاتجاه والهدف أننى عندما أرسلت مواد « الغربال » إلى الناشر سألته أن يكلف العقاد وضع مقدمةٍ له . فجاءنى جوابه : « إنى أحسّ رغبة من العقاد فى ذلك . وأظن أن إرساله إليك كتابه « الفصول » هديةً هو أكبر دليل على هذه الرغبة . وأريد أن أقول لك بالسرّ أنه قال لى إنه يرى فيك نبوغاً على جميع إخوانك ، وعلى جبران أيضاً .. » .

ثم يقول نعيمه : « غير أننى عدت فكتبت فى ذلك إلى العقاد ، وإليك الجواب الذى وردنى منه » [١] .

ثم ساق الجواب كما أوردناه [٢] .

* * *

ولا ندع التعليق على هذه الرسالة قبل أن أشير إلى ملحظٍ دقيق جدير بالملاحظة ، لأنّه يتصل بجانب من جوانب شخصية العقاد ، هو فرط اعتداده بكرامته التى تعنى عنده كرامة الأدب ، وفرط حساسيته لكل ما قد ينال كرامته الشخصية بالمساءة ولو من بعيد . وفى ضوء هذا الملحظ نستطيع أن ندرك دوافع العقاد إلى أن يقول فى رسالته للأستاذ نعيمه « إننى كنت أستحل لنفسى العتب عليك لو خطر لك تكليفى كتابة المقدمة ثم عدلت عن ذلك لأى اعتبار ، فإننى

---

(١) ميخائيل نعيمه : سبعون ، حكاية عمر ، المرحلة الثانية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٠ ، صفحات (١٩٤ - ٢٠٠)

(٢) نقل الأستاذ نعيمه هذه الرسالة فى كتابه بحروف المطبعة ، ولم ينشر الأصل فى صورته الخطّية ، وليته فعل .

كنت حقيقاً أن أعدّ ذلك العدول ضرباً من سوء الظن الذى تحاسب عليه كل نفسٍ كنفسك تضع الآداب الحقيقية فوق الآداب التقليدية الخاوية » [1] .

* * *

(١) عن ميخائيل نعيمه ، راجع للعقاد ، بالإضافة إلى مقدمة الغربال :

– « جبران خليل جبران » لميخائيل نعيمه ، مقال نشر بصحيفة الجهاد اليومية فى ١٤ يناير ١٩٣٥ (عند صدور الطبعة الأولى من الكتاب) .

– « كرم على درب » ، مقال نشر بمجلة الكتاب المصرية فى عدد ديسمبر ١٩٤٦

– « مرداد » ، مقال نشر بمجلة الكتاب ، عدد فبراير ١٩٤٩ ، وهو نقد للنسخة الإنجليزية من كتاب « مرداد » لنعيمه .

– « جبران ، كتاب واحد بقلمٍ واحدٍ فى اللغتين العربية والانجليزية » ، مقال نشر بمجلة الكتاب ، عدد فبراير ١٩٥١

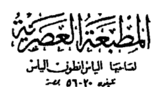
– فى سنة ١٩٦٢ كتب العقاد فى إحدى يوميات « الأخبار » ؛ بمناسبة فوز الكاتب الأمريكى جون شتينبك بجائزة نوبل فى الأدب لذلك العام ؛ كتب يقول : إن « ميخائيل نعيمه أرفع منه (يعنى شتينبك) إلى الذروة فى فن المثل العليا والحياة الروحية » (يوميات ٢٧٢/٢)



مجموعة مقالات نقدية



يطلب من



غلاف الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٣

مقدمة

(بقلم العقاد)

صفاء في الذهن واستقامة في النقد وغيرة على الاصلاح وفهم لوظيفة الادب وقبس من الفلسفة ولذعة من التهكم — هذه خلال واضحة تطالعك من هذا « الغربال » الذي يطل القارىء من خلاله على كثير من الطرائف البارعة والحقائق القيمة

أسلمنيه ناشره الاديب عشية سفري الى اسوان ، فاغتبطت بالهدية وشكرتها للمؤلف والناشر لانها متعة من القراءة الطريفة أتزود بها في هذه الرحلة ، ولانها من الوجهة الاخرى دليل من دلائل القرابة الفكرية ووثيقة نسب جديد من انساب الادب . وأي شيء ادل على قرابة الفكر وأبين عن عروقها الممتدة وارحامها المؤلفة من كتاب تخطر معانيه وتصاغ عباراته في « نيويورك » تحت سماء القارة الامريكية ثم تكتب مقدمته في « اسوان » تحت سماء القارة الافريقية ؟ ؟ فهذا ما ليس يصنعه الا الفكر ، ذلك الجوهر الخالد الذي لا مكان له ولا زمان ، والذي لا قرابة اقرب منه بين انسان وانسان . فهو الغاية بعد كل غاية والجامعة أسمى من كل جامعة ولو ان نفساً في المريخ خطر في ضميره [illegible] ي يخطر في

ضميري لكانت ألصق بي وأوفى رحماً ممن يليني ويجاورني على فرقة في الرأي والاحساس ، ولو ان قائلا جمعني به الفكر والهوى لما كان غريباً عني وان فرقتنا لغة وباعد بيننا زمان وموطن . فكيف به يكتب باللغـة التي اكتب بها وينتمي الى جانب الارض الذي انتمي اليه ؟ ؟

والحق انني قد وقعت من قراءة هذه الصفحات على قرابة صحيحة وجوار ملاصق في الحي الذي اسكنه من هذه الدنيا الادبية الجديدة ، رأيت قلماً جاهداً في طلب الشعر الصحيح شعر الحياة ، لا شعر الزحافات والعلل ، ورأيته ينعي على الشعر الرث الذي تركنا بلا شعر ولم يبق « في حياتنا ما ليس منظوماً سوى عواطفنا وافكارنا » ورأيته يريد من الشاعر ان يكون نبياً وينكر ان يكون بهلواناً ، ويريد من الشعر ان يكون وحياً والهاماً وينكر ان يكون « ضرباً من الحلج والجز والمشي على الاسلاك والانتصاب على الرأس ورفع الاثقال بالاسنان ولف الرجلين حول العنق الى ما هنالك من الحركات التي تجيدها القردة ايما اجادة » فشعرت وانا اتابع قراءة هذه الصفحات بما تشعر به القافلة المنبتة في المفازة السحيقة اذا ارتفعت لها قافلة اخرى تنشد الغـاية التي خرجت تنشدها واوشكت ان ترتد عنها يائسة . فقد همنا امر الادب وحبب الينا ان نراه طلقاً قوياً وان لا نقر على رؤيته مقيداً شائهاً سقيما

واحسسنا ونحن نخاطب الناس في ذلك كأننا نخاطب عجماً لا يفقهون العربية او خلائق من طينة اخرى لا تفهم الطبيعة الآدمية ، ولو كنا اذ دعونا أجيبت دعوتنا لاول صيحة لما اصبح العناد في تصحيح الادب كلفاً عندنا وغراماً وديناً لزاماً ، ولما كان من امر الخلاف في شأن الادب بيننا وبين انصار القديم واحلاس الجمود الا بمقدار ما يقول قائل « السلام عليكم » فيجيبه الآخر « وعليكم السلام » ثم ينقضي الخلاف وينفض الخصام ... ولكننا دعونا فصمت الاسماع ووضعت الاصابع في الآذان ونطقنا بالبديهيات فاحتاجوا جهلا منهم وعناداً الى البينة والدليل ، فأصبح الجمود ثأراً لنا عندهم والدعوة الى الجديد نجدة في الجهاد وامتزاجاً في الدم وقرابة في النسب ومشاركة في الحق والواجب ، واكاد اقول انه لو لم يكتب قلم النعيمي هذه الآراء التي تتمثل للقارىء في هذه الصفحات لوجب ان اكتبها انا . فأما وقد كتبها وحمل عبئها فقد وجب على الاقل ان اكتب مقدمتها ....

واني لأعرف كيف يستحق النعيمي التهنئة بجرأته التي ظهر بها في مقالاته وصراحته التي تقدم بها الى غربلة الناس والكتب والآراء . لانني اعرف الآراء المستحدثة وما تجلبه على اصحابها من الغضب والملاحاة في بلاد العالم اجمع وفي بلاد الشرق خاصة . أعرف ان ليس اضيع عندنا من مجترىء على تمزيق غلاف الاجنة

— ٩ —

عن جوارحه واستنشاق هوائه بأنفـه ، وأن ليس أخسر صفقة في موازيننا من عمل داع الى جديد . لان انصار الجديد قليل في كل جيل والفاهمين منهم لما ينصرون اقل من القليل . ولا يزال هؤلاء الانصار قلة متوارية او كاشفة كمتوارية حتى اذا كثروا وانتشروا والتف شملهم واشتد ازرهم ضـاع المقياس الذي يقاس به فضل الداعي ونسي عمله وبدا للخالفين من بعده كالذي يحمل المعول الـكبير يضرب به في الهواء ويغضب به على الفضاء ويتصبب عرقاً في غير شيء . ذلك لان السد الذي كان أمامه والذي كان لا يبرح قائماً قاعداً يضربه ويفني عافيته وحظوظه وآماله في هدمه يكون قد عفا في ذلك الحين وتمهد مكانه الطريق سهلا سوياً تدوسه السابلة ولا تتعثر فيه اقدام الاطفـال ، ولا يبقى له من الاثر الا ذلك الجهاد المغموط البادي للعين في تلك الصورة العابثة الهازلة — او قل المضحكة — صورة الضارب بالمعول في احشاء الفراغ .... ولا والله ما هي بعبث هازل ولا بضحك ضاحك ولـكنها صعقات واهوال واشجان . اما جزاء ذلك الداعي الشهيد على ما أسلف من الخير وبذل من مهجة القلب فمن ذا الذي يعنيه ان يذكره ؟ ؟ لعله يبقى مدخراً له في ذمة « ابولون » وناهيك بما في ذمم الاوثان المعبودة من هضم ومن سعة !!

***

— ١٠ —

أثنى بعضهم امام ديوجينس اليوناني على فيلسوف فقال له ديوجينس : « كيف يكون فيلسوفاً من عالج الفلسفة طول هذا الزمن ولم يصب احداً ؟؟ » ولقد اصاب ديوجينس وقال قولا يصدق على الناقدين كما يصدق على الفلاسفة ، بل هو ان صدق على الفلاسفة مرة صدق على الناقدين مراراً . لان الفلسفة قد ترمي بغير تسديد اما النقد فانه يسدد السهم الى هدف قبل ان يرميه . ولا بد للناقد من ان يصيب عامداً الى الاصابة او غير عامد ومنصفاً في نقده او غير منصف : يصيب الناس ان لم يصب المنقود وقد يصيب الناس والمنقود معاً . فهو لذلك ادنى الكاتبين الى اللوم وابعدهم عن العذر واحوجهم الى الجرأة والصبر على مخالفة الناس . فان وطن نفسه على ذلك والا فخير له وللناس ان يحطم قلمه ويريق مداده ويغربل الماء بدلا من غربلة الاخلاق والآراء

وليس ادبينا صاحب هذا « الغربال » ممن يجهلون هذه الحقيقة فقد علمها وادّرع لها وغربل الناس وهو يظن انهم ناخلوه . وسيصدق ظنه وسينخل الناس كلامه وسيقولون فيه كثيراً من الحق والباطل . ولكني ضامن له ان سيبقى له في اوسع غرابيلهم التي ينخلونه بها بقية لا ينكرها عليه منصف ولا يبخس قيمتها عارف . فسيشهد الخالون من الغرض أنه عمل في تصحيح كثير من مقاييس الادب فأفلح وافاد . ومن صحح مقياساً للادب فقد

صحح مقياساً للحياة وخليق بتصحيح مقاييس الحيـاة ان يكون امل امة لا امل اديب او طائفة من الادباء

سيقولون كثيراً . ألم اقل ذلك ؟؟ نعم . وسأقول انا كلمة من هذا الـكثير

اما كلمتي انا ففي خلاف صغير بيني و بين المؤلف لا اعرضـه للمناقشـة الا لان الاتفاق بيننا في غير هذا الموضع عظيم . وزبدة هذا الخلاف ان المؤلف يحسب العناية باللفظ فضولا و يرى ان الـكاتب او الشاعر في حل من الخطأ ما دام الغرض الذي يرمي اليه مفهوماً واللفظ الذي يؤدي به معناه مفيداً . و يعن له ان التطور يقضي باطلاق التصرف للادباء في اشتقاق المفردات وارتجالها . وقد تكون هذه الآراء صحيحة في نظر فريق من الزملاء الفضلاء ولـكنها في نظري تحتاج الى تنقيح وتعديل ، و يؤخذ فيها بمذهب وسط بين التحريم والتحليل

فرأيي ان الـكتابة الادبية فن والفن لا يكتفى فيه بالافادة ولا يغني فيه مجرد الافهام . وعندي ان الاديب في حل من الخطأ في بعض الاحيان ولـكن على شرط ان يكون الخطأ خيرا وأجمل واوفى من الصواب ، وان مجاراة التطور فريضة وفضيلة ولـكن يجب ان نذكر ان اللغة لم تخلق اليوم فنخلق قواعدها واصولها في طريقنا وان التطور انما يكون في اللغـات التي لها ماض وقواعد

واصول . ومتى وجدت القواعد والاصول فلماذا نهملها او نخالفها الا لضرورة قاسرة لا مناص منها ؟ ؟

ومع هذا يلوح لي ان الخلاف بيننا خلاف في التطبيق لا في الجوهر . لان المؤلف الالمعي يعرف العلاقة بين اللفظ والمعنى احسن تعريف ولا يجور باللفظ ولا بالمعنى عن حده في البلاغة . وله في هذه المجموعة اقوال كثيرة في هذا المعنى منها قوله في بلاغة شكسبير : « ان بين افكاره واكسيتها اللغوية ترابطاً هو غاية في الدقة والفن وهذا الترابط هو ما يكسبها جلالها الملوكي وسلاستها السحرية ورنتها الموسيقية ومن ترجمها دون جلالها وسلاستها ورنتها يكون كمن اخذ من الشجرة ساقها بعد ان عراه من الفروع والغصون والاوراق » . وليس يقول قائل من عشاق البلاغة اللفظية غير ذلك في هذا الصدد ولا اكثر من ذلك

على اننا نعود فنقول : هبوا كتابنا وشعراءنا العرب في الاقطار الامريكية قد ذهبوا بالحرية اللفظية الى ابعد من مداها فهل ننسى لذلك مآثر هذه الحرية ومحاسنها ونجهل الجهل الذي لا مسوغ له فنغلق ابوابنا كلها دونها ؟ ؟ اليست هي التي فكت عن قرائحهم قيود التقليد واخرجتهم من مآزق الاوزان المعهودة والقافية العتيقة وافهمتهم حقيقة الادب فافتنوا في الشعر وابتدعوا في اوزان النظم وساروا بالادب على نهج الحيـاة والتقدم ؟ ؟ اليس لهذه الحرية

فضلها المحمود واثرها المرجو في آدابنا العربية ونتيجتها التي تزداد مع الايام انتشاراً ونفعاً ؟؟ بلى ذلك حق لا ريب فيه . وان بين ايدينا الآن لهدية من انفس هدايا تلك الحرية المباركة وروحاً من الحياة تهب على مقاييسنا الآلية البالية

فلنفهمها مخلصين ولنتقبلها شاكرين معجبين ؟

عباس محمود العقاد

اسوان في ٢٤ مارس سنة ١٩٢٣

رسالة مطوية

بين ميخائيل نعيمه والعقاد

بعد انقضاء عامين على الرسالة السابقة ، والتى كانت فاتحة الصداقة الأدبية بين الأستاذين ميخائيل نعيمه والعقاد ، تجدّد اللقاء بينهما عن طريق الرسائل الخاصة ، وذلك فى مساجلةٍ فكرية كانت مناسبتها صدور كتاب العقاد « مطالعات فى الكتب والحياة » فى أواخر سنة ١٩٢٤ ، وقد قدّم له العقاد بمقدمة فى « فكرة » الكتاب أو « الفكرة الفنية » كما أسماها . وتدور هذه المقدمة حول معنى الجمال فى الحياة والفن والعلاقة بين الجمال والحرية ، وخلاصتها أن « الدنيا جمال نصل إليه من طريق الضرورة ، والدنيا روح نلمسها بيدٍ من المادة ، فالروح هى الحقيقة والمادة هى وسيلة الإحساس بها » [١] ومن هنا فإن معنى الجمال واحدٌ فى الحياة والفن ، لا يختلف فى جوهره وإن اختلف فى أوصافه ومظاهره » .

ويقول الأستاذ العقاد فى شأن هذه المساجلة بينه وبين الأستاذ نعيمه : « قد ألمعت إلى هذا الرأى فى مقدمة « المطالعات » فوافق بعض الآراء وخالف بعضها .. وكان من المخالفين الأستاذ ميخائيل نعيمه أحد أدباء العرب المعدودين فى الولايات المتحدة ، فكتب إلىّ يقول من خطاب مسهب رقيق :

« أما نظرتك إلى الحياة نظرة فنية ، فأجاريك فيها إلى حدّ ، وأخالفك إلى حدّ .

« مهما تسامى الفن يظل مقيّدًا بالمحسوسات ، ولا يكون فنًّا إلاّ متى اتخذ له شكلاً محسوساً . فإذا قصرنا الحياة على ما نتناوله منها بالحواس أمكن أن ندعوها فنًّا . غير أن فى الحياة ما نشعر به ونعجز عن تأديته بكل مالدينا من وسائل البيان الفنى . وأىّ فنّ يقدر أن يصور لك خطرات فكرك - لا أقول طيلة نهارك بل فى دقيقةٍ واحدة ؟ بل أىّ فن يتمكّن من تصوير كل تموّجات الحب والبغض والإيمان

---

(١) مطالعات ، المقدمة ، ص « د » .

والشك – ولا أذكر سواها – فى قلب بشرىّ واحد ؟؟ فإذا كان فى الحياة البشرية وحدها ماهو أبعد من الفن وفوقه ، فكيف بالحياة الشاملة التى ليست البشرية إلاّ بعض بعضها ؟؟ » (١) .

وقد أجاب العقاد على رسالة نعيمه إليه بخطابٍ قال فيه : « إن اعتراضه الذى أبداه على وحدة المعنى فى الحياة والفن قد يكون وجيهًا حاسماً لو أننى زعمت أن الحياة فن إنسانى يخلق الإنسان مافيه من تموّجات الحب والبغض وقواعد الإيمان ووساوس الشكّ . ولكنى لم أقل ذلك ولا إخال أحدًا يقوله . وإنما قلت إن الفكرة التى تتمثل فى جمال الحياة هى الفكرة التى تتمثل فى جمال الفن ، أما صانع الحياة وصانع الفن فيختلفان صنعاً ويتفاوتان قدرةً ويستمد أحدهما أسرار الجمال من الآخر ولكنه لا يخرج عن نمطه ولا يشذ عن فكرته . فإذا سألنا سائل كما يسأل الأستاذ نعيمه : أىّ فنّ يتمكن من تصوير كل تموجات الحب والبغض والإيمان والشكّ ؟ قلنا إنه هو الفن الإلهى الذى نحكيه نحن بفنوننا من وجهة ونستنبئ غاياته البعيدة من وجهة أخرى ، فنلتزم حدوده إذا حاكيناه ونضيف إليها ونوسّعها إذا نظرنا إلى غاياته البعيدة » (٢) .

وقد عاد العقاد إلى الكتابة فى الموضوع ليبين ما أراده بوحدة الفكرة فى الحياة والفن ، فكتب مقالاً شارحاً بعنوان « معنى الجمال فى الحياة والفن » (٣) ضمّنه خلاصة رسالة النعيمى وردّه عليها ، ثم مضى فى شرح رأيه فى أن الجمال هو الحرية ، وأن فكرة الجمال فى الحياة هى بعينها فكرة الجمال فى الفنون .. « فلا فن بغير تطلّع ، ولا تطلّع بغير حرية . ولكن ينبغى أن نذكر أن الحرية تستلزم المنع ، وأن الجمال هو غلبة الحرية على القيود ، أو هو ظهور الحرية بين الضرورات ، وليس هو بالحرية الفوضى التى لا يمازجها نظام ولا يحيط بها قانون ، فلا عجب أن يمثل « الفن » قيود الجمال وأنظمته كما يمثل حريته وانطلاقه ، وأن نرى الفن حافلاً بالأوزان والأوضاع كما نراه حافلاً بالتطلّع والرجاء » (٤) .

---

(١) مراجعات ، معنى الجمال فى الحياة والفن ، ص ٦١ – ٦٢

(٢) السابق ، ص ٦٢ – ٦٣

(٣) السابق ، ص ٦١

(٤) السابق ، ص ٦٦

ويعدّ هذا المقال ، مع مقال « فلسفة الجمال والحب » [١] الذى سبق نشره فى كتاب « المطالعات » ، من أهم المقالات التى تتناول رأى العقاد - أو قل فلسفته - فى علاقة الجمال بالحرية ، و« أنّنا نحب الحرية حين نحب الجمال ، وأننا أحرار حين نعشق من قلوبٍ سليمة صافية ، فلا سلطان علينا لغير الحرية التى نهيم بها ، ولا قيود فى أيدينا غير قيودها » [٢] .

* * *

وبعد ، فهذه رسالة « مطوية » من رسائل العقاد لا نعلم اليوم مصيرها ، فعسى أن تكون محفوظة عند آل النعيمى بعد وفاته ، وعسى أن تظهرها الأيام مع سائر رسائله وأوراقه ، وحسبنا اليوم منها ماذكره العقاد حين أطلعنا على فحواها ووضع بين أيدينا خلاصة مركزة لها ، وإن لم يُغْن ذلك غناء الرسالة فى نصّها الكامل ، ولنقل مع العقاد :

ليست خلاصة كلِّ شيءٍ غُنْيَةً عنه وإن كانت خلاصة ماهرِ

فالشّهْد وهو خلاصة الأزهار لا يُغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(١) مطالعات ؛ فلسفة الجمال والحب ، ص ٢٥٠

(٢) السابق ص ٢٥٣

رسائل إلى
الدكتور طه حسين (*)
(١٨٨٩ - ١٩٧٣)



طه حسين

[.. تسألوننى لماذا أومن بالعقاد فى الشعر الحديث ، وأومن به وحده ؟ وجوابى يسير جدًّا ، لماذا ؟ لأننى أجد عند العقاد مالا أجده عند غيره من الشعراء ، وإن شئتم فإنى لا أجد عند العقاد ما أجده عند غيره من الشعراء ، لأنى حين أسمع شعر العقاد أو حين أخلو إلى شعر العقاد فإنما أسمع نفسى أو أخلو إلى نفسى ، إنما أرى صورة قلبى ، وصورة قلب الجيل الذى نعيش فيه ، وحين أسمع لشعر العقاد إنما أسمع الحياة المصرية الحديثة ، وأتبين المستقبل الرائع للأدب العربى الحديث] .

طه حسين

من خطبته فى الاحتفال بتكريم العقاد

(مساء الجمعة ٢٧ أبريل ١٩٣٤ نقلاً عن صحيفة الجهاد)

(*) انظر ترجمته فى :

- الأعلام للزركلى (٢٣١/٣)
- أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٢٨٢)
- مجلة الهلال (عدد خاص عن طه حسين ، فبراير ١٩٦٦) .
- إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢
- سامى الكيالى : مع طه حسين ، اقرأ العدد ١٢٢ (مايو ١٩٥٢) والعدد ٣٠١ (يناير ١٩٦٨) (صدرا معاً فى العدد ٣٧٥ نوفمبر ١٩٧٣) .
- د. سهير القلماوى : ذكرى طه حسين ، اقرأ العدد ٣٨٨ (أكتوبر ١٩٧٤)

الدكتور طه حسين في ميزان العقاد

[هو على هذا الترتيب : كاتب قصة ، ومؤرخ للعصور الأدبية ، وناقد للآداب والفنون.

أجود ماجادت به قريحته حسناته فى القصة الواقعية .

وأجود مافى هذه الحسنات بساطة سلسة منقادة تعمد إلى التأثير بغير تعمّل ولامحاولة ، لأنها بساطة اقتدار محمود وليست بساطة ضعف معيب .

وقد بلغ الذروة فى كتاب الأيام وفى صفحات الوصف من « أحلام شهرزاد » ولا سيما وصف الطبيعة فى ليالى السهاد .

وتأتى قدرته فى تأريخ العصور الأدبية بعد قدرته فى القصة أو الكتابة القصصية .

فهو يحسن إقامة الحدود بين العصور ، ويحسن تمييز كل عصر بمزية عامة ، ولكنه أقرب إلى حدود العالم منه إلى حدود الفنان .

ويأتى طه حسين الناقد بعد طه حسين المؤرخ وبعد طه حسين صاحب القصة ، لأن المدار فى النقد كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ، وليس نصيب الدكتور طه فى هذه المقاييس بأوفى نصيب] .



أدباؤنا على المشرحة

(مجلة الاثنين والدنيا ، العدد ٤٦٣ ، فى ٢٦ ابريل ١٩٤٣)

الرسالة الأولى

حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين

أشكر لك ثناءك واهتمامك وأبادلك التحية مدحاً وقَدْحاً بالصاع صاعيْن وبالباع باعيْن ! وأعجب بشجاعتك فى تقريظ كتابى ونقده فى صحيفة « السياسة » وإن كنت أسأل نفسى : هل هى شجاعة حقًّا ؟؟ فإن الشجاعة هى معالجة المكروه والإقدام على المحذور ، ولا أظنك إلاّ ملتذّا بما فى شجاعتك الأدبية من إيذاء عقائد الناس وإحراج صدورهم ولوْ كانوا من أنصارك وأصحابك ! فهى شجاعة حبيبة إلى نفسك تقدم بك على ماتهوى لا على ماتكره ، وتجنح بك إلى ما ينيلك لذة وسروراً لا إلى ما يكلفك جهداً وصبراً ، وكأنك تحتاج أحياناً إلى شجاعةٍ للكفّ عن هذه الشجاعة ... ولا أزيد على ذلك فنخوض فى غموض الفلسفة التى قلت إنك لا تسيغها (وربما كان ذلك لأنك تقرأها قراءة متفرج لا قراءة من يهتم بموضوعاتها ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها) .

أما كلامك عن الخيال فى رسالة الغفران فأنا أوافقك أوّلاً على تعريف الخيال وأرى معك أنه ملكة « تستمد الصور والنتائج من الأشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفاً غريباً يبهر النفس ويفتنها » ،وعلى هذا التعريف لا أرى للمعرى فى رسالة الغفران حظًّا مَن ذلك التأليف الغريب الذى يبهر النفس ويفتنها أكبر من حظ الرَّاوية الذى يسرد الأخبار المسموعة والقاصّ الذى يعيد النوادر المحفوظة . وقد سألت : « ماذا يلذّنا من رسالة الغفران ؟ » فأقول إنما أكثر ما يلذنا من هذه القصة معدنها لا صورها الفنية . وأزيد ذلك إيضاحا فأقول إن قطعة الذهب مثلاً لها قيمتها التجارية ولكن قطعة الذهب المصوغة فى شكل تمثال جميل أنيق لها هذه القيمة التجارية وقيمة أخرى هى القيمة الفنية الجمالية . فهذه القيمة الفنية قليلة رخيصة فى رسالة الغفران لا تضيف شيئًا كثيرا إلى مافيها من متعة القصص والفكاهة والصور التى تبادر الذهن عفواً عند ذكر الجنة والنار ومافيهما من أسباب النعيم والعذاب . فإذا كان فى الرسالة متعة فوق متعة القصص والفكاهة المنقولة فالفضل فيها للسُّخْر السَّخِىّ الذى تفيض به الرسالة لا للخيال الضعيف الذى يظهر

حضرة الاستاذ القدير الدكتور طه حسين

اشكر لك ثناءك واهتمامك وأبادلك التحية مصحوبة بالاعجاب بصراحتك وبالابداع باعجاب! واعجب بشجاعتك في تقريظ كتابي وتقديمه في صحيفة السياسة .. وانني كنت اسائل نفسي: هل هي شجاعة حقا؟! فاية الشجاعة هي معالجة المكروه والاقدام على المحذور ولا أظنك الا ملتفتا بما في شجاعتك الادبية من ايذاء عقائد الناس واحراج صدورهم ولو كانوا من انصارك واصحابك!! فهي شجاعة حبيبة الى نفسك تقدم بها على ما تهوى لا على ما تكره وتجني بها ما يجلبه لذة وسرورا لا الى ما يكلفك جهدا وصبرا. ولكنك تحتاج احيانا الى شجاعة للكشف عن هذه الشجاعة ... ولا ازيد على ذلك فتعرف في عرض الفلسفة التي قلت انك لا تسيغها (وربما كان ذلك لانك تقرأها قراءة متصفح لا قراءة من يهتم بها حتى يطالع ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها)

اما كلامك عن الخيال في رسالة الغفران فانا وافقتك اولا على تعريف الخيال وارى معك انه ملكة تستمد الصور والنتائج من الاشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفا غريبا يبهر النفس ويفتنها .. وعلى هذا التعريف لا أرى للخيال في رسالة الغفران حظا من ذلك التأليف الغريب الذي يبهر النفس ويفتنها أكبر من حظ الراوية الذي يسرد الاخبار المسموعة والاحاديث الذي

فيها حيناً بعد حين كما يظهر الوَشَل المتقطّع بين الرمال . ولا أدرى كيف يخطر لك أن تقرن قصيدة دانتى إلى رسالة المعرى (*) وبينهما فرق بعيد يكاد يكون كالفرق بين الشعر والتاريخ حين يتناولان الموضوع الواحد ؟

وأحسب رأيك هذا فى خيال المعرى جديداً لم تكن تراه حين كتبت « ذكرى أبى العلاء » ، فإنى أذكر أنك جرّدته - إلاّ قليلاً - من الخيال فى شعره . ولو كانت الرسالة بين يدىّ الساعةَ لنقلت لك كلامك فى هذا الصدد (**) ولكنك فى غنى عن نقله . فإن لم تخنى الذاكرة فأنت تقول معى أن الخيال لم يكن من الملكات التى امتاز بها المعرى وإلاّ لما تركه فى الشعر وهو أحجى بأن تتسع فيه منادح التخيّل والتصوير والشعور .

وقد وددتَ لو ذهبتُ فى تحليل السخرية العلائية إلى أقصى ماتنتهى إليه حرية البحث ، لأن أبا العلاء لم يكن يسخر من لذات الناس وشهواتهم وإنما كان يسخر بهذه وبعقائدهم وأديانهم كذلك ، وإخالنى قد فعلتُ ما وددتَه - وإن لم أتوسع فى هذا البحث - فقلتُ إن المعرى « كان يبتسم من آمال الناس فى الدنيا والآخرة ثم يعود فيبتسم من ابتسامه ، ويعبث بالكافرين ويعرّض بهم فى ظاهر القول وهو بالمؤمنين أشدّ عبثاً وأبلغ تعريضًا » (***) ، ولم أبعد فى هذا المنزع لأننى أرى بعض الحماقات كبعض الدّمامات أقلّ من أن يضحك منها أو تُنال بأذى السخرية .

(*) قال الدكتور طه حسين فى كتاب « ذكرى أبى العلاء » (الطبعة الأولى ، سنة ١٩١٥ ، صفحة ٣١٤ ، ٣١٥) تحت عنوان « مهارته اللغوية » :

« القول المفصّل فى رسالة الغفران يحتاج إلى كتابٍ خاص نرجو أن نوفق إليه . وحسبنا أن نقرر الآن أن هذه الرسالة هى أول قصة خيالية عند العرب . والفرنج يشبهونها بكتاب دانتى الطليانى الذى سمّاه La Comedie devine وكتاب ملتن الانجليزى الذى سمّاه الجنّة الضائعة ، وعندنا أن لقصة المعراج صلةً بهذه الأقاصيص » .

(**) جاء فى كتاب « ذكرى أبى العلاء » (صفحة ٣١٤) تحت عنوان « الخيال » مانصّه :

« لم يخترع أبو العلاء فى هذه الرسالة شيئًا كثيرًا ، إنما وردت أقاصيص الوعّاظ بأكثر مافيها . فإذا كان فى الرسالة شئ فهو التنسيق والسخرية . على أنه قد أخطأ مواضع من الخيال كان حقه ألاّ يخطئها » .

وهو نفسه النص الوارد فى « تجديد ذكرى أبى العلاء » (الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٣٧ ، صفحة ٢٣٨) .

(***) مابين علامتى التنصيص هو نص كلام العقاد فى مقاله « السخر فى رسالة الغفران » من كتاب (مطالعات فى الكتب والحياة) صفحة ٩١

بحيث النوادر المحفوظة ... [illegible] ... رسالة الغفران ؟ فما أقول إنما لكم
ما بلغنا من هذه القصة معدنها لا [illegible] الفنية ... [illegible] أيضاً فما أقول إن قطعة
الذهب مثلاً لها قيمتها التجارية ... [illegible] الذهب المصوغة وشكل تمثال جميل أيضاً
لها هذه القيمة التجارية وقيمة أخرى هي القيمة الفنية الجمالية ؟ فهذه القيمة الفنية
قليلة رخيصة في رسالة الغفران ... [illegible] ... إلا ما في متعة الأشعار
والفكاهة والصور التي [illegible] الذهن عندما ذكر الجنة والنار وما فيهما
من أسباب النعيم والعذاب [illegible] في الرسالة [illegible] متعة فوق متعة الأشعار
والفكاهة المنقولة [illegible] السخي الذي [illegible] به الرسالة لا
الخيال الضعيف الذي [illegible] حين كل [illegible] الوشل المتقطع في
الرمال . ولا أدري كيف تستطيع أن تقرن قصة دانتي إلى رسالة المعري
وبينهما فرق بعيد يكاد يكون كالفرق بين الشعر والتاريخ حين [illegible] ولان
الموضوع الواحد ؟

وأحسب أنك هنا في مقال المعري جديد لم تكن تراه حين كتبت «ذكرى أبي
العلاء» فإني أذكر أنك جردته [illegible] من الخيال في شعره . ولو كانت [illegible]
[illegible] لنقلت من كلامك في هذا الصدد ولكنك في غنى عن نقلي . فإن لم
[illegible] الذاكرة [illegible] فأنت تقول حتى إنه لم يكن من الملكات التي امتاز بها

وبعد فلست أعتقد أنك من ضعف الذاكرة بحيث أردت أن تظهر لنا فى مقالك . فأنت تزعم أنك لم تقرأ « البلاغ » وقد رددتَ عليه مراراً فكيف اتفّق هذا ؟ ألعلَّك تردّ على مالم تقرأ أو لعلك قد نسيت بإرادتك ! . وقد ينسى الإنسان بإرادته فى بعض الأحايين !

وأقول لك أخيراً « حسبك فقد عرفت صوت نفسك » (*) وإنه لصوتٌ يُسمع على مافيه من النشوز . وتقبل منى التحية والسلام .

عباس محمود العقاد
٢١ يناير سنة ١٩٢٥

(*) كان الدكتور طه قد أشار فى مقاله الأول الذى عرض فيه لكتابى الأستاذين سلامة موسى والعقاد ، إلى أنه قرأ بعض فصول الكتابين ولم يتمّهما ، ثم قال : « لست أدرى فى أى كتابٍ فرنسى قرأت أن موسيقيًا استمع لموسيقىّ آخر وهو يُوقّع على البيانو ، استمع له ساعةً أو ساعتين ثم قال له : حسبك فقد عرفت الآن صوت نفسك ؛ يريد أنه عرف موسيقاه وأسرارها وخواصّها ومابينها وبين نفسه من صلةٍ .. لستُ أدرى أين قرأت هذا الكلام ، وأحسبنى قرأته فى كتابٍ من كتب الأديب الفرنسى المعروف « رومان رولان » . وسواء صدقتنى الذاكرة أم كذبتنى فأنا لم أخترع هذه القصة اختراعًا ، وإنما قرأتها فى كتابٍ ، وأنا أستعيدها الآن وقد قرأت فصولاً من كتاب الأستاذ سلامة موسى وفصولاً أخرى من كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد ، ولم أتمّ قراءة الكتابين ، لأقول لهما : حسبكما فقد عرفت صوت نفسيكما وأنا بهذه المعرفة مغتبط سعيد » .

فالعقاد هنا يردّ على الدكتور بنفس كلمته : « حسبك فقد عرفت صوت نفسك » .

المصدر :

تفضل الأديب الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم فرودنى بصورة كاملة من أصل الرسالة المخطوط ، فله صادق الشكر وخالص الامتنان .

وكانت الرسالة قد نشرت بصحيفة أخبار الأدب ، وظهر جزء منها مصوّرًا عن الأصل المخطوط .

٢

المعري والإلماع إليه في الشعر وهذا أحرى بأن تفسد [illegible]
التخيل والتعبير والشعور

وقد وددت لو ذهبت في تحليل السخرية [illegible] إلى أن
أقصى ما تنتهي إليه حرية البحث لأن أبا العلاء لم يكن يسخر
من لذات الناس وشهواتهم وإنما كان يسخر بعقولهم وعقائدهم
وديانتهم كذلك، وأخالني قد فعلت ما وددت ولكني لم أتوسع
في هذا البحث فقلت إن المعري كان يبتسم من آمال الناس
في الدنيا والآخرة ثم يعود فيبتسم من ابتسامته ويعبث
بالآخرة في معرض يفهم من ظاهر القول وهو بالعرض [illegible]
أشبه عبثاً وأبلغ تعريضاً، ولم أبعد في هذا التعريض حتى
أرى بعض المحققين كبعض [illegible] أقرب [illegible]
[illegible] بأدبه [illegible]

وبعد فإنك أعتقد أنه [illegible] النادرة بحثه أرجو
أن تظهر لنا في مقالاتك، فإنه [illegible] تترك البقية
وقد وددت على مرارة فكيف أتفق هذا [illegible] ترجمة
ما لم تقرأ أو لعلك قد [illegible] بإرادتك [illegible]
بإرادة في بعض الأحاديث!

وأقرئك أقراءه [illegible] فقد وددت صوت نفسك، وإنه
لصوت يسمع عن ما في من الشعور. وتقبل منا [illegible]
والسلام

[illegible]

٢١ [illegible] ١٩٢٥

التعليق على الرسالة

أول من أزاح الستار عن هذه الرسالة هو الدكتور طه حسين نفسه ، فقد أشار إليها فى مطلع مقاله المنشور بصحيفة « السياسة اليومية » فى السادس من فبراير سنة ١٩٢٥ ، والذى أعاد نشره فى الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » ، واستهلّه بقوله : « وصلت إلىّ رسالتان كنت أودّ أن أثبتهما فى هذا الفصل وأن أردّ عليهما ، ولكنى آثرت ألاّ أفعل ، ورأيت أن أكتفى بالإشارة إليهما ، لأن هذا الفصل أضيق من أن يسع الحوار والجدال ؛ إحداهما من الأستاذ عباس العقاد فيها خيرٌ وشرّ ، وفيها ثناء وذمّ ، وأنا أتقبل هذه الرسالة شاكراً مافيها من خير وشر ومن ثناءٍ وذمّ ، وأؤكد لصاحبها أنه لم يصدق فى رسالته كلها كما صدق فى آخرها حيث قال : إن صوتى يُسمع على مافيه من نشوز ، وأنا أعلم أن فى صوتى نشوزاً ، وأحمد الله على أن هذا النشوز لا يمنع الناس من الاستماع لهذا الصوت ، فقد يكون فى الاستماع إليه خيرٌ مهما يكن قليلاً فهو خير » [1] .

* * *

وتبدأ قصّة هذه الرسالة حين كتب الأستاذ العقاد مقاله عن « الخيال فى رسالة الغفران » المنشور بصحيفة البلاغ اليومية فى الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٢٣ ، والذى أعاد نشره فى كتابه « مطالعات فى الكتب والحياة » (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٤) ، وفى هذا المقال يقول العقاد فى التعريف برسالة الغفران لأبى العلاء المعرى أنها « كتاب أدبٍ وتاريخ ، وثمرة من ثمار الدرس والاطلاع ليست بالبدعة الفنية ولا بالتخيّل المبتكر ، وقد سلك المعرى فيها مسلك التلطّف فى القصص ، فهو يورد طائفةً من أخبار الشعراء والأدباء ونُتَفًا من أشعارهم ومُلَحهم ويضيف إليها حوارًا كان يقع مثله بين النحاة والرواة ممّن تقدّمه فيعزوه هو

(١) حديث الأربعاء ، الجزء الثالث ، صفحة ٦٨٦ (طبعة المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٣) .

إلى الشعراء أنفسهم ويجعل أولئك الشعراء مرجعه الذى يفصل له فيما كان من الخلاف على لحن عباراتهم وضبط ألفاظهم ونوادر تراجمهم ، فينحلهم آراءه فى ذلك الخلاف ويلقّنهم حكمه فيما يحسبه هو صواباً أو خطأً من أقاويل النقّاد وأسانيد الرواة ، فهو كان فى تلك الرسالة إمّا مؤديًّا لأخبار من سبق ناقلاً لأحاديثهم أو معلّقًا برأيه على تلك الأخبار المؤدّاة والأحاديث المنقولة ، وليس فى كل هذا عملٌ كبير للتخيّل والاختراع » .

وينتهى العقاد إلى إجمال رأيه فى الموضوع بقوله إن الخيال « لم يكن من ملكات المعرى التى اشتهر بها ، وأنه ليس فى هذا القول غَبْنٌ للمعرى أو بَخْسٌ لرسالة الغفران ، ولا هو مما يغضب المعرى أن يقال هذا القول فى رسالته » [1] .

وقد أزعج هذا الرأى الدكتور طه حسين ، فكتب مقالاً مطوّلاً نشره فى صحيفة السياسة اليومية . وتناول فيه كتاب المطالعات للأستاذ العقاد وكتاباً آخر للأستاذ سلامة موسى ، فذكر أن شيئًا فى كتاب العقاد أعجبه بنوع خاص وهو هذه الفصول التى كتبها عن أبى العلاء عامّةً وعن رسالة الغفران خاصّة ، والتى حرص الدكتور على قراءتها حرصًا شديدًا لأنه - كما يقول - « شديد الصّلة بأبى العلاء » . وقد عرض الدكتور لبعض هذه الفصول فأثنى عليها ثم استطرد قائلاً : « ولكن الذى أخالف العقاد فيه مخالفة شديدة هو زعمه فى فصلٍ آخر أن أبا العلاء لم يكن صاحب خيالٍ حقًّا فى رسالة الغفران . وهذا نُكْرٌ من القول لا أدرى كيف تورّط فيه كاتب كالعقاد . نعم ، إن العقاد كاتب ماهر يحسن الاحتياط لنفسه ، فهو بعد أن أنكر الخيال على أبى العلاء عاد فأثبت له منه حظًّا قليلاً ، ولكنه يستطيع أن يخدع بهذا الاحتياط قارئاً غيرى ، أما أنا فلن أنخدع له ، فهو ينكر على أبى العلاء أن يكون شاعراً عظيم الحظّ من الخيال فى رسالة الغفران ، « سنة سودة » كما يقول العامة ... » الخ [2] .

ولم يشأ العقاد أن يعاود الكتابة فى هذا الموضوع وأن يرد على الدكتور طه حسين بمقالٍ ينشره فى صحيفة أو كتاب ، بل آثر أن يكون ردّه عليه هذه الرسالة

---

(١) مطالعات فى الكتب والحياة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٤ ، ص ص (٧٨ - ٨٢)

(٢) حديث الأربعاء ، الجزء الثالث ، السابق ، ص ٦٨٢ - ٦٨٣

الخاصة التى بادله فيها التحية مدحاً وقَدْحًا « بالصّاع صاعين وبالباع باعَيْن » كما يقول ، والتى تقبّلها الدكتور شاكرًا مافيها من خيرٍ وشرٍّ ومن ثناءٍ وذمّ ، كما جاء فى مقاله الذى سلفت الإشارة إليه .

وقد كان من المحتمل أن تتغلغل رسالة العقاد فى طوايا النسيان وأن تضيع فى مجاهل التاريخ ، لولا أن القدر شاء أن يحتفظ الدكتور طه حسين بهذه الرسالة بين أوراقه إلى يوم وفاته ، وأن يؤول أمرها من بعده إلى تلميذه وصهره الدكتور محمد حسن الزيات ، الذى احتفظ بها حتّى سلّمها بدوره قبيل وفاته إلى أديب ناقد فاضل ، هو الأستاذ الدكتور عبد الحميد ابراهيم محمد عميد كلية الآداب بجامعة المنيا ، والذى كان قد أخذ على عاتقه الدعوة إلى إحياء ذكرى الدكتور طه ، عاماً بعد عام ، فى محافل أدبية حاشدة دعت إليها الجامعة وألقيت فيها بحوث ودراسات جادّة . ثم بادر إلى نشر « كنوز » الدكتور طه بصحيفة « أخبار الأدب » ، ومن بينها هذه الرسالة النادرة التى وصفها ، بحق ، بأنها من أخطر الرسائل الأدبية فى تاريخ حركة التنوير [١] .

* * *

(١) صحيفة أخبار الأدب ، العدد الثامن ، فى ٥ سبتمبر ١٩٩٣ ، تحت عنوان « صراع العمالقة » (صفحة ٢٦)

الرسالة الثانية (*)

سيدى الدكتور الأجلّ

تلقيت رسالتك وشكرت تهنئتك . وإنّ قَدْرى لهذه التهنئة لكبير واغتباطى بما حوته من دلائل العطف النبيل لعميقٌ . وقد تفضلت فذكرت كتبى الأدبية فيسرنى أن يوافق ذلك قرب الفراغ من كتاب ابن الرومى الذى شرعت فى طبعه قبل سنةٍ وأرجو أن يتم طبعه بعد أسبوعين . وسأرسله إليك ولكن لا هديّةً .. بل قَرْضاً أسمح لنفسى أن أصفه بالإسرائيلى المعجّل ، لأننى أنتظر سداده من آثارك الأدبية فى وقت قريب . والتحيات إليك والإجلال

٨ أغسطس سنة ١٩٣١

من المخلص

عباس محمود العقاد

(*) نشر الدكتور محمد حسن الزيات صورة الأصل المخطوط لهذه الرسالة ضمن مقالات « مابعد الأيام » المنشورة بمجلة « المصور » فى سنة ١٩٨٢ ، ولم تنشر فى الكتاب المطبوع بنفس العنوان والصادر عن دار الهلال (بدون تاريخ) .

وقد زودنى بصورتها المنشورة هنا ، وكذلك بصورة الرسالة التالية الأديب الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحميد ابراهيم ، فله خالص الشكر والامتنان .

سيدي الدكتور الأجل

تلقيت رسالتك وشكرت تهنئتك، وإني
قدير لهذه التهنئة الكبير واغتباطي بما جرى من
دلائل العطف النبيل العميق. وقد تفضلت بذكر
كتبي الأدبية فيسرني أن أوافيك بنسخة من قريب الفراغ
من كتاب ابن الرومي الذي شرعت في طبعه قبل سنة
وأرجو أن يتم طبعه بعد أسبوعين، وسأرسل
إليك ولكن لا هدية .... بل قرضاً أسمح لنفسي
أن أصفه بالإسلاف المعجل. لأنني انتظر سداده
من آثاركم الأدبية في وقت قريب. والتحيات
إليك والإجلال

المخلص
عباس محمود العقاد

٨ [illegible] ١٩٣١

التعليق على الرسالة

يفهم من سياق الرسالة ومن تاريخها أن « التهنئة » المقصودة فيها كانت بمناسبة خروج الأستاذ العقاد من السجن ، فى اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ١٩٣١ ، بعد انقضاء المدة المحكوم بها عليه فى القضية السياسية التى عرفت يومذاك بقضية العيب فى الذات الملكية ، على عهد الملك أحمد فؤاد .

ويشير العقاد فى هذه الرسالة إلى قرب الفراغ من طبع كتابه « ابن الرومى » الذى كان قد شرع فى طبعه قبل دخوله السجن ، على نحو ماذكره فى مقدمة كتابه « عبقرية عمر » [١] وفى الكتاب الصغير الممتع « فى بيتى » [٢] من أنه ألّف كتابه عن ابن الرومى بين السجن ونذره ومقدماته .

وقد صدر كتاب « ابن الرومى حياته من شعره » فى أواخر ذلك العام (١٩٣١) ، وكان فتحاً جديداً فى عالم التأليف وفى مجال السير والتراجم الأدبية على التخصيص ، وكان العقاد يعدّه من أهم كتبه وأحبّها إلى نفسه ، ويقول عنه أنه سلك سبيله بين مراجع الأدب المعدودة فى جيله [٣] .

* * *

(١) عبقرية عمر ، مقدمة الطبعة الأولى ١٩٤٢ ، صفحة (٤)

(٢) فى بيتى (سلسلة اقرأ رقم ٣٣ ، أغسطس ١٩٤٥) صفحة (١٢٥)

(٣) السابق .

عبقرية ابن الرومي الفصل الرابع

فرغنا في الفصل السابق من حياة ابن الرومي لنتكلم في هذا الفصل عن عبقريته وهي زبدة
حياته من العمل الذي من أجله عاش ومن أجله [illegible] فما تحرك في حياته حركة إلا كان لعبقريته فيها
نصيب أوفى نصيب. حتى كأنه كان لا [illegible] يتحرك ولا يتنفس ولا يطعم ولا يشعر إلا ليتخذ
من ذلك كله مادة حياة ويترجم ما عمل وما علم في قالب [illegible] ترجمة [illegible] وصفوة [illegible]
في هذه العبقرية أنها كانت عبقرية يونانية في الأغراض والأهداف، وأنها كانت عبقرية يونانية
بعيدة الجوانب بهذا التشبيه [illegible] الوصف
ولسنا [illegible] لأن تفسير سهل لهذه العبقرية ولكن
[illegible] لأن [illegible] وصف موجز يدل على أجزائها
بقليل من الكلمات
[illegible] المختلفة [illegible]

فربما كان القول بأن ابن الرومي رجل حساس [illegible]
[illegible] الأعصاب مليح المزاج نشأ في حضارة زاهية فأجابته
[illegible] واحدة [illegible] أقل في العجب من تفسير
عبقريته بأنها عبقرية يونانية [illegible]
[illegible] موروثة عن آبائه اليونان [illegible]
آباؤه اليونان
[illegible] أم من [illegible] الإغريق الجزر أم من إغريق
[illegible] البلاد المعروفة [illegible] باسم اليونان أم من إغريق آسيا
[illegible] التي كانت تدور الحرب فيها وحولها بين المسلمين ودولة
الروم. ومن الصعب أن نقول [illegible] إن هؤلاء الإغريق جميعا
[illegible] سليقة واحدة وأمة واحدة [illegible] وعنصر
واحد حتى يدرس الرجل وينتقل إلى بيئة أخرى [illegible] الزمان
في بيئته الجديدة [illegible] كل ما تفرق منها [illegible]

أثر نادر

صفحة من مسودة كتاب « ابن الرومي »

بخط الأستاذ العقاد

العبقرية الفنية التي تسمى الآن بالعبقرية اليونانية [illegible] لأننا نعلم
ان الاغريق في قديم عهدهم كانوا عناصر شتى لا ينتمي الى سلالة
واحدة وكان امتزاج الانساب بينهم وبين الاسيويين ثابتا لا
شك فيه واقتباسهم من عقائد الاسيويين وفنونهم
ولغاتهم ثابت كذلك اقطع ثبوت . ولا يمكن ان
[illegible] نجزم برأي في وراثة الفطرة الفنية ولا
سيما الفطرة في الشعب كله حتى لو عرفنا الاصل الذي تحدر
منه ابن الرومي بين اصول اليونان الكثيرة . فقد كان في بلاد
اليونان نفسها الوف من ابناء الشعب اليوناني المحاطين بالبيئة
اليونانية في نتاج ظواهرها وبواطنها ثم لم ينبغ منهم [illegible]
ابن الرومي شاعر مثله ولا نبغ منهم في العصور السابقة التي
ازدهرت فيها آدابهم [illegible] شاعر من طرازه [illegible]
[illegible] وملكاته . [illegible] فلو اننا نقلنا
ابن الرومي من الادب العربي الى الادب اليوناني لكان كذا
في أدبهم كما كان هنا في أدبنا ولم تنقص الادلة الى تفسيره
بهذه النقلة من ادب لغته الى أدب أصله ؟ ولو أننا
بحثنا عن [illegible] أصيلة في الفطرة اليونانية [illegible]
[illegible] وتسري في خلال التكوين لأعيانا أولا ان نحصرها [illegible]

صفحة أخرى من مسودة كتاب « ابن الرومى »

محرم

اول السطر ١٠

اليقظة ثم آثينا اعتدنا ان نحصر هذا الميراث فنحن لا
نفسر عبقرية الشاعر عن [illegible]
نسميها بالعبقرية اليونانية، وننا اذا ذكرناها في كلمات موجزة
وجدنا نقربها الى الاذهان ونطبعها بالطابع المعروف
عند المطلعين على الآداب. وما من شك في ان الشاعر الذي
يتحدر من اصل يوناني اياً كان مقداره غير الشاعر الذي [illegible]
غيره اياً كان مقداره. ولكن التفريق بين هذين الشاعرين شيء
والقول بان الشاعر لا يحس هذا الاحساس ولا ينظم هذا النظم
الا اذا كان من ابناء اليونان شيء آخر. فحسبنا اننا نعرف
ما نريد حين نذكر العبقرية اليونانية ولا نحاول بعد ذلك
الخروج الى تعليل الاصول والتعسف في [illegible]
تقسيم خصائص الشعوب

وانما وصفنا الروح بهذه الصفة لانه صاحب عبقرية
تعبد الحياة، وتحيا مع الطبيعة، وتلتقط الصور والاشكال،
وتشخص المعاني، [illegible]
[illegible] وتقدم الجمال
على الخير او لا تعرف الخير الا انه لون من الوان الجمال، ثم هي تنظر
الى [illegible] الدنيا نظرتها الى المعرض الذي [illegible] التملي والتنعم

صفحة ثالثة من مسودة الكتاب

الرسالة الثالثة (*)

الجهاد

جريدة يومية سياسية

شارع ناظر الجيش نمرة ٦ بالإنشا بمصر

تليفون رقم ٥٣١٤١

صندوق بوستة ٣٩٠

فى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٤

حضرة الأخ الأستاذ العالم الجليل

أهنئكم بما صحت عليه عزيمتكم من إصدار « الوادى » وأرجو له النجاح الذى يحقق رجاءنا ورجاءكم .

وبعد فلا أحسبنى أزيدكم علماً بالأديب مصطفى كامل الشناوى بعد ماخبرتموه فى رآسة تصحيح الكوكب وفى تحريره ، ولكنى أكتفى بأن أذكركم به وأود لو يكون له نصيب من العمل معكم إذا كان محله خالياً فى الوادى ، ولكم الشكر والتحية والاحترام

من المخلص

عباس محمود العقاد

(*) نشرت صورة هذه الرسالة فى أصلها المخطوط ضمن مقالات « مابعد الأيام » بمجلة المصور سنة ١٩٨٢ ، ولم تنشر فى الكتاب المطبوع الصادر عن دار الهلال .

[illegible]
جريدة يومية سياسية

شارع [illegible] حبش نمرة ٦ بالإنشا بمصر
تليفون رقم ٥٣١٤١
صندوق بوستة ٣٩٠

في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٤

حضرة الأخ الأستاذ العالم الجليل ...

[illegible] أشكركم بما بعثتم عليه عزيمتكم نحو إصدار «الوادي» وأرجو له النجاح [illegible] حقيقة رجاءنا ورجاءكم ....

وبعد فلا أحسبني أذكركم بالأديب مصطفى [illegible] الذي بعد ما خبرتموه [illegible] تصحيح الكوكب وفي تحريره، ولكني أكتفي بأن أذكركم به وأود لو [illegible] [illegible] العمل معكم إذا لم تجد خاليا في الوادي، ولكم الشكر والتحية

[illegible]
محمود الصفار

التعليق على الرسالة

يدرك القراء ، ولا شك ، أن « الأديب مصطفى كامل الشناوى » ، الذى يوصى به العقاد فى هذه الرسالة لدى صديقه الدكتور طه حسين ، هو - فيما بعد - الصحفى الكبير والشاعر الغنائى المقلّ والعاشق الحالم الأستاذ كامل الشناوى (١٩١٠ - ١٩٦٥) الذى كان عضواً بمجلس النواب فى الأربعينات ، والذى رأس تحرير صحف الأهرام والأخبار والجمهورية وغيرها فى الخمسينات والستينات ، وكان قطباً من أقطاب الصحافة المصرية لتلك الفترة وواحداً من كتابها المرموقين ، كما كان أحد ظرفاء العصر المعدودين .

* * *

الرسالة الرابعة

حضرة الأخ العلامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء وأرجو لكم خير مايرجى من صحة ورضوان وصفاء ، ويسرنى أن أتوسط لديكم فيما يسركم أن تنجزوه وهو تمكين الثقافة النافعة ورعاية الفن الرفيع والأخذ بيد ذويه . ومن فرصه السانحة التى علمت بها أن مفتش الموسيقى عندكم قد نقل إلى وزارة أخرى وخلت درجته لمن يستحقها ، وفى الوزارة رجل يستحق هذه الدرجة أكبر استحقاق وهو الأستاذ محمد حسن الشجاعى الذى يؤدى عمل المفتش الموسيقى منذ عهد بعيد . والرجل ركن من أركان فنه فى بلادنا الشرقية ، له قطع وتأليفات موسيقية توقّعها أكبر الفرق الأوربية فى الاسكندرية والقاهرة إلى جانب أعمال العظماء من الموسيقيين الغربيين ، ويستعان به على تلحين كثير من الروايات والمواقف المسرحية التى يعلو بها عن مستوى الألحان الشائعة فى بلادنا . ولكنه مغبون مقلقل المكان فى وظيفته الحاضرة ، فإن رأيتم أن تمدّوا إليه يد الإسعاد وتبلغوه بعض حقه فهذه فرصة يسرنى أن أتوسّط فيها وأن تتم على يديكم ، ولولا ثقتى أننى أتوسط لفنٍّ قبل أن أتوسط لصديق لما شغلت وقتكم بالكتابة فى هذه المسألة . ولكم منى جزيل الشكر سلفاً وتحياتى إليكم على الدوام .

١٩٤٢/١١/٣ المخلص

عباس محمود العقاد

حضرة الأخ العلامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء وأرجو لكم عيداً ما يرجى من صحة ورضوان وصفاء،
ويسرني أن أتوسط لديكم فيما يسركم أن تنجزوه وهو تمكين الثقافة النافعة
ورعاية الفن الرفيع والأخذ بيد ذويه، ومن فرص المساعدة التي علمت
بها أن مفتش الموسيقى عندكم قد نقل إلى وزارة أخرى وخلت درجته
لمن يستحقها، وفي الوزارة رجل يستحق هذه الدرجة أكبر استحقاق وهو
الأستاذ محمد حسن الشجاعي الذي يؤدي عمل المفتش الموسيقي منذ عهد
بعيد. والرجل ركن من أركان فنه في بلادنا الشرقية، له قطع وتأليفات
موسيقية توقعها أكبر الفرق الأوربية في الإسكندرية والقاهرة إلى جانب
أعمال العظماء من الموسيقيين الغربيين، ويستعان به على تلحين كثير من
الروايات والمواقف المسرحية التي يعلو بها عن مستوى الألحان التي نعرفها في بلادنا
ولكنه مغبون مقلقل المكان في وظيفته الحاضرة، فإن رأيتم أن تمدوا
إليه يد الإسعاد وتبلغوه حقه فهذه فرصة يسرني أن أتوسط فيها
وأن تتم على يديكم، ولولا ثقتي أنني أتوسط لفني قبل أن أتوسط
لصديقي لما شغلت وقتكم بالكتابة في هذه المسألة، ولكم مني جزيل الشكر
سلفاً وتحياتي إليكم على الدوام

المخلص

عباس محمود العقاد

٣/١١/١٩٤٢

التعليق على الرسالة

كان الأستاذ الموسيقار محمد حسن الشجاعى (١٨٩٣ - ١٩٦٣) من خاصة أصدقاء العقاد ومن قدامى أعضاء ندوته الأدبية ، وقد رشّحه ذلك ليكون أحد أعضاء « حديقة الحيوان الآدمية » التى كانت - كما يقول العقاد - « لا تجمع إلاّ الفنان أو المحب للفنون سُمِّى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات » [١] .

وقد كان مكان الشجاعى الفنان من هذه الحديقة مكان « فرس البحر » الذى تسمّيه العامة « سيد قشطة » ، وسجل العقاد له هذا المكان ، أو هذه المكانة ، فى قوله من قصيدته المعروفة فى وصف تلك الحديقة :

وتغنّى « فرس البحر » بها   يالَهُ من فرسٍ طَلْق النشيد

ويروى العقاد أنه عندما كان عضوًا بلجنة المعارف فى مجلس النواب ، فى أواخر الثلاثينات ، رشّح الشجاعى لإحدى البعثات الموسيقية لإتمام الدراسة بالمعاهد الأوربية الكبرى ، ولكن وزارة المعارف ، فى شخص سكرتيرها العام ، اعترضت على هذا الترشيح بدعوى أن الطالب المرشح جاوز سنّ البعثات ، وليست له مؤهلات من الإجازات المدرسية .

يقول العقاد : « وبعد فترة وجيزة كنا على شاطئ البحر بالاسكندرية نستمع إلى الفرقة الموسيقية الممتازة التى يختارها فندق « سان استيفان » لمواسمه العالمية ، فدوّت ساحة الفندق بالتصفيق وصيحات الإعجاب والاستعادة . ونظرت فى قائمة اليوم لأعرف ماهو اللحن الذى يستعاد بهذه الحماسة وهذا الإعجاب ، فإذا هو مقطوعة يقترن بها اسم « هاسان الشجائى » أو حسن الشجاعى ، بعد ترجمته إلى الحروف العربية ! وألفيت نفسى أتقدم على غير انتباهٍ منّى إلى مكان السكرتير الذى

---

(١) ديوان « وحى الأربعين » صفحة (١٥٦)

كان على مقربة من منصة الفرقة ، ويدى تشير إلى اسم المقطوعة ومؤلفها على الورقة ، وهذه الكلمات تنصبّ فى أذن « حضرة السكرتير » التى لم تفرغ بعدُ من أصداء التصفيق والاستحسان : إنهم يستعيدون ألحان الفنان الذى لم « يفلح » طالباً عندك لدراسة الموسيقى ياحضرة السكرتير ! (١) .

وقد احتاج العقاد ، بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ ، إلى معاودة التوصية مرة أخرى بإنصاف الشجاعى فى وضعه المقلقل بوزارة « المعارف » ، وكانت التوصية فى هذه المرة إلى الدكتور طه حسين المستشار الفنّى للوزارة فى ذلك الوقت ، فكانت هذه الرسالة التى أسعدتنى الظروف بالعثور عليها بين أوراق صديقنا الأستاذ عبد الرحمن صدقى بعد وفاته (٢) .

وقد توفى الشجاعى فى صيف سنة ١٩٦٣ ، فرثاه العقاد فى ذكرى الأربعين بقصيدته العينية التى يقول فى مطلعها (٣) :

أُذُنَ الدَّهْرِ إلىَّ استمعى — الشجاعىُّ ثَوىَ فى مَضْجع
والليالى فُجِعت فى ساهرٍ — مَغْرِبُ الشمس له كالمَطْلع
سهر الأفلاك فى داراتها — مُسْمِعات فى سُراها مَن يَعى

وتعدّ هذه القصيدة الشجية ، وهى تجاوز الأربعين بيتاً ، من أروع قصائد الرثاء فى شعر العقاد (٤) ، وفيها موسيقية ظاهرة ، حيث تسرى أبياتها وكلماتها – من المطلع إلى الختام – مسرى الأنغام فى لحنٍ جنائزىٍّ حزين . ويحسّ القارئ ، وهو يقرأها ، كأنه « يسمعها » لا أنه يقرأها وحسب . ومن عجائب الأقدار أنها كانت آخر مانظم العقاد من شعره ، وكأنما كان يرثى بها نفسه ، إذْ ودّع الحياة بعدها ببضعة شهور .

* * *

(١) يوميات ، الجزء الرابع صفحة (١١١)

(٢) سأودع أصل هذه الرسالة المخطوط ، بعد طبع الكتاب ، متحف طه حسين التابع لوزارة الثقافة المصرية ، حيث تعود الرسالة إلى موئلها الأمين .

(٣) ديوان « مابعد البعد » ، صفحة (٨٧)

(٤) نعم ، ولا يساميها فى الروعة واللوعة إلاّ قصيدته الباكية فى رثاء ميّ المنشورة فى ديوان أعاصير مغرب ، صفحة (١١٢)

الرسالة الخامسة (*)

حضرة الأخ العلّامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء والإجلال ، وأتّجه إلى إنصافكم فى أمرٍ لا أعلم منه فوق ماتعلمون ، وهو أمر الشبان الأدباء الذين يقومون على ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، وقد سلخوا الآن فى عملهم هذا عشر سنين لو سلخوا بعضها فى طلب لقب علميّ لأدركوه وأدركوا معه منفعته وفخره ، أو فى طلب مالٍ لحصّلوا منه مايغنى ، ولكنهم خدموا العلم فتخلّفوا وفاتهم باسم العلم زملاء لهم لم يخدموه مثل خدمتهم ، ومن حقّهم أن يطمعوا فى رعايتكم ويثقوا فى معونتكم ، ولهم اليوم كما فهمت مسألة معروضة عليكم فيها مايعوضهم ويُرْجى منه تحسين أحوالهم ، فلا أزيد على الإشارة إليها وفيها عندكم الكفاية ولكم تحياتى وشكرى والسلام

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

الدكتور محمد الدسوقى : مقال « صفحات مجهولة بين العقاد وطه حسين » نشر بمجلة الهلال ، عدد شهر فبراير ١٩٩٥ ، صفحات (٥٨ - ٦٣) : ولم ينشر معه الأصل المخطوط للرسالة .

(*) نشرت بدون تاريخ .

التعليق على الرسالة

روى الدكتور محمد حسن الزيات فى كتابه « مابعد الأيام » تفاصيل مقابلة بين وزير المعارف فى ذلك الوقت ، الأستاذ أحمد نجيب الهلالى ، وبين الدكتور طه حسين المستشار الفنى للوزارة حيث قدّم الوزير عزاءه إلى الدكتور فى وفاة والده ، ثم تداولا بينهما بعض شؤون الوزارة ، وكان ذلك فى أثناء الحرب العالمية الثانية (حوالى سنة ١٩٤٣) ، وختم الدكتور الزيات روايته بقوله : « وقبل أن يترك الدكتور طه حسين مكتب الوزير يقول إنه تلقى خطاباً من الأستاذ العقاد يوصى فيه بالشبان الذين يقومون بترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، وأنه هو نفسه معجب بعملهم الذى كان يجب أن تنهض الدولة بمثله ، ولذلك فإنه يرجو الاستجابة إلى مطالبهم ، ويقول إنه يرجو أن يقوم علماء المسلمين فى المستقبل القريب بإصدار دائرة معارف إسلامية بأنفسهم »(١) .

وقد كانت هذه الكلمة فى كتاب « مابعد الأيام » أول إشارةٍ تكشف عن رسالة العقاد إلى الدكتور طه فى شأن « الأدباء الشبان » الذين اضطلعوا بمشروع ترجمة دائرة المعارف الإسلامية إلى اللغة العربية ، والذين كوّنوا من أنفسهم لجنة لهذا الغرض عُرفت باسم « لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية » ، وذلك فى سنة ١٩٣٣ ، وأصدرت أول أعداد الدائرة فى أول اكتوبر من تلك السنة .

وكان الأستاذ العقاد قد أثنى على جهود هؤلاء الأدباء فى خدمة العلم وتمنى لهم التوفيق فى بداية اضطلاعهم بمهمتهم (٢) . ثم عاد لينوه عن جهدهم فى هذا السبيل فى مقاله عن « دوائر معارفنا الإسلامية » المنشور بمجلة الرسالة (العدد ٤٠٣ فى ٢٤ مارس ١٩٤١) ويقول إن انفرادهم بالمثابرة على هذا العمل الكبير مزية

---

(١) محمد حسن الزيات : « مابعد الأيام » ، الناشر دار الهلال ، بدون تاريخ ، صفحة (١٢٢)

(٢) انظر كلمة للأستاذ العقاد بعنوان « جهود الشباب فى خدمة العلم ، لجنة لترجمة دائرة المعارف الإسلامية إلى اللغة العربية » نشرت بمجلة كل شئ والدنيا فى ٩ أغسطس ١٩٣٣ م .

جديرة بالتسجيل فى حياتنا الفكرية ، ولهم حق فى التهنئة بما جاهدوا وثابروا على قدر هذه الفضيلة النادرة ، وعلى قدر الحاجة إلى تلك الدائرة ، وهى حاجة توجبها الغيرة القومية كما توجبها الرغبة فى العلم والثقافة » .

وها نحن نجده بعد انقضاء عشر سنوات يعاود التوصية على عملهم فى ترجمة الدائرة ، ويطلب لهم المزيد من الرعاية والمعونة .

* * *

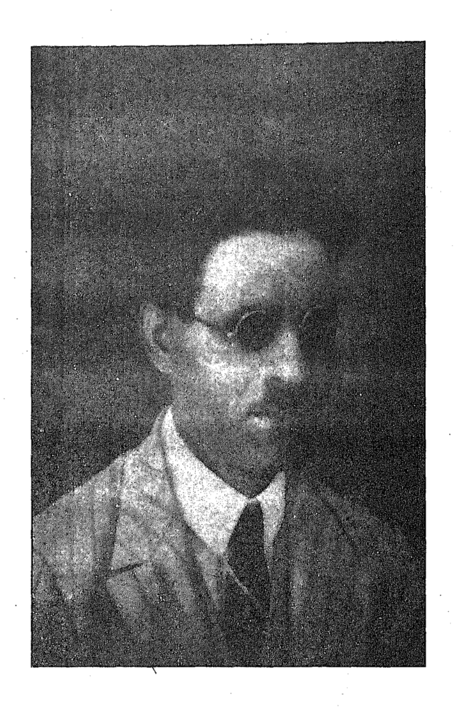
لم ينشر الدكتور الزيات نص هذه الرسالة كما نشر غيرها من رسائل العقاد إلى الدكتور طه ، بل اكتفى بتلك الإشارة العابرة ، كذلك لم تنشر الرسالة مع مانشره الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم من رسائل العقاد فى مقاله القيم « صراع العمالقة » الذى سبقت الإشارة إليه فى التعليق على رسالة سنة ١٩٢٥ حول الخيال فى رسالة الغفران . ثم ظهر نص الرسالة – دون أصلها المخطوط – فى مقال للأستاذ الدكتور محمد الدسوقى نشره بمجلة الهلال [١] تحت عنوان « صفحات مجهولة بين العقاد وطه حسين » ، وعن هذا المقال نقلنا هنا هذا النص .

ويلاحظ أن الرسالة كما جاءت فى مقال الدكتور الدسوقى غير مؤرخة ، فلعله أغفل إثبات التاريخ أو غفل عنه ، يؤكد ذلك لدينا مانعرفه من حرص الأستاذ العقاد على إثبات تاريخ كل رسالة من رسائله . على أننا نستطيع أن نرجع تاريخ هذه الرسالة إلى سنة ١٩٤٣ على وجه التقريب ، وذلك باعتبار إضافة السنوات العشر التى ذكر العقاد أن اللجنة سلختها فى عملها منذ بدأته فى سنة ١٩٣٣ ، فضلاً عن مناسبة اللقاء التى أشار إليها الدكتور الزيات ، وهى التعزية فى وفاة والد الدكتور طه حسين ، وقد كانت وفاته فى تلك السنة على ما أذكر .

* * *

---

(١) عدد فبراير ١٩٩٥



طه حسين
أيام أن كتب « الأيام »

من الآثار المطوية للعقاد

مقال لم ينشر فى كتاب

« فى الصيف »[*]
للدكتور طه حسين

كتاب جديد للدكتور طه حسين ، أجاد فيه أحسن ما يجيد ، لأن الدكتور يبلغ شأوه حين يصف مايقع له وتدور عليه حياته ، وفى أحسن صفحاته ماتقابل بينه وبين أحسن الصفحات فى « آلام ڤرتر » للشاعر الألمانى الكبير جيتى ثم لا تشعر بالغضاضة على الكاتب المصرى من هذه المقابلة .

وطه حسين كاتب مستقيم الفطرة وإن لم يكن فى فطرته عمق وخيال ، قوى الرأى وإن لم يكن رأيه بالواسع المتعدد الجوانب ، نشأته أزهرية وهى نشأة يستفيد منها صاحب الطبع القويم جدًّا وصرامةً ، لأن التعلم فى الأزهر مشقة لا يسهل فيها اللعب والاستخفاف ، والعلوم فى الأزهر علوم تحوطها قداسة الدين فلا يقاربها التلميذ إلاّ وفى نفسه خشوع وتوقير .

وكان من حسن توفيقه أنه حضر دروس الأدب على أستاذ كان ينكر من الشعر كل ما تأخر عن الجاهلية وصدر الإسلام ، وهذا غلوّ لا يوافقه عليه شاعر ولا ناقد ، ولكنه أفاد التلميذ طه حسين صحةً فى الرأى وقوة فى الذوق ، لأنه عرّفه بمزايا الشعر الجاهلى والشعر المخضرم وكلاهما شعر سليم صحيح خلو من الضعف والتزويق ، ولأنه بغّض إليه سخف العصور الأخيرة التى كثر فيها التصنع والإسفاف ومرض الأذواق .

ثم أصاب الطالب طه حسين حظًّا من أدب اليونان القديم ، وهو من أصحّ ماعرف بنو الإنسان من ثمار القرائح والعقول .

(*) نشر هذا المقال فى صحيفة « الجهاد » ، العدد ٥١٤ بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٣٣

وإذا قرأت كتب الدكتور لمحت فى خلال السطور - بين التجمل الشديد والأنفة الكريمة - ضيقاً بما أصاب حاسة البصر عنده فى بداية الطفولة فحرمه رؤية العيان ، ولاريب أن الدكتور لا يسرف فى هذا الضيق ولا يخالف فيه طبيعة بنى الإنسان بالغين مابلغوا من قوة الصريمة وشدة الشكيمة ، ولكن الدنيا عودتنا ألا يكون الشرّ شرًّا كله وألاّ يكون الخير خيرا كله ، فلا نحسب أن هذا المصاب قد خلا من فائدة جليلة تظهر آثارها فى كتابة الدكتور وفى أعماله وحوادث حياته . فهو قد جنح به شيئاً إلى التحدى وقلة المبالاة بالمخالفة ، فكان هذا - إلى ماعنده من استقامة الفطرة وقوة الرأى - قوام الاستقلال الذى نعدّه من أكبر مفاخر الدكتور ، ثم كان هذا - مع خلوته بنفسه - قوام المعرفة بتلك النفس وقوام الرغبة فى تصوّر الأشياء والمعانى ذلك التصور الذى عوض الدكتور عما فاته من سعة الخيال .

هذه الملكات كلها تظهر فى كتاب الدكتور الجديد « فى الصيف » أجمل ظهور ، فهو كتاب بدت فيه أحسن ملكات الكاتب كما بدت من قبل ذلك فى كتاب « الأيام » . وليس كل كاتب بقادرٍ على أن يلتزم الصدق والسهولة والاطراد المطبوع فى وصف مايقع له وتدور عليه حياته ، فليس هذا بالمطلب اليسير على من لم يتعوده ويطبع عليه .

وصاحب « فى الصيف » عنده هذه الملكة وعنده هذه العادة ، فهو يجيد أحسن إجاداته حين يتناول موضوعاً كهذا الموضوع ، ولا نراه يقصر عن شأو الإجادة إلاّ حين يتناول تطبيق القواعد العامة أو يركب مركب الشعور العميق والخيال الواسع .

* * *

استمع إليه وهو يصغى إلى « غدير » الماء ويصف لك ما يخامر نفسه من صوت ذلك الغدير أو الجدول :

« ... كنت منصرفاً عمّن كان معى وعما كان من حولى إلى هذا الغدير

أسمع خريره وأبتهج به وماهى إلاّ دقائق حتى أنسيت كل شئ غيره وحتى اقتنعت بأنى لا أسمع خرير الماء وإنما أسمع نجوى المحبين . لا أقصد إلى خيال ولا إلى شعر وإنما أذكر ما أحسست وما وجدت كما أحسسته وكما وجدته ، نعم كنت مقتنعاً بأنى أسمع فى هذا الماء المنحدر حديث المحبين ، وكان هذا الحديث مختلفاً باختلاف انحدار الماء قوة وضعفاً : هنا ينحدر الماء فى قوة وينزلق على جماعة من الصخور قائمة فتسمع لانحداره أصواتاً مختلفة مرتفعة فى اعتدال ، وماهى إلاّ أن تتمثل الحبيبين فى ثورة ولوعة واضطراب وعتب وخصام ، ثم تمضى فإذا مجرى الغدير قد لان واعتدل ، وإذا الماء يمشى عليه هينا لينا وإذا خريره هادئ رفيق ، وإذا أنت تتمثل هؤلاء المحبين وقد هدأت ثورتهم وبردت لوعتهم وانصرفوا عن الخصومة والعتاب إلى هذا النحو من الرضى المضطرب بين السخط والعفو الذى تدنو فيه النفس من النفس دون أن تجرؤ النفس على أن تتصل بالنفس ، والذى تسمع فيه ألفاظاً تمازج حلاوتها المرارة وتتخلل لينها الشدة .

« ثم تمضى وإذا مجرى الغدير قد استقام أو كاد وخلا من الصخور والأحجار إلاّ هذه الحصى الصغار الدقاق . وإذا ماء الغدير قد رقّ وقلّ وصفا وإذا هو يمشى مشية خفيفة بطيئة شديدة البطء ، وإذا أنت لا تسمع من المحبين خصومة ولا عتابا بل لا تسمع منهم لفظاً ولا كلاماً ، وإنما هى قبل هادئة حُلوة قد امتزجت فيها النفوس والقلوب ودنا المحبون من الفناء . ثم استقام طريق الغدير استقامة تامة وجرى ماؤه على أرض رخوة سهلة فلست تسمع شيئاً مهما تحاول ، فقد هدأ كل شئ واستقر كل شئ فى نصابه وأخذت نفسى تفيق وتتخلص قليلاً قليلاً من هذا الحلم السخيف ، وإذا أنا أسمع ابنّى من حولى يختصمان : أى أطوار الغدير خير ؟ أحين يضطرب ويهدر ؟ أم حين يهدأ ويستقر ؟

« وأذكر لزوجى ماوجدت من لذة وأنس بهذا الغدير ، فتنتصر فى غضب وسخرية قائلة : وكم تستطيع أن تجد من لذة وأنس لو أرحت نفسك وأرحتنا من الضمائر وفلسفة ليبنتز ! ... ولكنك تعلمين ياصاحبتى أن ليس إلى هذا من سبيل » .

هذه نبذة سهلة مطبوعة ما أحسب أن أحداً يذكرها ويصغى إلى خرير جدول إلاّ استطاع أن يبث فيه نسمة الحياة والحب ، فيضيف لذة الأنس بالطبيعة إلى لذة

الأنس بالإنسان ، ولا ملاحظة لنا عليها إلاّ أننا كنا نفضل أن يكون الضمير فيها كلها للمثنى لا للجمع ، حتى تنطبع منها فى الروع صورة رواية شخصية بدلاً من الفكرة العامة المجردة التى تقابلنا حين نتكلم عن المحبين بالإجمال .

وأنس الكاتب إلى الأصوات واجتهاده فى استخيائها ظاهران فى كثير من صفحات الكتاب ، فمن هذا وصفه لخلوته بنفسه حين يكون فى السفينة ويستمع إلى أصواتها وأصدائها فيقول : « لعل كثيراً من الناس لا يفهموننى إن قلت إنى أجد لذة غريبة قوية إذا تقدم الليل وهدأت حركة الناس جميعاً فى السفينة وكنت وحدى يقظاً أو كاليقظ أسمع لاصطخاب الموج حين يكون البحر هائجاً ، ولعزف الريح واصطفاق الموج حين يكون البحر هادئاً ، ولما يكون فى الحالين من هذا الصوت الأصم القوى الذى تبعثه السفينة فى اطراد وتشابه واستمرار ، منذ تبرح الإسكندرية حتى تصل إلى مرسيليا ، نعم أجد لذة غريبة فى هذه الأصوات التى أسمعها وربما حاول خيالى أن يلائم بينها ويؤلف منها موسيقى فيها قوة وفيها عذوبة ولها قدرة غريبة على أن تخلطنى بها ، فإذا أنا جزء لا يكاد ينفصل من هذه الطبيعة التى تتألف فى خيالى من الموج والريح والسفينة . وربما كانت الخواطر التى تشغلنى من حين إلى حين قوية جذابة فتملأ نفسى وتملأ علىّ قلبى وتصرفنى عن كل شئ فلا أحسّ ولا أسمع وإنما أنا فى تفكير مطلق طويل ، حتى إذا مضيت فى هذا التفكير إلى غايته أحسست كأنى قد فقدت شيئاً وإذا أنا أجمع إلىّ حسىّ وعقلى وشعورى وأتخلص قليلاً قليلاً من هذه الخواطر التى غمرتنى وأتلمس العودة إلى عالمى الذى أجد فيه الأنس واللذة والدعة – والليل مظلم مدلهم – عالم الأصوات المختلطة تتألف من الموج والريح والسفينة » .

ولا يندر أن تلفتك هنا وهناك فى أثناء الكتاب كلمات مصورة عابرة فيها ذوق وفيها حياة ، كقوله يصف الجو القائظ « ولكن اليد التى كانت تخنق الجو أرسلته شيئاً فتنفس خائفاً مشفقاً ومسّت وجوهنا منه أنفاس رقيقة خفيفة لم تكد تبلغنا حتى بعثت الحياة فى النفوس » . أو كقوله عن الفرنسيين : « تعودت ألاّ أسمع للفرنسيين فى مصر إلاّ بنصف أذنى ، فإذا كنت فى بلادهم فأنا أسمع لهم بنفسى كلها » ، أو كقوله عن السفينة : « وكانت سفينتنا صغيرة ضئيلة عتيقة تحب الترجح والرقص ، فكانت تعلو وتهوى وتميل ذات اليمين وذات الشمال » .. فإن

إشارته إلى السفينة العتيقة التى « تحب » الترجح والرقص تعطيك من الفكاهة وتعطى السفينة من الحياة مالا مزيد عليه فى هذه الكلمات القليلة العابرة .

وإذا لم يكن الدكتور طه مصوراً محييا على هذا النمط فأسلوبه فى سائر الرحلة هو أسلوبه السهل المطيع لما يملى عليه ، يملكه دائماً ولا أرى الأسلوب يملكه ويغلبه أحياناً إلا فى موضعين اثنين : حين يبتدئ الجمل وحين يتوسطها فى أثناء السياق ، فأما فى ابتداء الجمل فهو على الأغلب الأعم متشكك متردد يزعم ولا يزعم ويستطيع ولا يستطيع ويعتقد ولا يعتقد ... وأما فى أثناء الجمل فهو جازم حاسم يؤكد « أشدّ » التوكيد ويحب « أشد » الحب ويبغض « أشد » البغض ويلتذ « أشد » اللذة ... ولعل أسلوبه لا يتمرد عليه فى هذين الموضعين . فهو فى تفكيره وشروعه متردد متأنٍّ ، وهو فى عاطفته واسترساله جازم ينسى التردد والأناة .

أما إذا تحدث الدكتور عن أهله وأبنائه فهناك الطيبة كل الطيبة والسلامة كل السلامة . فاستمع إليه يتحدث عن أحد ولديه : « ومهما يكن مالقينا فيها من خير وشر ومن رضى وسخط فلن يعدل هذا كله ما حفظته نفس هذا الطفل الصغير من هذه الرحلة ، فقد كلف فيها بثلاثة أشياء لن ينقضى يوم حتى يحدثك فيها ويطيل ويثقل : العيون والينابيع يقيس بعضها إلى بعض ويوازن بعضها ببعض غزارة وارتفاعاً وانحدار ماء . والبيع والعمارات يقيسها كلها إلى كاتدرائية ستراسبورج . ثم قطر السكك الحديدية يحصيها ويحصى ماتقطع من الآماد والمسافات ويحصى ماتقف عنده ومالا تقف من المحطات : يحفظ أسماءها إن استطاع ، فإن أعياه ذلك أو فاته اخترع لها الأسماء اختراعاً ولعله يحفظ الاسم على غير وجهه ثم يعيده عليك فى شكل بديع مضحك ، وهو لا يكتفى بحفظ القطارات وآمادها ومحطاتها ولكنه يقلدها ... فهو قطار منذ يفيق من نومه إلى أن ينغمس فى النوم أول الليل . يقلد القطار فى حركته وصوته ، يقف ويندفع ثم يقف ويعلن المحطات التى يقف عندها ويقصد إليها متى سافر . وسواء أردنا أم لم نرد فنحن مسافرون سفراً متصلاً لأنه قطار ونحن فى القطار ، فهو يسير ويقف بنا وإنه ليدهش أشد الدهش حين ننسى أننا مسافرون ... » .

وأمثال هذه الصور السهلة المفعمة بالعطف القرير والسحر الحنون غير قليلة فى الرحلة ولا سيما الجزء الأخير منها ، ويخيّل إلىّ أن الدكتور طه يحسن إرسال هذه

الصور الأبوية لأنه يشعر بالأبوة فى معنيين ، فهو فى بيته وبين أهله وولده أب وابن فى وقت واحد ، ومن هنا شملته هذه العاطفة واشتمل عليها فكان فى تعبيره عنها صدق وسلامة قد يعجز عنهما غيره ، وتعينه عليها سليقة الفكاهة الهادئة التى لن تكمل عاطفة إنسانية بغيرها ولو كانت عاطفة الآباء على الأبناء ، فإن هذه السليقة الفكاهية تطالعنا فى وصف الدكتور لنفسه أيام صباه وقد انعطف أعلاه على أسفله كأنه كرة وأضمر المكر لأصحابه الكبار الذين يخفون عنه الأسرار ... وهى تطالعنا فى وصفه لزملاته الطلبة الأزهريين الذين خطر لهم أن يصدعوا بأمر الدين فى بؤرة الفساد فيعظوا من فيها من النساء والرجال ، فما كان من جزائهم إلاّ الإجْفال وتطاير العمائم والنعال ... وهى تطالعنا فى إصغائه إلى زملائه العابثين يحكون مشائخهم فى الإلقاء ولوازم الحركة والكلام ، فالفكاهة والعاطفة الأبوية هما أوضح الجوانبْ الإنسانية فى رحلة الدكتور .

وبعد أفلا يوافقنى القارئ الذى ألم بهذه المقتبسات على أن فى الرحلة صفحات تقارن بأحسن الصفحات فى « آلام ڤرتر » للشاعر الألمانى الكبير ؟

وبعد هذا ألا يسمح لى الدكتور أن أداعبه قليلاً فى قضية اللاتين والسكسون التى لا تزال قائمة بينى وبينه ؟ ألا يشعر الدكتور أن دينه لأدب السكسون أكبر من دينه لأدب اللاتين فى كتابه هذا الجديد وفى كتاب الأيام ؟ أليس الدكتور متأثراً بجيتى حتى فى فلسفة ليبنتز التى أشار إليها وحتى فى التفاته الخاص إلى شغف ابنه بكنيسة ستراسبورج التى كان لها فى حياة جيتى أثر بليغ ؟ أليست طريقة الفصول الخطابية هى طريقة الرسائل الڤرترية ؟ أليست السهولة هنا هى السهولة هناك ؟ إن الدكتور لم يأخذ من « آلام ڤرتر » سطراً واحداً ولكنه استفاد منها ومن أدب جيتى كما يستفيد الجسم الصحيح من الغذاء الصالح ، أو كما قال جيتى لمن اتهموه بالأخذ من الآخرين : « هذا مضحك ! فعلى هذا النحو يجوز لنا أن نسأل الرجل القوى عن الثيران والغنم والخنازير التى أكلها فأعطته القوة ! وصحيح أننا نولد وفينا كفاءاتنا ولكننا مدينون فى تكويننا لألوف المؤثرات التى تحتويها هذه الدنيا الواسعة التى نأخذ منها ما يوائمنا ويدخل فى قدرتنا ، وإننى لمدين بالكثير للإغريق والفرنسيين ومدين بما لاحدّ له لشكسبير وسترن وجولد سمث ، ولكننى إذا قلت هذا فليس معناه أننى أكشف للناس عن ينابيع ثقافتى ، إذ هذا عمل لا آخر له

ولا طائل تحته . وكفى بالمرء أن يكون ذا نفس تحب الحق وتقتبسه حيثما كان » .

فهل ترى الدكتور على استعداد لأن يرد إلى السكسون ما أخذه منهم هنا مكتفياً بما أخذه من اللاتين ؟ إنه ليخسر ولا يربح فى هذه الصفقة بغير مراء .

لا بل نحن نمضى فى مداعبة الدكتور فنعيد عليه ماكتبه فى التفريق بين الجنسين فى عمق الشعور حيث قال من رحلة الصيف : « والشعب الألزاسى من أشد الشعوب الفرنسية تدينا وإيمانا وأحرصها على العادات والسنن الموروثة وكان انفصاله من فرنسا سبباً فى بقاء هذه العادات والسنن قوية شديدة الأثر فى نفسه ، حتى إذا عادت الالزاس إلى فرنسا لم تخضع ولم تفكر فرنسا فى إخضاعها للتشريع الدينى الفرنسى ولا للفصل بين الكنيسة والدولة ... وكان أشد الشعوب الفرنسية تدينا وإيمانا قبل الحرب وأبعدهم فى المحافظة وأحرصهم عليها أهل بريطانيا فلما كانت الحرب وردّت الألزاس أصبح لرجال الكنيسة معقلان منيعان : بريطانيا والألزاس » .

إلى أن قال فى صفحة (١١١) من كتاب فى الصيف

« الفرق عظيم جدا بين هذين الحفلين اللذين شهدتهما فى بريطانيا والألزاس يمثلان نفس شعبين مؤمنين حقا وبين هذه الحفلات التى تستطيع أن تشهدها فى لورد Lourdes إذا أقبل الصيف من كل عام ، فحفلات لورد لا تمثل إيمانا ولا إخلاصاً فى حب الله وإنما هى الشعوذة من ناحية والنفاق من ناحية أخرى وضعف المرضى وتهالكهم على طلب الشفاء من ناحية ثالثة : الدين فى لورد تجارة رائجة ، ولكنه فى بريطانيا والألزاس مرآة صادقة لقلوب مؤمنة خاشعة تخفق بذكر الله والقديسين والتوسّل إليهم » .

فما معنى هذا كله إن لم يكن معناه أن عمق الشعور يزداد كلما كان الشعب أقرب إلى السكسون وينقص كلما كان الشعب أقرب إلى اللاتين ؟ وأين يذهب عمق الشعور إن لم يكن له أثر فى الشعر والنقد والنظر إلى الجمال والحياة ؟

إن تفصيل البحث فى هذا الصدد تتوقف عليه دراسات كثيرة فى الآداب ومقاييس النقد والنظر إلى أدبائنا المعاصرين والأقدمين ، فنحن نرجئه إلى مقال تال يتسع له عما قريب ، ونهنئ الدكتور طه برحلته الجميلة التى كتبها بقلم يعرف البساطة ويعرف التشويق السائغ بلا تصنع ولا تمويه ، ونرجو أن يزيدنا من هذه

الرحلات وهذه الأوصاف ، فهو على ثقة من الإجادة ، مالم يعرض لتطبيق القواعد التى يطرقها الخطأ الكثير أو يعرض للشعور العويص الذى لا تسهل المواءمة بينه وبين تلك القواعد فى كل حال .

عباس محمود العقاد

رسالة إلى
الأستاذ عزيز أباظة (*)
(١٨٩٨ - ١٩٧٣)



نابغُ النَّظْم والنِّظامْ
ودّ لو جاوز التّمامْ
رَامَ فى حَلْبَتَيْهما
قَصَبًا كان لا يُرام
حبّذا مُحْسِنُ الفَعَا
لِ إذا أحسن الكلام
لك فى كل دَوْلَةٍ
منهما أوفر السِّهام
نَسَبٌ زَانَهُ الحجى
أدبٌ صانه الذِّمام
والعِظَامِيّة التى
فيك لم تَخْلُ من عِصام
أنت فى عامِكَ القريـ
ـبِ تحَدَّيْتَ أَلْفَ عام

العقاد

(*) انظر ترجمته فى :
- الأعلام للزركلى (٤/٢٣٢)
- أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٣٣٠)
وانظر كتاب : أبى عزيز أباظة بقلم عفاف عزيز أباظة ، كتاب الهلال ، يولية سنة ١٩٧٤ وطبعة دار الكتاب المصرى اللبنانى ، القاهرة (بدون تاريخ)

الرسالة

... ... (*)

قضيتُ هذا الوقت فى قراءة ديوانكم الصغير الحزين .

ولو كان [المقام] مقام تهنئةٍ لهنأت وأسهبت ، ولكنه على هذا مقام غبطةٍ مأثورة من جملة نواحيه .

فمن الحق ، ولا ريب ، أن تغبطوا على مافى هذه الصفحات من آيات الإنسانية والحب والوفاء ، وأن تغبطوا على ما تفيضون به من شمائل القرين الوفى والأب البار والرجل الكريم ، وأن تغبطوا لهذا الجلَد الذى لمسته فى مرآكم وأنتم تمشون بين الناس بهذه اللوعة الدفينة بين حناياكم ، فوالله ما علمتُ بمصابكم من الصحف ولا من حديث متحدِّثٍ ، وما خطر لى وأنا ألقاكم بما وهبكم الله من التجمّل الرصين أنّ وراءه ألماً يمسك الفؤاد بعنانه ، ولا ينطوى عليه غيركم إلاّ غشاه بدخانه ، ونضح عليه من ألوانه ، فطوبى لكم هذه الرجولة وهذا التجمّل النبيل .

وليست القدرة الفنية فى الديوان بأقلّ ما أُودِعَه من الهبات التى تغبطون عليها ، زادكم الله ممّا يرضيكم ويُعليكم ، ودفع عنكم ما يؤلمكم ويشكيكم ، وأرانى إيّاكم أبداً على خير ما يكون عليه مثلكم من جَلَدٍ وأريحيّة ورفعة وسلام .

١٩٤٣/٧/٢٢

عباس محمود العقاد

المصدر : عزيز أباظة ، ديوان « أنّات حائرة » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦ (صفحة ١٥٠ - ١٥١)

(*) لم تدرج ديباجة الرسالة فى الديوان .

التعليق على الرسالة

في يونية سنة ١٩٤٣ أصدر الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة ديواناً دعاه « أنّات حائرة » وقفه كلّه على رثاء زوجته التى ثكلها قبل ذلك التاريخ بعامٍ واحدٍ. وقد أراد الشاعر بهذا الديوان أن يكون تذكاراً لفقيدته فى ذكراها الغالية ، ولذلك أبى أن يكون الديوان – فى طبعته الأولى – سلعةً معروضةً للبيع والشراء . وإنما جعل اقتناءه – كما قال – « لمن يعنينى أن أهديهم إيّاه ، أو من يعنيه لمعنىً من المعانى أن يستهديه فيهداه » .

وتلقى الأستاذ العقاد نسخته المهداة من الديوان ، وهو لا يعلم بمصاب صديقه الشاعر ، فكتب إليه هذه الرسالة معزّيًا ومواسياً ، ولم يكن المجال مجال تقويم أو تقريظ ، فاكتفى بأن يشير فى لمحةٍ عابرةٍ إلى « القدرة الفنية » فى الديوان ، ثم أتيح له أن يفصّل بيان هذه القدرة حين عهد إليه الشاعر تقديم روايته الشعرية الأولى ، وهى مسرحية « قيس ولبنى » فى سنة ١٩٤٣ ، فكان مما قاله فى تقديمها أن الأستاذ عزيز أباظة « لو قضى عشرين سنة فى السعى إلى المكانة الأدبية التى يعرفها له الأدب العربى الآن لما كان ذلك بالكثير على تلك المكانة ، لأنه باتفاق الجلّة من العارفين شاعر من شعراء الطبقة الأولى فى اللسان العربى ، ومؤلف من مؤلفى القصص التمثيلى المعدودين فى هذا الزمان .. وتلك منزله رفيعة لا يكثر عليها أن تُدرك فى عشرين سنة ، أو فيما يربى على العشرين . ولكن الأستاذ عزيزاً لم يُعرف بهذه المنزلة فى عشرين سنة ، ولا فى عشرٍ ، ولا فيما دون ذلك من سنين ، بل عُرف بها فى أسابيع قلائل بغير مكابرةٍ من أحد ولا رغبةٍ فى المكابرة ممّن يستطيعها ويهواها ، لأنه عنى بالجوهر الأصيل ولم يُعْن بالعرَض المضاف ، أو هو قد اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلما واتته القدرة طائعةً تكفّلت له وحدها بالتقدير الذى لم يتطلبه ولم يضيّع فيه وقته . ولقد صحّ فى شاعرنا المهذب ماصحّ فى لورد بَيْرون حيث كان يقول : « نهضت من فراشى ذات صباحٍ فألفيتنى

مشهورًا » ... فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلاّ وهو فى برجه الأَسْنى قد جاوز جانبَىْ الأفق وأصعد فى سَمْت السماء » .

* * *

ومما يذكر أن الأستاذ عزيز أباظة خلف الأستاذ العقاد – بعد وفاته – فى رياسة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الإجتماعية ، كما كان ممثل مجمع اللغة العربية فى حفل تأبين العقاد وقد رثاه بقصيدة عصماء يقول فى مطلعها (١) :

أَقْصَرُ شيْءٍ عن مداك الحِمامْ	أشهدُ أنت الحىّ تحت الرّجامْ
أضفت للدنيا جديداً فما	أَخْراك بالخلد عليك السلام
يــارائــد الجيــل وأســتــاذه	شققت بالجيل سدول الظلام
جعلت تهديهم وتَمْرِى لهم	ماراق من فنٍّ وعلم جُسام
عصارة الأذهان جاماً فجامْ	وحكمة الأزمان عاماً فعام

ومنها على رَوِىّ اللام :

لم يعرف العقاد من لم يعش	فى جو ماخطّ وأملى وقالْ
يــقــول لله عــلــى أرضــه	خلائف ، هم خلقه لا محال
ويحشد الباغون سلطانهم	فيحشد الرأى لهم والمقال
يظل يصمى بهما بطلهم	حتى إذا استصفى أذاهم أقال
لم يثنه سجن ولم يشره	مال ، وعن هذين صِيدَ الرجال

* * *

وهذه القصيدة – وهى تبلغ نيفا ومائة بيت – مما ندّ عن نظر جامع « ديوان عزيز أباظة » (٢) الذى صدر فى سنة ١٩٧٨ بعد وفاة الشاعر رحمه الله ، فلم تظهر فى الديوان .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء التاسع عشر ، القاهرة ١٩٧٥

(٢) ديوان عزيز أباظة ، جمع وتقديم أنور أحمد ، دار الكتاب المصرى اللبنانى (القاهرة ١٩٧٨)

من إشراقات
السِّيرَة الزَّكِيَّة

عزيز أباظة

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

صفحة الغلاف لديوان «من إشراقات السيرة الزكية» آخر أعمال الشاعر عزيز أباظة ومثال من خطه وتوقيعه (١٩٧١)

رسالة إلى
الأستاذ كليم أبو سيف (*)

١٩٤٤/٩/٩

حضرة الأخ السيد كليم

أهنئك بهذه المرحلة الجديدة فى حياتك . ويقينى أننى لا أسبق الغيب حين أقول الجديدة السعيدة ، لأنها على ما أرى قد جاءت فى أوانها المحكم بتقدير وتدبير من العليّ القدير . فإنك لو أردت أن تقدّمها لما استطعت ولو أردت أن تؤخرها لفات الأوان . فتفاءل واستبشر وامض إلى وجهتك وأنت فى أحضان السعادة البيتية . وهذا هو القسط الأول من التهنئة والتبريك . أما بقية الأقساط فأنا أعرفها ولا حاجة بك أن تتقاضانى إياها فى مواعيدها . وهى على سبيل الترتيب والإثبات : قسط الخطوبة ، قسط الزفاف ، قسط كليم الصغير أو أليس الصغيرة ، وغير ذلك أقساط لا تنتهى كعهدك بها فى أقساط شركات التأمين ، وهل الزواج إلاّ شركة أمانٍ وتأمين ؟ فامض على بركة الله وتحياتى إليك وإلى الأسرة المرجوة فى رفاء وصفاء .

العقاد

(*) انظر التعريف به فى التعليق على الرسالة .

المصدر : كتاب لمحات من حياة العقاد المجهولة لعامر العقاد (صفحة ٣٨٩)

٩/٩/١٩٤٦

من [illegible] كليم

اهنئك بهذه الزهرة الجديدة في حياتك، ويقيني أنني
لو استبقت الغيب من أزل الحياة السعيدة [illegible] على
أنني قد حاولت في أوائل الحكم [illegible]
فتلك الوردات التي [illegible] [illegible] والوردات التي تزوره
نفحات الأوراق .. فتتعانق وتنتشر [illegible]
وأنت في أعقاب السعادة الهنية [illegible]
الأول من النهضة والتحرك .. [illegible]
فما أعرفها [illegible]
مواعيدها [illegible]
[illegible] .. [illegible] الزفاف .. [illegible] كلثوم [illegible]
أو البيت الصغير .. [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

التعليق على الرسالة

الأستاذ كليم أبو سيف صديق قديم للعقاد ، كان يعمل مفتشاً بمصلحة الآثار المصرية وفصل منها لموقفه مع العقاد ، ضد الوفد وسكرتيره الأستاذ مكرم عبيد ، على أثر أزمة سنة ١٩٣٥ . ثم اشتغل بعد ذلك فى بعض شركات التأمين على الحياة ، وكان على صلة عملٍ بدار السفارة البريطانية فى القاهرة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وهو الذى تولى مهمة إنجاز الإجراءات الخاصة بسفر العقاد إلى السودان فى سنة ١٩٤٢

وكانت له مشاركة فى الكتابة الصحفية ، ومن هنا كان اختيار العقاد له ليكون رئيساً لتحرير صحيفة « الضياء » التى أصدرها فى سنة ١٩٣٦ ، ولم تبق غير أيام .

وكان الأستاذ كليم فى سنواته الأخيرة يسكن بالمنزل المصاقب لمنزل العقاد الشهير رقم (١٣) بشارع السلطان سليم بمصر الجديدة (شفيق غربال حالياً) ، وتوفى بعده بسنوات .

* * *

رسالة إلى
الدكتور حسين همت (*)
(... – ...)

[.. حين دق الجرس فى هدأة الليل ، وسمعت صوتك يجهش بالبكاء ، ويلقى إلىّ بتلك الكلمة القصيرة فى حروفها ، الطويلة فى عقابيلها ، لم يخطر على لسانى إلاّ الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لى أن الصبر قد أصيب فى المقتل المنيع ، لأنه قد أصيب فى القلب الذى يعتصم به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب فإلى أين يتراجعون ؟ .

.. كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود بالحياة فالحزن عليه كثير] .

العقاد

(*) انظر التعريف به فى التعليق على الرسالة .

الرسالة

إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همّت .

ياصديقى ، وياطبيبى !

دار الحول واقتربت الساعة التى أوشكت أن تكون موعد لقاء منظور ، وقد كانت عندك أفجع فراق مرهوب .

مضت ثلاثة أعوام على تلك الليلة التى ناديتنى فيها لتبلغنى كلمة واحدة لم تزد عليها ، ولكنها لا تحتمل الزيادة ، لأنها وسعت من التعبير عن آلام نفسك – أيها الصديق العزيز – ماتضيق به المعجمات والأسفار .

ويخيّل إلىّ أننى أسمعها الساعة كما سمعتها منذ ثلاثة أعوام ، لأن للكلمات أرواحاً تعيش وتموت ، وأعماراً تطول وتقصر ، وقلّما تموت كلمة مرهونة بألمٍ طويل العمر ، مديد البقاء .

تعوّدتُ ياصديقى وطبيبى أن أطرق جرسك فى هدأة الليل لأعوذ بعلمك وطبّك فى أمرى وأمر الأعزاء عندى ، ولكننى لم أسمع صوتك يطرق سمعى فى هدأة الليل إلاّ هذه المرة ، ولم أسمع منك فى هذه المرة غير تلك الكلمة الواحدة ، ولكنها الكلمة التى جمعتَ فيها من ألمك مالم أجمعه فى مئات الكلمات .

ماتت !

ولا حاجة بعدها إلى مزيد

وليس من عادتى أن أقحم العزاء على المفجوعين فى ساعة الفجيعة الدامية ، لأننى أحسبه اجتراء على قدس الأحزان لا خير فيه ، ولكنه صوت سمعته لا بدّ له من جواب تسمعه غير الصمت والسكون .. فقلت كأننى لا أعلم ما أقول :

« إنك رجل يادكتور ، ولن تنفعك الرجولة فى مقام بعد اليوم إن لم تنفعك بالصبر الجميل فى هذا المقام » .

نعم ياصديقى وياطبيبى !

إنك رجل ذو عزيمة وجلد وإباء . صبرت على الأهوال فى بلاد الأهوال ، وصحبت الحرب الماضية فى البلاد التركية وفى بلاد أوربا الوسطى وأوربا الشرقية

يوم كانت تلك البلاد موّارة بالخطوب والقلاقل ، سوّارة بالفتن والزلازل ، تصبح في حالٍ ولا تمسي عليه ، وتمسي ولا تدرى كيف يطلع عليها الصباح .

وبلوت من الدنيا ماهو أقسى على النفس من أهوال الفتن والحروب : بلوت منها تقلب القلوب وغدر الصحاب وخيبة الظنون .

بلوت هذا كله فما وهنتَ ولا شكوت ولا أجريته على لسانك إلاّ كسمر السامر وفكاهة المتحدث وعبرة المعتبر بأحوال الدنيا وخلائق الناس .

أنت ياصديقى رجل ذو عزيمة

ولكنك ، واأسفاه ، رجل ذو قلب وذو ضمير . وكثيراً مايكون القلب وحده مدداً للعزيمة ، والضمير وحده ينبوعاً للصبر والإباء

وها أنت ياصديقى تفجع فى القلب ، فما جدوى العزيمة وماغناء الصبر وماحيلة الإباء ؟

أكنتُ نسيتُ ذلك كله ساعة أبلغتنى الخبر المشئوم فأهبت منك بعزم الرجال ؟

إن كنتُ قد نسيته فى تلك الساعة فما كان أخلقنى ألاّ أنساه ، لأننى لمست شواهده قبيل ذلك بأيام ، وشاءت الأقدار أن أسبقك إلى مصابٍ يهدّ القوى ويفتّ فى الأعضاد ، وشاءت الأقدار أن تكون أنت فى لواعج الخوف من وقوع مصابك الأليم ولا علم لى بشيءٍ من ذاك ، لأنك كنت تواسينى مواساة الصديق والطبيب . وتعوذ من نفسك بعزم أولى العزم ، وتكتم عنّى ماكنت فيه .

فلما برح بى الألم ولجأت إليك أستمد منك عوناً لهذه البنية ينصرها على البرحاء علمت مايشغلك ، وعلمت مبلغ صبرك على مغالبة الخوف والفزع والبلاء .

علمت أنك هجرت بيتك ولزمت حجرة المستشفى منذ أيام ، وتركت محرابك الذى لا تتركه لتقيم إلى جوار تلك العزيزة التى تودع الحياة : تلك العزيزة التى كان منها مدد قلبك ومدد عزمك .. تلك الزوجة الرءوم بل ذلك الملك الكريم الذى سكنت إليه كما تسكن السفينة إلى الميناء الأمين بعد هوج البحار .

علمت أنك تأوى إلى المستشفى منذ أيام ولم أعلم ماحقيقة الداء وما مبلغ الرجاء فى الشفاء ، وكان أغلب الظن عندى أنها عقدة من عقد الجراحة يحلها مبضع الجرّاح . فلما ذهبت إليك قوّيتَ عندى هذا الظن وتمالكت وتجلدت وألححت فى السؤال عنى لتطلق لسانى وتنسينى ما أنت فيه .

وها أنت ياصديقي تفجع فى القلب فما جدوى العزيمة وماغناء الصبر وماحيلة الإباء ؟

حين دق الجرس فى هدأة الليل ، وسمعت صوتك يجهش بالبكاء ، ويلقى إلىّ بتلك الكلمة القصيرة فى حروفها ، الطويلة فى عقابيلها ، لم يخطر على لسانى إلاّ الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لى أن الصبر قد أصيب فى المقتل المنيع ، لأنه قد أصيب فى القلب الذى يعتصم به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب فإلى أين يتراجعون ؟

ذلك هو اللغم فى الميناء ، وإنه لأهول من الإعصار فى هوج البحار .

واليوم وقد دار الحول دورته الثالثة لا أحاول العزاء ، لأن العزاء تخفيف من الأسى ، والأسى على الأعزاء عزيز مثلهم ، لا يروقنا أن نمسّه بتخفيف .

إنما أحاول ترويض الحزن بشيئ من التذكير .

ولا أذكرك إلاّ بمصائب الحياة إلى جانب مصائب الموت . فوالله ياصديقى إن الحياة لأقسى من الموت فى أكثر من مصاب ، وإن قسوة الموت لرحمة فى بعض الأحايين عند قسوة الحياة ، فليست أوجع السهام مخبوءة لنا فى جوف التراب ، بل هى مخبوءة لنا فى رحب الهواء .

إن فقدان الموت يورثنا الألم ولكنه الألم الذى لا نهون به ولا نخجل من قبوله ، وقد نشرف أمام أنفسنا بالصبر عليه والحنين إليه .

وكم من فقدان فى الحياة يورثنا الألم الذى يُخْجِل ويُضيم ، لأنه ألم لا يجمل بنا أن نحسّه ولا يشرفنا الصبر عليه والحنين إليه ، وإنّما يشرفنا أن نقتلعه من جذوره كلما استطعنا ، وقد لا نستطيع .

كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود بالحياة فالحزن عليه كثير .

ولأكرمُ لنا وللأعزاء أن نفقدهم موتى ولا نفقدهم أحياء ، وما يرضينا أن نفقدهم على حالٍ من الحالين لو كان لنا اختيار بين الأمرين ، ولكننا مسيّرون ياصديقى للقضاء ، ولا حيلة ياصديقى للموتى ولا الأحياء مع حكم القضاء .

عباس محمود العقاد

المصدر : مجلة الرسالة ، العدد ٥٩٢ فى ٦ نوفمبر ١٩٤٤ ، صفحة ٩٩٧

التعليق على الرسالة

كان الدكتور حسين همت طبيباً للعقاد وصديقاً قديماً له ، وكان بينهما تجاورٌ وتزاور ، حيث كانت عيادته الطبية تقع على ناصية شارعى إبراهيم اللقانى والأهرام ، أعلى مقهى الأمفتريون الشهير بمصر الجديدة ، على جوار قريب من منزل العقاد .

وللدكتور حسين همت تاريخه الوطنى الحافل ، فقد شارك الزعيم محمد فريد جهاده فى المنفى ونادى معه بمبدأ مصر للمصريين ، ونقل العقاد عنه أنه كان كثيراً مايلقى الصدر الأعظم طلعت باشا فى إبان الحرب العظمى فإذا هو آسف يقول له المرة بعد المرة : عجبى لكم أنت وفريد وفلان وفلان وأنتم أبناؤنا كيف تنادون بمصر للمصريين وقد علمتم أن أناساً من صميم المصريين يقبلون السيادة العثمانية ويدعون إلى الجامعة الإسلامية » [١] .

* * *

(١) العقاد : ساعات بين الكتب ٣٦١/٢

وفى حديثه عن الزعيم محمد فريد ، يقول العقاد فى كتاب « رجال عرفتهم » ؛ وهو يشير إلى شعار « مصر للمصريين » :

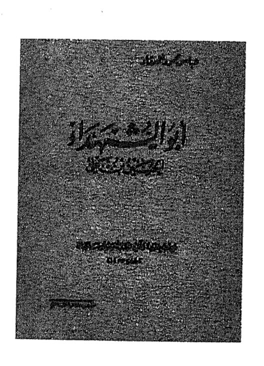
« حدثنى صديقى الفاضل الدكتور حسين همت بك - وهو ممن شهد تلك الأيام فى الآستانة - أن طلعت باشا أخطر رجال الدولة التركية فى عهده كان يمتعض كلما لمح ذلك الشعار الذى يحمله فريد وصحبه ، وكان يعجب لأنهم ينكرون على الترك حكم مصر ، وإنهم ليتكلمون التركية خيراً مما يتكلمها أهل الآستانة » (صفحة ٥٨ ، ٥٩) .

رسالة إلى
السيد محمد حسن آل ضياء الدين
سادن الروضة العباسية بكربلاء
(غير مؤرخة)

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددها رقم (٦٢٢) بتاريخ الرابع من يونية سنة ١٩٤٥ فى باب (البريد الأدبى) وتحت عنوان « تقدير قيم لكتاب قيم » الكلمة التالية :

أرسل إلينا الأستاذ نزار الحلى من كربلاء كتاباً يقول فيه :

أهدى السيد محمد حسن ضياء الدين سادن الروضة العباسية بكربلاء هدية نفيسة إلى الأستاذ عباس محمود العقاد تتألف من مصحف أثرى وسجادة فاخرة وقطعة من الذهب المقصّب تمثل ضريح الحسين عليه السلام ، وذلك بمناسبة تأليفه كتابه (أبو الشهداء) واعترافاً بإجادته فى هذا الموضوع . وتقدّر هذه الهدية بألف جنيه علاوة على قيمتها الأثرية .



ولقد أرسل الأستاذ المهدى إليه رسالة رقيقة إلى السيّد المهدى نرسل إليكم صورتها لتنشروها فى مجلتكم الغراء ، وهذا نصّها بعد الديباجة :

تحيات الإجلال إلى مقام السيد الكريم ، وقد تلقيت هديته الفاخرة فتلقيت كنزاً ثميناً بكل معنى من معانيها ، وكل إشارة من إشاراتها ، وهى كثيرة المعانى والإشارات .

وحسبى منها أنها عنوان الرضوان من أمثالكم ذوى الفضل والعلم ، ورضوانهم مفخرة لكل من يحمل القلم فى خدمة الحق والمعرفة ، وأنها قداسة تقترن بوحى الله وتزدان باسمه جلّ وعلا وأسماء نبيّه الكريم وصفوة آله الأبرار ، وأنها مع هذا وذاك آية رائعة من آيات الصنع المونق المعجب والفن المحكم الجميل ، ولست أوفيها الشكر عن بعض هذه المعانى فكيف أوفيها الشكر عليهن مجتمعات ؟

غاية رجائى أننى استحققتها من كرمكم بكتابى عن (أبى الشهداء) فعسى أن أوفيها شكرها بالمضى فى هذا النهج القويم والمثابرة على خدمة الفضيلة والإيمان .

ولعلى أسعد بفرصة يشكركم فيها اللسان مع هذا الشكر القاصر من اليراع .

ولكم منى أسنى التحية والسلام والإجلال

المخلص

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

لم يكن من عادة الأستاذ العقاد نشر رسائل التقدير التى ترد إليه من قرائه على اختلاف مستوياتهم ولا سيما رسائل العظماء وأعلام الكتّاب ، ومنها رسائل الزعيم العظيم سعد زغلول .

ورسالة العقاد إلى السيد سادن الروضة العباسية بكربلاء بمناسبة تأليف كتاب (أبو الشهداء) إنما وردت رأساً إلى مجلة الرسالة التى نشرتها تحت كلمة تقديم بعنوان « تقدير قيم لكتاب قيم » .

على أن الأستاذ العقاد خالف عادته مرة واحدة حين نشر رسالة كان قد تلقاها من صاحب الجلالة « عبد الله بن الحسين » ملك شرق الأردن فى صيف سنة ١٩٤٥ ، وذلك فى مقالٍ له عن « الملك عبد الله » بعد وفاته [1] ويقول العقاد فى هذا المقال : « لم أكن قد أهديت إلى جلالته كتابى عبقرية الإمام ، فرأيت من الواجب أن أبعث إلى جلالته بسائر كتبى فى العبقريات الإسلامية ، وتلقيت منه الجواب برأيه فيها على نحو ماتقدم ، وأثبت رسالة جلالته هنا لأول مرة لأنها فى مقام التعريف به تدل على شئ كثير : تدل على أسلوبه وثقافته ، وعلى نهجه فى سلوكه ، وعلى أساس حقه ودعواه فى نظره ، وما يعلقه على نسبه الكريم من المطالب والآمال » .

وهذا نصّ رسالة الملك عبد الله رحمه الله :

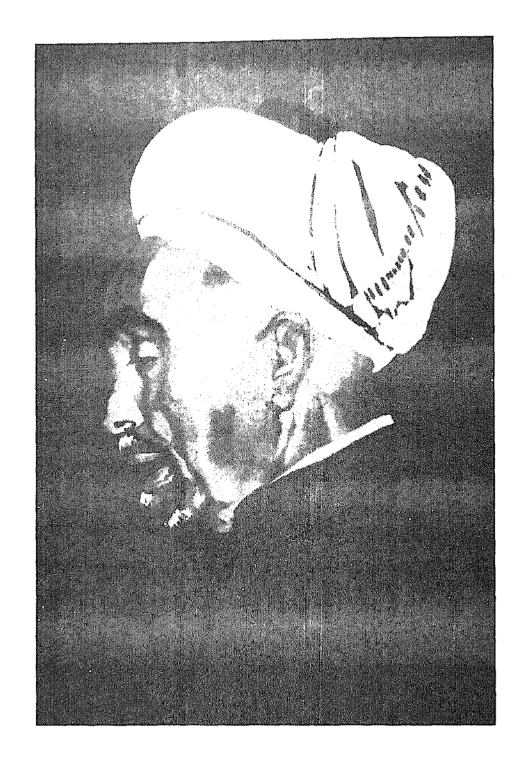
« سلام الله عليك وبركاته مع نفحات النبى وكرامات الوصىّ والإشعاع القدسىّ لآل البيت المصطفوىّ منّا إليك مع الشعور الرقيق الأخوىّ ، فتقبلها خالصة مُصَفّاة .

تالله لم يحتبس لسانى ولم يقف قلمى قط عندما أعتزم الكتابة أو القول ، كما

---

(١) مجلة الهلال ، سبتمبر ١٩٥١

احتبس لسانى ووقف قلمى ساعة اعتزامى الكتابة إليك بعدما تمعّنت الرسالة الجليلة « عبقرية الإمام » رضى الله عنه . فثِقْ ياعباس – واسمح لى أن أدعوك هكذا بغير ملق المعاصرين أو تزلف بعض السابقين – من أنّ روحانية الإمام دفعتنى إلى شكرك والإشادة بذكرك ، فإنك قد أرضيت الآل بما لم يرضهم به تابعىّ أو شيعىّ أو سنّى ، وقلت الحق فيما كتبت بدون أن تنحاز إلى ناحية من النواحى ، وسلكت فى ذلك السبيل الشائك بدون أن تعلق بغصن منها أو فرع ، بل ولجت بحقّ وصرت إلى نور ، فأوضحت الدليل وأنرت السبيل ، فبارك الله فيك ورضى عن عملك وجهادك ، فوالله لو اجتمع من سبق ومن لحق من محبّى الإمام لما جاءوا بمثل ماجئت به ، وإننى إذ أبعث بكتابى هذا إليك مع فوزى بك الملقى للقيام بواجب أراه قد فرض علىّ ، فلا يخامرك أىّ شكّ من أن الدافع لهذا هو إشارة قلبية شعرت بها وأنا فى هذا العصر بقية الهاشميين ورأس العلويين ، فجزاك الله عن الأول منهما والثانى خير الجزاء » .

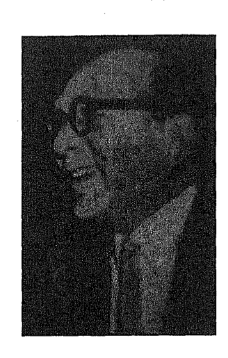


الملك عبد الله بن الحسين

بريشة الفنان كنعان

(نقلا عن مجلة الهلال)

رسالة إلى
الدكتور عثمان أمين (*)
(١٩٠٥ - ١٩٧٨)



[العقاد مفكر ، أديب ، فنان ، وهو فوق ذلك صاحب رسالة شاملة نبيلة ، تهيأ له بعكوفه الطويل على النظر والمعاناة ، أن يؤديها فى امتلائها وازدهارها ، لا إلى أمته العربية وحدها ، بل إلى الإنسانية قاطبة - وأى شئ فى الدنيا أجمل من تنوير الأذهان ، وتفتيح الآفاق ، وإعلاء قيم الحق والخير والجمال ؟

سيبقى أثر العقاد فينا مابقيت هذه الرسالة] (١)

[كان العقاد فى حياته خير مثال لما يسميه ديكارت بالرجل « الأريحىّ » ولما نسميه نحن بالإنسان « الجوانى » المؤثر للجوهر الباقى على العرض الفانى] (٢)

د. عثمان أمين

(*) انظر ترجمته فى :

- أعلام مصر فى القرن العشرين ، صفحة ٣٢٨ ، ومولده فيها سنة ١٩٠٨

- كتاب العقاد دراسة وتحية ، هامش صفحة ٤٩ ، من ترجمته بإملائه .

- وفى كتابه « الجوانيّة : أصول عقيدة وفلسفة ثورة » (القاهرة ، ١٩٦٤) ، سيرة ذاتية جوانيّة مفصّلة بقلمه .

(١) نظرات فى فكر العقاد ، المكتبة الثقافية ، مارس ١٩٦٦ ، صفحة ١٠

(٢) الجانب الفلسفى عند العقاد ، مجلة الهلال ، ابريل ١٩٦٧ ، صفحة ٩١

الرسالة

حضرة الأخ الفاضل الدكتور عثمان

أحييكم وأهنئكم بظهور الطبعة الثانية من كتابكم عن « ديكارت » (*) وأعتقد أن ظهور طبعتين لهذا الكتاب القيّم فى مدى بضع سنوات علامة تهنأ بها الثقافة المصرية ويرجى منها المزيد .

وقد أخذت فى قراءة الكتاب على شاطئ الاسكندرية وأنا أقول : بحرٌ على بحر . فمازلت أُوغل فيه حتى تضاءل البحر الأبيض أمامى ، وأصبح كالقطرة التى لا تُنظر بغير المجهر الكبير .

زادك الله علماً وأخصب يراعك بأمثال هذه الثمرات اليانعات ...

١٩٤٦/٨/٢٤

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر : كتاب « ديكارت » للدكتور عثمان أمين ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٥٨

(*) رينيه ديكارت Rene Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الملقب بأبى الفلسفة الحديثة وصاحب مذهب الشك المنهجى ، ومقولته الشهيرة فى إثبات وجود النفس (الكوجيتو) : أنا أفكر إذن أنا موجود .

التعليق على الرسالة

أجمل الأستاذ الدكتور عثمان محمد أمين تاريخ صلته بالعقاد وقصة هذه الرسالة ، فى تقديم كتابه الصغير « نظرات فى فكر العقاد » [1] ، ولعل كلمته فى هذا التقديم أَوْلى مايقال فى التعليق على الرسالة ، قال الدكتور رحمه الله :

« أما صلتى بالعقاد فهى صلة قديمة عزيزة ، فقد صحبت الفقيد زهاء أربعين سنة صُحْبةَ ائتناسٍ فكرىّ ومشاركةٍ وجدانية ، صحبته فى العشرينات وأنا فى ريعان الشباب وإبّان دراستى بالمدرسة السعيدية وبالجامعة المصرية ، وحرصت على متابعة ماكان يكتبه فى الصحف والمجلات من مقالات فى الأدب والنقد والفن والسياسة ، وقرأت فصوله ومطالعاته ومراجعاته ، بالإضافة إلى سلسلة سيره وعبقرياته .

ولعل أول ما استرعى نظرى من كتابات العقاد مقالان عن الفيلسوف الألمانى « عمانويل كانط » (*) ، نشرهما رحمه الله فى جريدة البلاغ سنة ١٩٢٤ (**) ، قرأتهما حينئذٍ فخيّل إلىّ أن هذا الكاتب المصرى الموهوب قد فتح أمامى آفاقاً للفكر جديدة ، إذْ وجّه اهتمامى إلى دراسة الفلسفة بوجه عام ، ودراسة الفلسفات المثالية بوجه خاص ، فكتبت إليه أستوضحه بعض ماجاء فى مقاليه ، فبادر بالرد مشكورا ، وسعيت حتى التقيت به فى « المكتبة التجارية » التى كان يتردد عليها من حين إلى حين (***) .

---

(١) صدر عن المكتبة الثقافية رقم ١٥٣ فى ١٥ مارس ١٩٦٦ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦

(*) Immanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) ، وقد سبقت الإشارة إليه .

(**) نشر المقالان من بعد فى كتاب « مطالعات فى الكتب والحياة » ، القاهرة ١٩٢٤ ، صفحات ٢٣٩ - ٢٤٩

(***) أعاد الدكتور ذكر هذه الرواية فى كتاب « الجوانية » بنفس الألفاظ تقريباً ، مما يدل على قوة تأثيرها فى نفسه وعلوقها بوجدانه ، وذلك حين عرض لبعض الفلاسفة الأعلام الذين عاشوا فى عزلة عن الناس ، ومنهم كانط الذى « كان يقضى فى كونجزبرج حياة رتيبة ، يخرج من البيت إلى الجامعة =

ولم يفتر إعجابى بالأديب الكبير طوال المدة التى قضيتها فى البعثة الجامعية فى أوروبا ، فلما عدت إلى مصر سنة ١٩٣٩ ، بادرت إلى استئناف الاتصال به ، وداومت على إهدائه ماتيسر لى أن أنشره من بحوث أو مؤلفات .

وفى صيف سنة ١٩٤٦ قرأ فقيد العربية – وهو على شاطئ الإسكندرية – كتابى عن « ديكارت » فى طبعته الثانية ، فتفضّل وأرسل إلىّ ، فور قراءته ، رسالة تقريظ يثنى فيها على الكتاب ثناءً كريماً جزيلاً ماكنت أتوقع صدوره بتوقيع العقاد ، وهو على ما أعلم ويعلم القراء ناقد نفاذ مقتصد فى المديح ، بعيد عن المجاملات ، فكان لتلك الرسالة الفريدة فى نفسى أثر لا أكاد أعرف له نظيرا : حفزتنى من جهةٍ إلى إعداد طبعةٍ ثالثةٍ للكتاب ، حرصت على أن ابذل فيها غاية جهدى حتى أظل عند حسن ظنّه وظنّ القراء بى ، وجعلتنى من جهةٍ أخرى أشعر بأن إعلان هذا الثناء على عملى قد ألقى على كاهلى عِبئًا جديدًا ، إذْ حملنى على مضاعفة الجهد للوصول إلى إنجازٍ أعلى . ولعمرى لقد تبينت – بتجربتى هذه مع العقاد ، وماتركه فى نفسى تقريظه لكتابى – المرمى البعيد لكلمة « البيركامو » : ما أكثر ما تستعبدنا إنجازاتنا ؟ » (١)

* * *

= ويعود من الجامعة إلى البيت » فقال فى هامش صفحة (٤٧) : « بهذه المناسبة يحلو لى أن أذكر أن أول من لفت نظرى إلى دراسة فلسفة « كانط » هو الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله ، ففى سنة ١٩٢٤ ، وكنت طالباً بالمدرسة السعيدية الثانوية – قرأت له فى جريدة « البلاغ » مقالين عن عما نويل كانط فكانا بالنسبة إلىّ فتحاً فى آفاق الفكر جديداً ، وقد أرسلت حينئذ إلى الأستاذ العقاد رسالة أستوضحه فيها عن بعض ماجاء فى المقالين وأسأله أن يرشدنى إلى ماينبغى أن أقرأ عن كانط بالعربية أو الانجليزية ، وأذكر أن ردّ العقاد على رسالتى كان له أثر كبير فى توجيه حياتى الفكرية فى الجامعة وخارجها »

قلت : وهذه رسالة أخرى من رسائل العقاد المفقودة لا يعرف لها الآن مكان أو وجود (انظر فصل « رسائل العقاد » فى مقدمة الكتاب) .

(١) نظرات فى فكر العقاد ؛ الصفحات (٧ – ٩)

رسائل إلى
الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف

[إن عبقرية العقاد قد ارتفعت فى الشعر إلى شأوها الأعلى ، فكان أن أخرج للعرب المحدثين ديوانًا يصوّر إنساناً لا موظفا فى ديوان ، وإنساناً شاعراً لا مجرد ذى شارةٍ اجتماعية أو لقب ، وشاعراً عظيماً لا أىّ شاعرٍ كيفما كان الشعراء . وكأنما أراد الله أن يُكمل هذه الصورة الرائعة فمدّ فى عمره حتى يرينا من شعره فى أطوار عمره أفانين ومبتكرات يضيق عنها الشباب ، كغزل الشيخ الكبير ومحاولته التوفيق بين شرّة الغزل ووقار السن والمقام والشهرة ، وهو مالا نجده عند غيره من الشعراء أجمعين] .

أحمد إبراهيم الشريف
(من تقديمه لديوان العقاد طبعة بيروت ١٩٧٢)

كلمة واجبة

علم أخى الأديب الشاعر المفكر الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف بشروعى فى جمع ما اجتمع عندى من رسائل العقاد فتفضل ، بمبادرة تلقائية مشكورة منه ، بأن أرسل إلىّ من أسوان جملة الرسائل التى خصّه بها الأستاذ العقاد ، بين سنتى ١٩٥٥ و ١٩٦٣ ، وأَذِن لى فى نشر ما أراه منها ، فرأيت نشرها جميعاً ، ورغبت إليه فى أن يقترن نشرها فى هذا الكتاب بالتعليق عليها بقلمه ، إذ هو أعلم بمناسباتها وأدرى بما يَرِد فى ثناياها من الإشارة إلى بعض الوقائع والأخبار الشخصية ، فضلاً عن التعريف بمن جاء ذكرهم فى هذه الرسائل من غير المعروفين إلاّ فى نطاق دائرة الأهل والمعارف الأقربين .

وقد رحّب الأستاذ الشريف بهذه الرغبة ، أو هذا الاقتراح ، كلّ الترحيب ، غير أنّ ظروفاً طارئةً - من قِبَلى لا من قبله - حالت دون تحقيق مارجوت من ذلك ، ولم أر أن أخلى الكتاب من أن ينتظم سلكه هذه الرسائل الفريدة فى بابها ، راجياً أن تتاح الفرصة للتعليق عليها فى مجال آخر إن شاء الله .

والأستاذ أحمد إبراهيم الشريف ، كما هو معروف ، ابن خال الأستاذ العقاد . ووالده هو المغفور له العالم الأزهرى المتصوف الزاهد الشيخ إبراهيم بن محمد عمر أغا الشريف [١] (١٨٦٩ - ١٩٣٤) أصغر أخوال العقاد ، والذى عن طريقه عرف العقاد فى نشأته الإمام الغزالى وكتابه إحياء علوم الدين .

والشريف الابن أديب وشاعر وناقد وباحث له إسهاماته القيّمة فى مجالات الفكر والفلسفة والتاريخ والنقد الأدبى . ومن مواهبه التى لا يغالى بها موهبته الفذة

---

(١) ترجم له ولده الأستاذ أحمد الشريف ترجمة منصفة غير محابية ، فى تقديم الطبعة الثانية من كتاب « الإرشادات فى العقائد والعبادات » ، من تأليفه ، وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى سنة ١٩١٢ عن مطبعة السعادة بالقاهرة ، وأعاد ولده طبعه إحياءً لذكرى أبيه ، مع مقدمة ضافية جليلة الفوائد فيما يتعلق على الأخصّ بنسب الأستاذ العقاد من جهة والدته ، وصدرت هذه الطبعة الثانية عن مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة فى سنة ١٩٧٤ م .

فى مجال الترجمة من اللغة الانجليزية وإليها ، وله فيها براعات تذكرنا براعات المازنى فى هذا المجال ، ومن إبداعاته فيها حرصه على ترجمة الشعر شعراً فى أسلوب عربىّ مبين ونسق شعرىّ بديع .

ومن أعماله فى غير ميدان الأدب بحثه القيم عن « الحتم والحرية فى القانون العلمى » الذى يكشف عن ملكة « رياضية » تبحث فى فلسفة العلوم بحسّ الشاعر وعقل الفيلسوف ، وهو فى هذا تلميذٌ نجيب للفيلسوف الانجليزى الكبير برتراندرسل ، ومن أشدّ محبيه والمعجبين به .

* * *

والملاحظة الجديرة بالتسجيل فى صدد رسائل العقاد إلى الأستاذ الشريف هى ما تتسم به من الجمع بين الشأن العام والشأن الخاص ، أو بين لغة الخطاب الأدبى ولغة الخطاب « العائلى » ، فالعقاد حين يكتب إلى الشريف يعلم أنه لا يخاطب قريبه القريب أو « ابن خاله » وحسب ، ولكنه يخاطب قبل ذلك القارئَ المثقف المشتغل بشئون الفكر والأدب ، المتتبع لحركة الثقافة وحصاد الكتب فى الشرق والغرب ، والمعلّم الذى يشترك بقسطه المقسوم فى توجيه الناشئة وتربية الأجيال وتقويم العقول والأذواق ، وتلك هى القرابة الفكرية التى تدنى صاحبها من أفق العقاد فى جوار غير بعيد ، وتصل أواصرها الحميمة بين عالم الأستاذ وعالم المريد .

وتلك مزية هذه الرسائل وطرافتها فى آن .

* * *

الرسالة الأولى

١٩٥٥/١٠/١٥

حضرة الأخ الفاضل

حمدت مستقرك إن شاء الله ، ولا أشك فى أنك مستفيد فيه من دراسة وتدريس ، ومن بيئة جديدة وجوّ جديد

– أما مصابنا فى السيدة الوالدة فإنك لتعلم أن المصائب إنما تحزننا بما توحيه وما تثيره فى نفوسنا من مراجعة الذكريات ، وهل من مصاب أعرق وأعمق وأحفل بالذكريات من المصاب بالأمهات :

تعجّب قومٌ لشيخ بكى	أكان المشيب لدمعى فطاما ؟
وأمّ لعشرين عاماً تعـ	ـزّ فراقاً ، فكيف بسبعين عاما (*)
لئن عظم الخطب يا أمّتا	لقد هان يوم سكنت الرجاما
لأجلك كنت أخاف الخطو	بَ فما الخوف بعدك إلا سلاما

وكل من عليها فانٍ ...

– ربما طلبت تكملة المجلة السودانية Sudan Record بعد سنة ١٩٤٢ ، وهى السنة التى زرت فيها السودان ، وقد علمت أنهم هنا يطلبونها من الخرطوم . فإذا تيسر لك أن تسأل عن الموجود بعد هذه السنة إلى الآن وثمن كل مجلد منها فاكتبوا إلى بذلك مشكورين . من هنا تحية الجبلاوى والتونسى والمصرى وسائر الجماعة وإليكم منى السلام

العقاد

(*) نقح العقاد هذا البيت حين نشره فى « ديوان من دواوين » إلى الصيغة التالية :

وأمّ لما دون عشرٍ تعـ	ـزّ فراقًا ، فكيف لسبعين عاما

وهى أبلغ وأجود .

١٩٥٥/١/١٠

حضرة الأخ الفاضل

حمدت مستقرك ان شاء الله، ولا اشك في انك مستفيد
فيه من دراسة وتدريس، ومن بيئة جديدة ووجه جديد

- اما مصابنا في السيدة الوالدة فانك لتعلم ان المصائب
تحزننا بما توحيه وما تثيره في نفوسنا من مراجعة الذكريات؟
وهل من مصاب اعرق واعمق واحفل بالذكريات من المصاب
بالامهات!

أتعجب قوم من شيخ بكى | أكان المشيب لدمعي فطاما؟!
وأمّي لعشرين عاما تعد | من زاروا، فكيف بسبعين عاما
لئن عظم الخطب يا أمّتا | لقد هان يوم سكنت الرجاما
لأجلك كنت أخاف الخطوب | فما الخوف بعدك الا سلاما

وكل من عليها فان ...

- ربما طلبت تكملة المجلة السودانية Sudan Record
بعد سنة ١٩٤٢ وهي السنة التي نزحت فيها من السودان، وقد علمت انه
صار يطبع فيها في الخرطوم. فاذا تيسر لك ان تسأل عن الموجود بعد
السنة الى الآن وثمن كل مجلد منها فاكتبوا الي بذلك شاكرين
من هنا تحية الجلاد وسيدا والتونسي والخورساوس والجماعة، والتحية لكم
السلام

الرسالة الثانية

١٩٥٦/٩/٢٢

حضرة الأخ الفاضل الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف .

أحييكم وأرجو أن تكونوا على أحسن ماتحبون ، وبعد فقد عدت من الاسكندرية قبل الموعد الذى نويته لأننى لم أسترح إلى جوها الرطب هذا العام ، وقد تسلمت خطابيكم وكنت بانتظار الأستاذ صبحى صاحب مكتبة الأنجلو الذى كان يقضى إجازته الصيفية خارج القاهرة ، للتفاهم معه على مواعيد الرسائل المترجمة ، فلما عاد إلى عمله أخبرنى أنه اتفق مع اثنين من معارفه على ترجمة رسالتين فأصبحت الرسائل المترجمة أربعاً تكفى إلى مابعد أول السنة الجديدة ، ولها حسابها فى تنظيم بقية السلسلة ، وعلى هذا يمكن إرجاء الترجمة إلى حين .

– أصيب صديقنا التونسى بغرق ابنه فيصل فى سوهاج أعانه الله على هذا المصاب الأليم ، وسيكون بالقاهرة عند وصول هذا الخطاب إليك

– أكرر لكم التحية وأرجو أن أتلقى من أخباركم كل خير .

عباس محمود العقاد

٢٢/٩/١٩٥٦

حضرة الأخ الفاضل الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

أحييك وأرجو أن تكونوا على أحسن ما تحبون ،
وبعد فقد عدت من الاسكندرية قبل الموعد الذي نويته
لأنني لم أسترح إلى جوها الرطب هذا العام ، وقد تسلمت
خطابيكم وكنت بانتظار الأستاذ صبحي صاحب مكتبة الانجلو
الذي كان يقضي اجازة الصيف خارج القاهرة ، للتفاهم
معه على مواعيد الرسائل المترجمة ، فلما عاد إلى عمله أخبرني أنه
اتفق مع اثنين من معارفه على ترجمة رسالتين فأصبحت الرسائل
المترجمة أربعا تكفي إلى ما بعد أول السنة الجديدة ، ولعلها
حسابها في تنظيم بقية السلسلة ، وعلى هذا يمكن إرجاء
الترجمة إلى حينه

- أصيب صديقنا الشرقي بغرق ابنه فيصل في
سوهاج - أعانه الله على هذا المصاب الأليم ، وسيكون
بالقاهرة عند وصول هذا الخطاب إليك

- أكرر لكم التحية وأرجو أن أتلقى من أخباركم كل خير

عبد الحميد [illegible]

الرسالة الثالثة

١٩٥٧/٥/٦

أخى السيد الشريف

وصل خطابكم فى موعده . ولعل خطابكم الأول إلى الأخ أحمد لم يصل فى حينه فكرر الكتابة إليكم من أجل ذلك . ومتى وجدتم شيئاً من الأدوية التى طلبها فلا بأس بإرسالها إليه

– صحتى الآن حسنة . وحالة النظر تمكننى من المطالعة بغير مشقة دون الإطالة . وحسبنا ما تيسر منها الآن .

– وقد عثرت على كتاب بلنت عن غردون فى الخرطوم أثناء نقل الكتب من مواضعها . فلا داعى للبحث عنه .

ولست أعمل الآن فى تأليف كتاب جديد ، ولكننى قد أشرع بعد أسبوعين فى تأليف كتاب عن الاستعمار والشيوعية ، وتحت الطبع اليوم كتاب يصدره المؤتمر الإسلامى عن حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، يرجى أن يظهر خلال الشهر القادم .

سلامى إليكم وسلام « المسلمانى » عبد العزيز على محمد أغا الشريف . فهو الآن مقيم بالقاهرة شارد الذهن فى كل مكان سواها . ولعله عندكم – أحيانا – فى الخرطوم .... وإلى اللقاء القريب إن شاء الله .

عباس محمود العقاد

١٩٥٧/٥/٦

أخي السيد الشريف

وصل خطابكم في موعده . ولعل خطابكم الأول إلى الأخ أحمد
لم يصل في حينه فكرر الكتابة إليكم من أجل ذلك . ومتى وجدتم
شيئا من الأدوية التي طلبها فلا بأس بإرسالها إليه

- صحتي الآن حسنة . وحالة النظر تمكنني من المطالعة
بغير مشقة دون الإطالة . وحسبنا ما تيسر منها الآن

- وقد عثرت على كتاب [illegible] عن [illegible]
أخيرا . نقلت الكتب من مواضعها . فلا داعي للبحث عنه
ولست أعمل الآن في تأليف كتاب جديد ، ولكني تداركت
بعد أسبوعين من تأليف كتاب عن الاستعمار وأساليبه ،
وقد طبع اليوم كتاب [illegible] المؤتمر الإسلامي [illegible]
[illegible] السلام وأباطيل خصومه ، ويرجى أن يظهر قريبا
إن شاء الله

سلامي إليكم وسلام "المسلماني" "عبد العزيز"
على محمد أخي الشريف . محمد الآن مقيم بالقاهرة
[illegible] والذهن من كل كان سواها . ولعله عندكم
- أحيانا - شيء أخي محمد ... وإلى اللقاء القريب إن شاء الله

[signature]

الرسالة الرابعة

١٩٥٩/٦/٦

أخى السيد أحمد

تقرر أخيرا أن ينوب العلامة عبد العزيز الشريف الردى عن الفيبيرى فى تأليف الرسالة التى نحتاج إلى مراجعتها وكفى الله المؤمنين مؤنة البحث والتدوير ...

وإلى أن ينفذ هذا القرار يمكن النظر فى المجموعة التى تشتمل على مباحث الفيبيرى فى العلوم السياسية فلعلها تشتمل أيضا على مباحثه فى « السلطة المطلقة » Tyranna . فإن لم تكن مشتملة عليها فالوسيلة الوحيدة الباقية هى تكليف مكتبة ايطالية فى الثغر باستيراد الكتاب من ايطاليا ويكفى أن يقال إنه Discources فى الحكم المطلق Tyranna لأننى لا أذكر اسمه الإيطالى . وتحياتى إليكم وإلى صحبكم بالاسكندرية

العقاد

٦/٦/١٩٥٩

اخي السيد احمد

تقرر اخيرا ان ينوب العلامة عبد العزيز الشريف الرادي عن الفييري في تأليف الرسالة التي نحتاج الى مراجعتها وكفى الله المؤمنين مؤونة البحث والتدوير ...

والى ان ننفذ هذا القرار يمكنك ان تعطيني المجموعة التي تشتمل على مباحث اليفيري في العلل السياسية فلعلها تشتمل ايضا على مباحثه في "السلطة المطلقة" Tyranna. فان لم تكن تشتمل عليها فالوسيلة الوحيدة الباقية هي تكليف مكتبة ايطالية في الثغر باستيراد الكتاب من ايطاليا ويكفي ان يقال انه Discorso في الحكم المطلق Tyranna لانني لا اذكر اسمه الايطالي. وتحياتي اليكم والى محبيكم بالاسكندرية

العقاد

الرسالة الخامسة

أخى السيد أحمد

فى سعة البحر وسعة الوقت مجال - على ما أرجو - لقضاء أيام العيد وأيام الراحة والاستعداد للعمل النافع إن شاء الله .

وعندنا هنا متسع من يقظة الشريف يوازن السعة فى بحار العالم أجمع ، ودع عنك البحر الأبيض المسكين !

لعلك تعثر بكتاب :

Oxford Companion to French Literature

فى بعض مكتبات الاسكندرية . فإن وجدته فأرجو أن ترسله مسجلا مع بيان ثمنه ، لأننى أحتاج إليه فى بعض البحوث العاجلة .

ومن هنا يحييكم الجميع وتحياتى لكم إلى اللقاء

العقاد

١٩٥٩/٦/٢٠

اخي السيد احمد

في سعة البحر وسعة الوقت مجال - على ما ارجو
لقضاء ايام العيد وايام الراحة والاستعداد للعمل
النافع ان شاء الله

وعندنا هنا متسع من تقيظة الشريف يوازن
السعة في بحار العالم اجمع ، ودع عنك البحر الابيض
المسكين . !

لعلك تعثر بكتاب !

Oxford Companion to French Literature

في بعض مكتبات الاسكندرية . فان وجدته فارجو
ان ترسله مسجلا مع بيان ثمنه ، لانني احتاج
اليه في بعض البحوث العاجلة "

ومن هنا تحيتي للجميع وتحياتنا لكم الى
اللقاء "

العقاد

١٩٥٩/٦/٢٠

الرسالة السادسة

١٩٥٩/٧/١٦

أخى السيد أحمد

وصل خطابكم فى موعده – مع تقدير الفرق الضرورى وهو يومان على الأقل – واطلعت على المقتبسات ووجدت بها فائدة للبحث الخاص بالكواكبى وإن لم تكن هى الفائدة المبحوث عنها ، ويمكن الآن أن نصرف النظر عن ذلك البحث إلى أن يتيسر الحصول على الكتاب بعنوانه الكامل

– قرأت فى ملحق التيمس عن كتاب :

Living Faiths by Zaehner

وهو موسوعة موجزة أى Concise Encyclopedia ولم يصل هذا الكتاب إلى القاهرة فلعله وصل إلى اسكندرية ويتيسر لكم إرساله مشكورين .

– الشريف هنا يبدع ويحير فى إبداعه الذى لا يجرى على مثال ولا على مثاله هو ... أصلحه الله

وتحياتنا إليكم وإلى صحبكم وأرجو أن يكون الجو عندكم مشجعا على الحضور إليكم .. إذا استطيع !

العقاد

١٦/٧/١٩٥٩

اخى السيد أحمد

وصل خطابكم فى موعده – مع تقدير الشوق
الغزير وصديقه يومان على الأقل – واطلعت
على المقتبسات ووجدت بها فائدة للبحث الخاص
بالكلوانيج وان لم تكن هى الفائدة المبحوث عنها ، ويمكن
الآن ان نصرف النظر عن ذلك البحث الى ان يتيسر
الحصول على الكتاب بعنوانه الكامل

– قرأت فى ملحق التيمس عن كتاب :
Living Faiths by Zaehner
Concise Encyclopedia
وهو موسوعة مختصرة ايضا
ولم يصل هذا الكتاب الى القاهرة فلعله وصل الى اسكندرية
وتيسر لكم ارساله مشكورين
– الشريف هنا يبدع ويسير فى ابداعه الذى لا يجرى على
مثال ولا على مثال هو ... أصلحه الله
وتحياتنا اليكم والى صحبكم وارجو ان يكون الخير عندكم
متجها الى الحضور اليكم . اذا استطعنا ذلك

العقاد

الرسالة السابعة

أخى السيد أحمد

الشريف هو الذى يحمل هذا الخطاب إلى مصلحة البريد . فإذا وصل إليك بعد وصوله إلى المصلحة ، فاعلم أن عهد الخوارق والكرامات لا تزال له بقية فى منتصف القرن العشرين .

كتاب Islam in West Africa يلزمنا . وإذا كان كتاب Hume فى طبعة Pelican قد وصل فأرجو إرساله معه .

بدأت الرطوبة تسرى إلى جو القاهرة ولا نحسّها بمصر الجديدة إلاّ إذا خرجنا إلى الطريق وتعرضنا للعرق وتنفس الماء مع الهواء ، وقلما نفعل ذلك بحمد الله .

– ماعنوانكم البرقى ؟ لعلنا نحتاج إليه فى حالة الحضور المفاجئ ، وقد يحدث حيث نريد وحيث لا نريد .

سلامى إلى صحبكم وإلى السيد جلال ، وإلى اللقاء .

١٩٥٩/٧/٢١

العقاد

اخي السيد أحمد

الشريف هو الذي يحمل هذا الخطاب إلى سلطنة
البريد . فإذا وصل إليك به وصوله إلى المصلحة ،
فاعلم أن عهد الخوارق والكرامات لا تزال له بقية
في منتصف القرن العشرين

كتاب Islam in West Africa
يلزمنا . وإذا كان كتاب Hume في طبعة
Pelican قد وصل فارجو إرساله

بدأت الرطوبة تسري إلى جو القاهرة ولا نحس
بحر الجديدة الا اذا خرجنا إلى الطريق وتعرضنا
للعرق وتنفس الماء مع الهواء ، وقلما نفصل
ذلك بحمد الله

- ما عنوانكم البرقي؟ لعلنا نحتاج إليه في حالة
الحضور المفاجئ ، وقد يحدث حيث نريد وحيث لا نريد
سلامي إلى صحبكم وإلى السيد جلال ، وإلى الكل ، ؟

[signature] ١٩٥٩/٧/٢١

الرسالة الثامنة

أخى السيد أحمد

بركة « الشريف » حصلت . الكتاب Islam in West Africa وجد بالقاهرة فلا لزوم لشرائه . وقد أرسلت إليكم هذا الخطاب مستعجلا لعله يدرككم فى الأوان ، وتحياتى إليكم على الدوام .

١٩٥٩/٧/٢١ العقاد

اخي السيد أحمد

برقية الشريف ، وصلت . الكتاب
Islam in West Africa وجد بالقاهرة
فلا لزوم لشرائه . وقد أرسلت اليك هذا
الخطاب مستعجلا لعله يدرككم في الاوائل ،
وتحياتي اليكم على الدوام ؟

٢١/٧/١٩٥٩

الرسالة التاسعة

١٩٦٠/٩/٢٦

إن الشريف شريف حيثما كانا　　في بورسعيد وفى شلال أسوانا
وفى الخراطيم أو فى أم درمانا　　وثغر اسكندرٍ ، لو تم نقلانا
وتّمم الوزن من غينا إلى غانا

... هذه أبيات من وحى الشريف الردى يتبعها فراغ هو أنسب مايكون لفراغ نثره لو حصلنا عليه ، ولكننا لم نحصل عليه .

وبعد فلعلكم حمدتم من المدرسة مثل ما حمدتم على الأقل من المدينة وهو خلوّها من ضجة السيارات الضخام ، وتلك وحدها مزية تستحق المشوار .

وقد وصلت تحياتكم إلى أعضاء الندوة ولعل تحياتهم قد وصلت إليكم .. زعيقاً من الأستاذ الشوربجى وكتابة من سائر الإخوان ، ولكم من عندنا تحياتى وتحيات العقادة وسائر العقادين أجمعين أكتعين أبصعين ، آمين .

العقاد

هل يوجد فى صيدلياتكم قطع جلوكوز ؟ إن كان فأرجو أن تمدونا « بكيلو » منه .

٢٦/٩/١٩٦٠

إن الشريف شريف حيثما كانا

في بورسعيد وفي شلالنا أسوانا

وفي الأقصر طيبة أو في أم درمانا

وثغر اسكندرية [illegible]

[illegible] حيثما كانا

... هذه أبيات من قصيدة الشريف [illegible]

[illegible]

[illegible]

وبعد فلعلكم قد سمعتم من الصحف [illegible] ما سمعتم في

الوقت من [illegible] من سرقة السيارات [illegible]

[illegible] شتتت الشواهد

وقد وصلت تحياتكم إلى الأعضاء الندوة [illegible] تحياتهم

قد وصلت إليكم .. [illegible] الأستاذ الشوربجي وكتابه

من سائر الإخوان .. ولكم من عندنا تحياتي وتحيات

الصغار و[illegible] سائر الأصدقاء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الرسالة العاشرة

حضرة الأخ الشريف

وصلتم إلى بورسعيد ووصلت إلى أسوان ، وبين ثغر سعيد وثغر الصعيد قرابة جناسية تجبر خاطر الألف ميل التى تعترض بين البلدين .

– وقد فهمت من جملة أحاديث الدكتور عثمان أمين أنه لا يقترح علينا شيئاً مطلوبا منا الآن ، ولست أنوى أن أعمل شيئا من عندى لعرضه على لجنة نوبل ، وعلى هذا يحسن السكوت ، إلى أن نسمع من الدكتور عثمان شيئا جديدا يخرجنا من الصمت إلى « لا » أو نعم !

وإذا اجتمع من المختارات المنظومة أو المنثورة مايصلح للطبع على حدة باللغة الانجليزية أو الافرنسية ، أو بهما معا ، فلا ضير فى ذلك ، مع موافقة الناشرين .

– تحسنون صنعا بترجمة « صور من الذاكرة » ومعها إن استطعتم أحاديثه الإذاعية ، ولا صعوبة فى طبعها لأن الكتاب على ما أعتقد مضمون الرواج .

– الجميع من هنا يهدون إليكم السلام ، وسلام إلى اللقاء .

١٩٦١/٢/١٠ عباس محمود العقاد

حضرة الأخ الشريف

وصلتم الى بورسعيد ووصلت الى أسوان، وبين
ثغر سعيد وثغر أسعد قرابة خماسية تجبر خاطر
الألف ميل التي تعترض بين البلدين

— ولقد فهمت من جملة الحديث أنك تتصور شهادتي أنه
أنه لا يقترح علينا شيئاً يكلفنا بأننا الآن، ولست
أنوي أن أحمل شيئاً من نشدان نفوذي في كتابة شيء،
وعليه فهذا حسن السكوت، إلى أن نسمع من الدكتور
طه شيئاً جديداً يحرضنا من الرحمة الى ... ولا
ونحن !

وإذا أصبح من الحكايات المنظورة والمنشورة ما يصلح
للطبع على صدق باللغة الإنجليزية أو الإفرنسية أو بهما معاً،
فلا ضير في ذلك، مع موافقة الشريك

— تمسكون صفحاتها بترجمة "صورة التذكرة" ومعها
إن استطعتم إحداثية الأوراق، ولا صعوبة في طبعها لأن الكتاب
على ما أعتقد مشغوف الرواج

— للجميع شوقنا إليه وشاركم السلام، وسلامي الى اللقاء،

عبد السلام

١٠/٢/١٩٦١

الرسالة الحادية عشرة

١٩٦١/٣/٣

أخى السيد أحمد

من حقك أن ترضى عن بورسعيد إذا علمت أن أسوانك لم تخل هذا العام من أمطار ومن ضباب ، ولم تخل كذلك من بحر وراء السد ، ومن مفتشين !

ومن حقك - أيضاً - أن تذكر أن المواعيد قسمان : جوانية وبرانية ، ولعل نصيبك كان أكثره من البرانية ... وعليك بعد الآن أن تفرزها عند الاستلام !

.. حجزت التذاكر ليوم الثلاثاء (١٩٦١/٣/٧) وسنصل إلى القاهرة صباح الأربعاء بإذن الله ... وبعد الظهر بإذن السكة الحديد ، إلا إذا شاءت أن تتقى الله على الصبح فنصل فى الميعاد .

وفى أيام إجازة العيد نرجو أن نوفق لاستحضار - وتحضير - المختارات ، وأن ننظر فى طبع كتاب (فى بيتى) ونلحق به المختارات فى مجلد واحد ، إذا اتفقنا مع الناشرين .

- من هنا الوالدة والأهل - بلا استثناء الشريف الأكبر - يبلغونكم السلام إلى اللقاء .

عباس محمود العقاد

٢/٣/١٩٦١

أخي السيد أحمد

من حقك أن تنساني من بورسعيد إذا علمت أن أسرابك
لم تنقل هذا العام من أمطار ومن ضباب .. ولم تشتق كذلك
من جبر زوار السد . ومن شتائي !

ومن حقك - أيضاً - أن تتذكر أن السراب بيننا [illegible]
جبرانية ودبرانية ، ولعل نصيبك كان أكثر من أبرانية
... ومصيبك بعد الآن أن تتذكرنا منذ الاستقلال .

- حضرت الحفل التذكاري [illegible] (أيار/١٩٦١) ومنشور
إلى [illegible] صباح الأربعاء بإذن الله .. وبعد الظهر بأيام
السكة الحديد ، إلا إذا شاء أن تشفي الله على الرماح
فنحن في القطار

وفي أيام إجازة السيد [illegible] نود لو نستشار
- وتحضير - المحاضرات ، وأن ننظر في [illegible] وفي
بيتي ، وتلتحق - المحاضرات في [illegible] ، إذا انتقلنا
مع الناشرين

- من هنا الوالدة والأهل - بلا استثناء - الشريف
الأكبر - يبلغونكم السلام إلى اللقاء .

[illegible]

الرسالة الثانية عشرة

حضرة الأخ السيد أحمد

الطريقة المثلى مع أحمد حمزة :

(١) أن نعلن عن خبر وفاته

(٢) أن نقنعه بإثبات الخبر عمليا

ولكننا لا نعلن عن الخبر ولا هو يقتنع بإثباته .

فالطريقة الأمثل من المثلى أن نتركه على علاته ، وعلاته لا تبرأ إلاّ بعلات أخرى ، ولا انتهاء إلا فى النهاية العظمى – يرحمه الله .

– ترد إلينا أخبار منزل العقادة على فترات كفترات الوحى ولا ندرى متى نصل إلى خاتم الرسل ... ولعله موعد قريب

– ولم أتلقّ – بعد – جوابا من الأستاذ العروسى عن الكتب العربية فى مجموعة الدعوة إلى المعرفة . وسأبلغك بما يصل إلىّ فى حينه .

وسلام إلى اللقاء

١٩٦١/٣/٢٧ عباس محمود العقاد

حضرة الأخ السيد أحمد

الطريقة المثلى مع أحمد حمزة :

(١) أن نعلن عن خبر وفاته

(٢) أن نقنعه بإثبات الخبر عمليا

ولكننا لا نعلن عن الخبر ولا نحن نقتنع بإثباته . فالطريقة الأمثل من المثلى أن نتركه على علاته ، وعلاته لا تبرأ إلا بعلات أخرى ، ولا انتهاء إلا في النهاية العظمى — يرحمه الله

— ترد إلينا أخبار منزل العقاد على فترات كفترات الوحي ولا ندري متى تصل إلى خاتم الرسل .... ولعله موعد قريب

— ولم أتلق — بعد — جوابا من الأستاذ العورك عن الكتب العربية في مجموعة الدعوة إلى المعرفة . وسأبلغك بما يصل إليّ في حينه

والسلام إلى اللقاء ؟

[illegible]

٢٧/٢/١٩٦١

الرسالة الثالثة عشرة

١٩٦١/١٢/١٧

أخى السيد أحمد

وصل إلى خطابكم وعلمت منه مصدر الخطأ فإذا هو « تنويعة » من الأخطاء الدائمة بشتى الأسماء ، ومنها حل المشكلات جميعاً بالتأجيل والإخفاء ، إلى أن تظهر فى غير الوقت المناسب صدمة مفاجئة يتعذر الاحتيال لها عند ظهورها . وقد يكون الاحتيال لها ميسورا لو أنها ظهرت قبل ذلك ... وقد كان ذلك ميسورا فى غير شهر ديسمبر الذى ينتهى عنده حساب الموارد وحساب الضرائب ولا يتسع فيه الوقت للارتباط بعمل جديد فيه مورد جديد .

– مع هذا شيك على بنك مصر فى أسوان بمبلغ خمسين جنيها باسم السيد أحمد ، لتسليمه إلى المقاول . مع الاستعجال فى صفقة الأرض بالرمادى وتحصيل المتأخر من دخلها ، وحسابه عند أخينا الشيخ عبد ربه أبى بكر ، ولعلكم توفقون لموالاة السعى عندهم جميعاً للإنجاز السريع واجتناب العودة إلى سياسة التأجيل والإخفاء .

– لم يتيسر حجز مكانين للعقادة ومحاسن لأن الأماكن مشغولة إلى العاشر من شهر يناير ، فإذا كان رستم سيحضر قريبا فقد يتيسر تدبير المكان عند عودته ، ولعله يعلم موعد حضوره إلى القاهرة ولو على وجه التقريب .

تحياتى إليكم وإلى إخواننا السادة مرغنى ودرويش وعبد المنعم فى انتظار أخباركم عما يتم فى مسألة هذا البيت السعيد .

عباس محمود العقاد

١٩٦١/١٢/١٧

اخي السيد احمد

وصل الي خطابكم وعلمت منه مصدر الخطأ فاذا هو تنويعة
من الاخطاء الدائمة بشتى الاسماء ، ومنها حل المشكلات جميعا
بالتأجيل والاخفاء ، الى ان تظهر في غير الوقت المناسب [illegible]
مفاجئة يتعذر الاحتيال لها عند ظهورها . وقد يكون الاحتيال لها ميسورا
لو انها ظهرت قبل ذلك ... وقد كان ذلك ميسورا في غير شهر ديسمبر
الذي ينتهي عنده حساب الموارد وحساب الضرائب ولا يتسع فيه الوقت
للارتباط بعمل جديد فيه موارد جديدة
— ومع هذا شيك على بنك مصر في اسوان بمبلغ خمسين جنيها باسم
السيد احمد لتسليمه الى الشاعر . مع الاستعجال في صفقة الاردن
بالزيادة و تحصيل الشاعر فرش دخلها ، وحسابه عند ابتدائنا [illegible]
ان نكبر ، ولعلكم تعرفون لموالاة السعي عندكم جميعا للابناء
السبيل راغبنا الى العودة الى سياسة التأجيل والاخفاء
— لم يتيسر حجز مكان في القطار للسفر لان الاماكن مشغولة
الى السابع من شهر يناير ، فاذا كان يستطيع سيحضر قريبا فقد تيسر
تدبير الآن عند عودته ، ولعله يعلم موعد حضوره الى القاهرة
ولو في وجه التقريب
تحياتي اليكم والى اخواننا السيد وجمال ودرويش و[illegible]
في انتظار اخباركم كما تهم في مسألة هذا البيت السعيد

[illegible]

الرسالة الرابعة عشرة

١٩٦١/١٢/٢٢

حضرة الأخ السيد أحمد

تحياتى إليكم وإلى أفراد الأسرة والإخوان أجمعين

وبعد تذكيركم بأن متاعب البواسير حالة استثنائية فى فصل الشتاء قد تحتمل فيما بعده أعود فأذكر لكم من تجاربى عنها أننى لم أسمع اعتراضا على إجراء عمليتها إلاّ فى حالة واحدة : وهى حالة ارتفاع الضغط والاستفادة من نزيفها الذى يطرأ حينا بعد حين فى تخفيفه ووقف آثار الضغط على البنية ، فإذا لم يكن هناك نفع لها فى مثل هذه الحالة – مع عدم احتمالها – فالعملية علاج صالح ، بل لعله أصلح من المسكنات والاحتيال عليها بمعالجة الإمساك وإرهاق الجسم بالأدوية والعقاقير التى تهوّن ضغطه على جهاز الهضم والأمعاء . ولا يبقى بعد ذلك من سبب للمراجعة والتردد إلا بمقدار مايلزم للتحقق من قدرة الجراح الذى يباشر إجراء العملية . مع العلم بأنها عملية لا تحتاج إلى الطراز الأول من الجراحة . فإذا وثقتم بجرّاحكم فى أسوان فتوكلوا على الله ، وإذا فضلتم القاهرة فليست هى ببعيد . وأرجو على كل حال أن تغنيكم الراحة منها عن كبار الجراحين وصغارهم وعن مستشفيات القاهرة والصعيد .

العقاد

١٩٦١/١٢/٢٢

[illegible]

حضرة الأخ السيد أحمد ×٧

تحياتي إليكم وإلى أفراد الأسرة والإخوان جميعاً

وبعد تذكيركم بأن متاعب البواسير حالة
استثنائية في فصل الشتاء، قد تحتمل فيها بعده
أعود فأذكركم من تجارب عنها أنني لم أسمع امتداحا
على إجراء عمليتها إلا في حالة واحدة: وهي حالة ارتفاع
الضغط والاستفادة من نزيفها الذي يطرأ حينا بعد
حين في تخفيف وتخفف آثار الضغط على البنية، فإذا
لم يكن هناك نفع لها في مثل هذه الحالة - مع عدم احتمالها
فالعملية للعلاج صالحة بل لعلها أصلح من المسكنات والأغشية
عليها بمعالجة الأساس وإلحاق الجسم بالأدوية والعقاقير
التي تقوى ضغطه على جهاز الهضم والأمعاء. ولا يبقى بعد
ذلك من سبب للمراجعة والتردد إلا بمقدار ما يلزم للثقة
من قدرة الجراح الذي يباشر إجراء العملية. مع العلم بأنها
عملية لا تحتاج إلى الطراز الأول من الجراحة. فإذا وثقتم
بجراحكم في أسوان فتوكلوا على الله. وإذا فضلتم القاهرة
فليست هي ببعيدة. وأرجو على كل حال أن تغنيكم الراحة عنها.

الرسالة الخامسة عشرة

١٩٦٢/١٠/٣

أخى السيد أحمد

تحياتى إليكم وأرجو أن تكون راضياً عن جو أسوان مرضيا عنه منكم ، ومرضيا عنك منه ، على السواء . أما نحن والجو هنا فعلى خلاف متبادل بحمد الله

– ومع هذا إذنان بريديان لحساب الأدوية التى وصلت فى حينها ، لأننى لم أحمد تجربة التاكسون الممزوج بالنعناع ، ولا نود أن تكون تجربة إرسال الدواء من أصحابكم « بيضة ديك » بغير تكرار

– السلام إلى الجميع ولا سلام لشكسبير الصعيد مع إبلاغه ذاك مضافاً إليه التوكيد تبرعاً منكم .

والسلام مرة أخرى فى الختام .

العقاد

٣/١٠/١٩٦٢

أخي السيد أحمد

تحياتي الحميمة وأرجو أن تكون راضياً عن جعفر
سواء مرضياً عنه منكم، ومرضياً منك عنه،
حتى الآن. أما نحن والحمد لله فعلى خلاف ما يتبادر
بحمد الله

— ويعز علينا أن زمان بريدنا ليس بالاستقرار رتيب
وصلت في صيف الانسان لم أجد تجربة الشاي السوف الممزوج
بالنعناع، ولا نود أن تكون تجربة ارسال الدواء
من احدى ابكم، بحيث ذلك لا نعيد تكراره

— السلام الى الجميع ولا سلام شكر الى السعيد
حتى ابلاغه ذلك من فضائله التركية ببركاتكم،
والسلام مرة أخرى في الختام، الشاذلي

الرسالة السادسة عشرة

حضرة الأخ السيد أحمد

تحياتى إليكم وإلى الأسرة والإخوان ، مع استثناء الشريف التائه ، إن وجدتموه
وقد أرسلت إليكم اليوم بالبريد المسجل كتاب « أثر العرب فى الحضارة الأوربية » المترجم إلى الانجليزية .

وتسلمت اليوم علب البولدولاكسين الست شاكراً لكم وللإخوان الذين استجابو لطلبكم ، ومع هذا إذن - أو حوالة - بمبلغ جنيهين لحساب الدواء ، لأننى أكتب هذا الخطاب وأرسله مع أبى حميد قبل أن نتحقق من وجود الأذونات بمكتب البريد .

وأكرر لكم التحية والسلام على الدوام

١٩٦٣/٣/١٠ العقاد

حضرة الأخ السيد أحمد

تحياتي إليكم وإلى الأسرة والإخوان، مع استشفاء
الشريف التامة، ان وجدتموه

وقد أرسلت إليكم اليوم بالبريد المسجل كتاب "أثر
العرب في الحضارة الأوربية" المترجم إلى الإنجليزية

وتسلمت اليوم طلب البوليصة ولكنني است شاكرا
لكم وللإخوان الذين استجابوا لطلبكم، ومع هذا أذن
- أو حوالة - بمبلغ خمسين جنيها ثمن الدواء، لأنني أكتب
هذا الخطاب وأرسله مع أبي حميد قبل أن نتحقق من
وجود الأذونات بمكتب البريد

وأكرر لكم التحية والسلام على الدوام

العقاد

١٠/٢/١٩٦٢

الرسالة السابعة عشرة

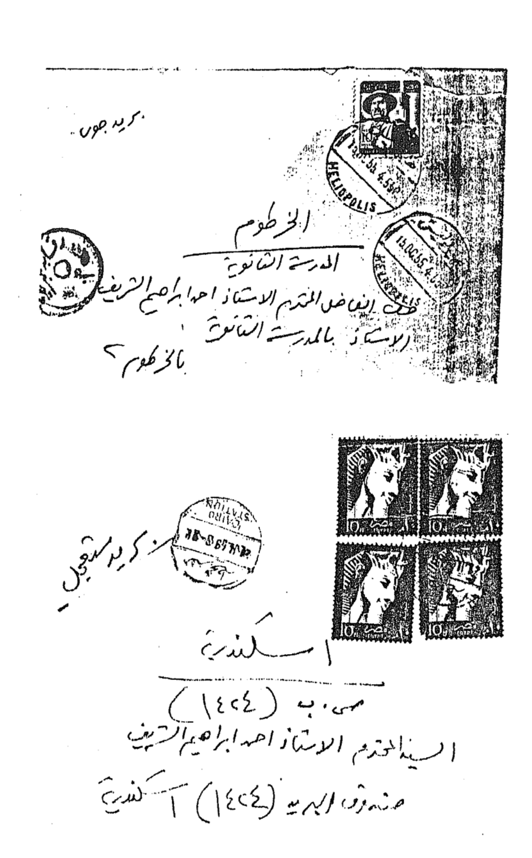
(بطاقة تهنئة بالعيد) [*]

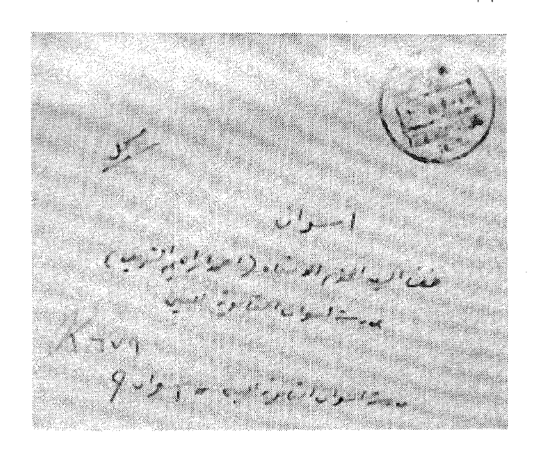
تهنئة للجميع إلاّ ... وشكراً للجميع إلاّ
ولعنةً لإلاّ .. دون الجميع

عباس محمود العقاد

تهنئة للجميع الا .... وشكرا للجميع الا
ولعنة لالا .. دون الجميع
عبّاس محمود العقاد

(*) بدون تاريخ .


بريد جوي
HELIOPOLIS
الخرطوم
المدرسة الثانوية
حضرة الفاضل المحترم الاستاذ احمد ابراهيم الشريف
الاستاذ بالمدرسة الثانوية
بالخرطوم
CAIRO STATION
بريد مسجل
اسكندرية
ص . ب (١٤٢٤)
السيد المحترم الاستاذ احمد ابراهيم الشريف
صندوق البريد (١٤٢٤) اسكندرية



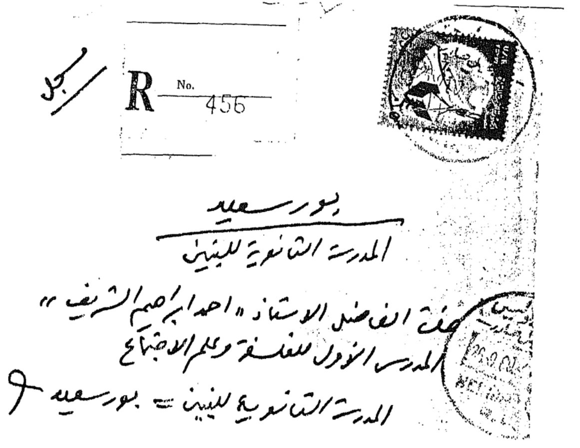
مسجل

أسوان

حضرة المحترم الأستاذ (احمد ابراهيم الشريف)

مدرسة اسوان الثانوية بنين

مدرسة اسوان الثانوية بنين = أسوان



مسجل

R No. 456

بورسعيد

المدرسة الثانوية للبنين

حضرة الفاضل الاستاذ "احمد ابراهيم الشريف"

المدرس الأول للفلسفة وعلم الاجتماع

المدرسة الثانوية للبنين = بورسعيد

رسالة إلى
الدكتور عبد الفتاح الديدى




العقاد هيجليًا

[كان العقاد قد بدأ حياته الفكرية والأدبية هيجليا مفرط الهيجلية ، وحرص أشد الحرص على أن يبشر بفكر جديد مؤسس على منظور لم تعرفه العقلية العربية فى معظم فترات تاريخها الطويل ، هذا المنظور هو المنظور الشمولى الذى لا يقتصر على الرؤية المجتزأة أو على الجزئيات المستقلة، ويحرص على ربط الظواهر بحقائق الكون وحوادث الوجود برمّته .

وهذا النظر لا مجافاة فيه للواقع عند العقاد ، بل هو الذى يوسع الواقع ويمتد بحدوده إلى آفاق أبعد من الآفاق الضيقة المحصورة .

... ...

والخلاصة أن العقاد قد أعمل ذهنه فى مبادئ الفلسفة الهيجلية بعامة وفى فلسفته الجمالية بخاصة ووقف مؤيداً الكثير من جوانبها ... واستطاع أن يقدم لنا رأيه وفلسفته وكأنها كيان مستقل قائم بذاته وموقف خاص به ، وأدى ذلك فى النهاية إلى أن العقاد استطاع أن يقف على قدميه إزاء الهيجلية وأن يحدد الفوارق والاختلافات بينه وبينها] .

د. عبد الفتاح الديدى

(مجلة الهلال ، فبراير ١٩٦٩)

الرسالة

عزيزى الأستاذ الديدى

تحية لكم وشكراً على اهتمامكم وتنويهكم بما أكتب ، وأرى أنكم خير من يترجمه بلغة القيم الوجدانية التى لا تفهم هذه الموضوعات بغيرها ، فإنها لم تخلق لمن يقيسها بمقياس الحساب أو المنطق أو وقائع الحسّ الحيوانى ، ومن قاسها بهذا المقياس لاجرم يحصى عليها الخطأ الكثير ، ولاخطأ إلاّ فى مساواته بين الحقائق حيث لا مساواة .

إننى لا أقدّر الصواب فيما أكتبه عن عبقرية المسيح وما إليها إلاّ بمقدار القيم الوجدانية ، مثلها فى ذلك مثل الجمال والحب والبلاغة والأخلاق المثلى : وجهٌ واحدٌ جميل يساويه فى حساب الجمع والطرح ألف وجهٍ دونه فى درجة الجمال ، ولكنه فى درجات القيم يزيد فى قيمته على الملايين ، ولا يغنى عنه كل مادونه من وجوه .

وصواب العقائد كصواب الأذواق فى هذا التقدير : فيها بالحساب خطأ كثير ، ولكنه خطأ لأنه يقاس بغير مقياسه الصحيح ، وينظر إليه الناظر كأنه قضية عيان أو قضية برهان .

ولا أحسب أننى توخيت فى الاستشهاد بآيات القرآن الكريم فى كتاب عبقرية المسيح خطّة غير الخطة التى أتحرّاها فى غيره من الكتب . إلاّ أن يكون الاستشهاد هنا ألزم للدلالة على وجهة النظر الإسلامية فى مرجعها الأصيل .

أرجو لك كل توفيق وفلاح ، وأكتب إليك هذا وأنا على أهبة السفر إلى أسوان لقضاء أسبوعين أو ثلاثة فيها ، ثم أعود إلى القاهرة خلال الأسبوع الأول من شهر مارس بمشيئة الله .

المخلص

عباس محمود العقاد

١٩٥٦/٢/٧

المصدر : عبد الفتاح الديدى ؛ عبقرية العقاد ، سلسلة « مذاهب وشخصيات » العدد ١١٥ ، مايو ١٩٦٥ ، ص ١٤٤ – ١٤٥

عزيزي الأستاذ الدريدي

تحية لكم وشكرا على اهدائكم وتشريفكم بالكتب، وأرى
أنكم حين [illegible] يتحدث بلغة القيم الوجدانية التي لا تفهم
هذه الموضوعات بغيرها، فإنما لم تتحقق لنا [illegible] جميعا في
الحب أو المتعة أو [illegible] الحس الجمالية، و[illegible] بها بهذا
القياس لا جرم تتفق فيها النظرة كثيرا، ولا خطأ إلا في
مساواته بين الحقائق حيث لا مساواة

إنني لا أقدم الصواب فيما أكتبه عن [illegible] [illegible]
إلا بعقد القيم الوجدانية، مثلها في ذلك مثل الجمال والحب
والعدالة والأخلاقيات المثلى، [illegible] جميل [illegible]
[illegible] الجميع والسطح [illegible] [illegible] الجمال [illegible]
[illegible] درجات القيم يزيد في قيمته على الدرجات [illegible]
كل ما دونه من وجود

وصواب القضايا كصواب الأذواق في هذا التقدير
فيها بالحب خطأ كبير، ولكنه خطأ لا بد منه [illegible]
الصحيح [illegible] [illegible]
ولا أحسب أنني توجهت في الاستشهاد [illegible]

ولكني حين كتبت عبقرية المسيح عطلت فيه افكار التقارب [illegible]
اتجاهات في كثيره من الكتب ، الا انه يكون بالاستشهاد
بينما [illegible] للدلالات على وجهة النظر الاسلامية في موضوع
الاصيل

اما الآن فقد عدت كما تريد وفلاح [illegible] واكتب اليك هذا
وانا على اهبة السفر الى اسوان لقضاء اسبوعين او
ثلاثة شهور ثم اعود الى القاهرة خلال الاسبوع
الاول من شهر [illegible] العام [illegible]

المخلص

[illegible]

١٩٥٦/٢/٥

التعليق على الرسالة

ذكر الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الديدى فى كتابه « عبقرية العقاد » المناسبة التى تلقّى فيها هذه الرسالة من أستاذه الكبير ، وهى كما جاء فى صفحة ١٤٤ من كتابه المذكور :

« فى يناير سنة ١٩٥٦ فى أثناء دراستى للفلسفة فى باريس أرسلت إلى العقاد خطاباً أنبئه فيه أننى قد قمت بإلقاء عدّة محاضرات على لفيف من الأدباء والمثقفين. وأخبرته أن هذه المحاضرات قد تناولت أدبه وفكره من وجوه مختلفة . وكانت السيدة الأديبة الفرنسية مدام بينار قد أعطتنى هذه الفرصة فى ندوتها الأدبية بحىّ سان جرمان بباريس حتىّ أُطْلِع الأدباء الفرنسيين على الاتجاهات الحقيقية فى الأدب المصرى المعاصر . ووجدت أن هذه الفرصة قد تكون صالحة لتقديم عرضٍ شامل لكتاب العقاد عن المسيح ، فأشرت فى كتابى إليه بعزمى ذاك وطلبت إليه أن يفيدنى بما يراه موافقاً لهذه المناسبة ومايصح التنبيه إليه وتوكيده لدى المستمعين الفرنسيين ، فكتب إلىّ الخطاب التالى » . (ثم أورد نص الخطاب كما أثبتناه) .

وقد علّق الدكتور الديدى على هذه الرسالة التى وصفها - بحقّ - بأنها وثيقة من أهم ماكتب العقاد فى حياته ، فتناولها بالتفسير والتحليل ، وأشار إلى مضامينها القريبة والبعيدة ، فأحسن التعبير عنها بفهمه الواعى وأسلوبه المباشر الواضح ، ولسنا نجد فى التعليق على الرسالة خيراً ممّا علّق به الدكتور الديدى نفسه حيث يقول :

« فى الخطاب فكرتان رئيسيتان : أولاهما هى التى وردت فى آخر الخطاب ، وهى التى سبق أن كررها العقاد فى جملة مناسبات ، فالعقاد قد استنّ سنّةً فى كتابته عن أشهر العبقريات الإسلامية وهى أنه يسجّل مواقف هذه العبقريات دون استنادٍ إلى شواهد من القرآن . فهو يريد أن يتقدم بكتبه عن الشخصيات الإسلامية إلى كل إنسان وإلى أى إنسان ، فى الأسلوب الذى يقبله العقل ولا يرفضه المنطق . ولا يأخذ العقاد دليلاً من القرآن على صدق مايقوله عن محمد ، وإنما يود أن يطّلع

عليه أى إنسان فيسلّم بما فيه لسبب آخر غير كونه من أبناء المسلمين المؤمنين بكتاب الله . إنه يخاطب القارئ من أى دين ومن أى فئة ، « وإنه لنافعٌ للمسلم أن يقدر محمّداً بالشواهد والبّينات التى يراها غير المسلم فلا يسعه إلاّ أن يقدرها ويجرى على مجراه فيها .. لأنّ مسلماً يقدّر محمّداً على هذا النحو يحب محمداً مرتين : مرةً بحكم دينه الذى لا يشاركه فيه غيره ، ومرة بحكم الشمائل الإنسانية التى يشترك فيها جميع الناس » .

فالعقاد لم يستشهد بكتاب الله فى توضيحه للمواقف المحمدية لأنه أراد أن يعالج الموضوع على مستوى إنسانى عام . أما فى كتابه عن المسيح فقد جاء بآيات من القرآن على خلاف سنّته . وقصده من ذلك هو بيان التفسير الإسلامى لشخصية المسيح . وكأنما أراد العقاد أن يقول إنه قد يبدو فى كتابه عن المسيح بعض الاختلاف عن المنهج الذى اتّبعه ، ولكن الضرورة التى ألزمت هذا التغيير هى الحاجة فى هذا الكتاب عن المسيح إلى بيان موقف الإسلام من المسيح وكيف يرى الإسلام حقيقة المسيح .

أما الفكرة الرئيسية الثانية فهى التى وردت بأول الخطاب ، فهو يريد أن يقول إن العلم يختلف عن الفلسفة وأن الفلسفة تختلف عن الدين ، ولكل من الدين والعلم والفلسفة مقاييس خاصة لا تختلط بمقاييس سواه ، وإذا حكمت مقاييس العلم عند نظرك فى أمر الدين تبينت لك فيه أخطاء جسام ، وإذا رجعت إلى مقاييس الدين فى نظرك إلى مبادئ الفلسفة وجدتها لغواً وعبثاً .

ويستطرد الدكتور الديدى قائلاً :

« وهناك أمور لا مرجع فيها لغير القيم الوجدانية ، ومثل ذلك موضوعات الجمال والحب والبلاغة والأخلاق المثلى . فإذا جعلت مقياسك فى هذه المسائل إلى جانب المنطق والحساب لم تعدُ أن تخطئ فيها خطأً من يقرب المشاكل بغير وسائلها . والحقيقة الواحدة فى أى فرع من الفروع التى أشار إليها ليس لها تقدير صحيح مهما بلغنا من النظر والتأمل ، لأن الحقيقة التى لا بديل منها لا حساب لها فى عالم التقدير ، وإنما هى فوق كل تقدير ، ومهما قلنا فى تقديرنا لهذا الشئ الذى لا بديل عنه فهو نوع من التقريب وليس فيه أى تحديد للقدر الصحيح .

ونظرة العقاد هذه فلسفية عميقة ، فالعقائد عنده شأنها شأن مسائل الذوق

جميعاً ، إذا طبقت عليها قاعدة حسابية وإذا أخضعتها لضرورات المشاهدة والبرهان بدا فيها خطأ كثير ، ولا ينتج هذا الخطأ عن طبيعة العقائد والأذواق ، وإنما ينتج عن المقاييس الغريبة التى فرضتها فى غير مكانها . ويستدعى البحث فى هذه الأبواب الرجوع إلى غير مايتطلبه العلم التجريبى أو نظريات المعرفة أو مباحث المنطق الصارم ، يستدعى البحث فيها أن ترجع إلى المقاييس التى تخص كلاً من العقائد والأذواق وما يتفق وحقيقتها فى عالم الوجدان والشعور » (١) .

* * *

---

(١) عبقرية العقاد ؛ ص (١٤٥ - ١٤٦)

رسالة إلى
الأستاذ محمد خليفة التونسى
(١٩١٥ - ١٩٨٨)

أخى السيد خليفة

إن الله يعلم أن مفارقة الأعزاء مشهد لا أطيقه ، ومن لطف القضاء أن أفارق البلد - أو أعتزلها - قبل فراقهم ، وهكذا كان فراق الوالدة والشقيق ، وفراق حسين همت وحافظ جلال - وإنه لَلُطفٌ فى القضاء ، وإن يكن قضاء الموت لا حيلة فيه .

- إذا اتّسع وقتكم فأرجو أن تكتبوا للسيد العراقى بما فحواه أننى مسافر وسأعود بمشيئة الله بعد أسابيع .

- وأذكركم : بجعفر الصادق وكتبه ، ولعلكم فى سبيل الوصول إليها .

- سلامى إلى السيد تيمور والسيدة والدته والآنستين شقيقتيه ، وتحياتى إليكم على الدوام .

عباس محمود العقاد

١٩٥٨/٢/١١

أرجو إرسال نسخة من كتابى عن فرنسيس باكون طبع دار المعارف . وراجعوا صفحاتها لأننى وجدت أن بعض النسخ فيها ملزمة ناقصة (*) .

المصدر : كتاب « العقاد ، دراسة وتحية » ، مقال « رسائل العقاد » بقلم تيمور خليفة التونسى ، صفحة (٢٤٦)

(*) كتبت هذه الحاشية فى الركن الأعلى من الصفحة على يسارها .

يحول يسجل



مصر

كوبري القبة

حضرة الفاضل المحترم الاستاذ محمد خليفة التونسي

بالمنزل (١٥) شارع العفيفي

كوبري القبة = مصر

ارجو ارسال نسخة
من كتابي عن فرنسيس باكون
طبع دار المعارف . وراجعوا
صفحتي كل لانني وجدت ان
بعض النسخ فيها ملازم ناقصة

أخي السيد خليفة

ان الله يعلم ان مفارقة الاعزاء تشبه الاحتضار
ومن لطف القضاء ان افارق البلد - او اعتزلها -
قبل فراقكم . وهكذا كان فراق الوالدة والشقيق
وفراق حسن صمت وحافظ جلال . وانه للطف
في القضاء . وان يكن قضاء الموت لا حيلة فيه

- اذا اتسع وقتكم فارجو ان تكتبوا للسيد
العراقي بما فعلوا وانني مسافر وسأعود بمشيئة
الله بعد اسبوع

- واذكركم بجمع الصادق ... وكتبه . ولعلكم في
سبيل الوصول اليها

- سلامي الى السيد تيمور والسيدة والدته
والآنسة شقيقته ، وتحياتي اليكم مع
الدوام ،

[illegible]

١٤/٢/١٩٥٨

التعليق على الرسالة

كان الأستاذ محمد خليفة التونسى فى طليعة أبناء الجيل الثانى من تلاميذ العقاد ، بدأت صلته به كما يقول قارئاً لمقالاته وحافظاً لشعره فى سنة ١٩٢٧ ، واتصل به شخصيا فى القاهرة منذ سنة ١٩٣٢ ، وتوثقت صلته به بعد ذلك مؤيدا له فى جهاده الأدبى والسياسى . واصطفاه العقاد وخلطه بنفسه وكان فى بعض السنوات يستخلفه فى الإشراف على بيته فى القاهرة كلما سافر إلى مشتاه فى أسوان أو إلى مصطافه فى الاسكندرية .

وقد أخذ الأستاذ خليفة نفسه بتقديم أدب العقاد وتيسيره للقراء فأصدر كتابه الحافل بعنوان « فصول من النقد عند العقاد » جمع فيه معظم ما كتبه العقاد فى هذا المجال ، مع تعليقات وشروح وافية ، وشرع فى إظهار « المكتبة العقادية الصغيرة » فلم يتيسر له أن يخرج منها غير كتاب « تذكار جيتى » وسمّاه عبقرية جيتى ، وقدم لكتاب الصهيونية العالمية بمقدمة ضافية شارحة ، كما أشرف على إصدار كتاب « العقاد دراسة وتحية » بأقلام طائفة من تلاميذ الأستاذ فى مناسبة بلوغه السبعين . وتوفّر سنواتٍ على اختيار « أقباسٍ من شعر العقاد » ، فسبقه العقاد إلى إصدار « ديوان من دواوين » وأهدى إليه نسخته منه بهذا الإهداء الطريف : «إلى السابق المسبوق فى إظهار هذا الديوان ، وله الفضل سابقاً ومسبوقاً » .

وتوفى العقاد فرثاه التونسى بقصيدة مطولة فى نحو مائتى بيت أو يزيد . ولم تطب له الإقامة فى مصر بعد وفاة أستاذه فارتحل ليعمل فى العراق فترة ، ثم استقر فى الكويت سكرتيراً لتحرير مجلة « العربى » الشهيرة لعدة سنوات وظل بها حتى وافته المنية هناك ، رحمه الله .

رسالة إلى
الأستاذ أحمد محمود العقاد
(شقيق العقاد)

حضرة الأخ

تحياتى إليكم وإلى جميع الأهل والأقربين ، ورجائى أن تكونوا جميعاً على أحسن حال وأوفر بال .

تفضّل السيد المحافظ (محمد عزت سلامة) بالتحدث إلىّ لمناسبة سفره إلى أسوان . فأرجو أن تقابلوه عند وصوله محيين باسمكم واسمى ، على موعد بزيارته إن شاء الله عند قدومى إليكم .

– مع هذا حوالة بمبلغ عشرين جنيها تسدد منها المبالغ المطلوبة للبلدية (وثلاثة لحساب الآنسة العمشة وشركاها) وجنيهان للقراءة والصدقة .

– بإذن الله ننوى الحضور إليكم فى منتصف يناير بعد الفراغ من تسجيل أحاديث التلفزيون لشركة أرامكو .

وأكرر لكم التحية والسلام .

١٩٦١/١٢/٦ عباس

المصدر : من أوراق صديقنا الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف الخاصة .

حضرة الأخ

تحياتي إليكم وإلى جميع الأهل والأقربين، ورجائي
أن تكونوا جميعاً على أحسن حال وأرغد بال

تفضل السيد المحافظ (حمدي عزت سلامة) بالتحدث إلي
بمناسبة سفره إلى أسوان: فأرجو أن تقابلوه عند
وصوله مرحبين باسمكم واسمي، على موعد بزيارته
إن شاء الله عند قدومه إليكم

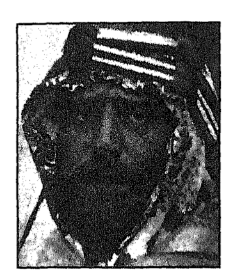
- معي هنا مبلغ عشرين جنيهاً تسددونها للمبالغ
المطلوبة للبلد (وثلاثة جنيه الأثاث العشرة وتوابعها)
ومجموعات للقراءة والصدقة

- بإذن الله ننوي الحضور إليكم في منتصف يناير [illegible]
[illegible]،
وأكرر تحياتي والسلام

[signature]

٦/١٢/١٩٦١

رسالة إلى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس (*)
(١٨٨٤ - ١٩٧٩)





الدكتور جرمانوس

في لباسه العربي وفي لباسه الإفرنجي

(*) انظر ترجمته في :

- المستشرقون لنجيب العقيقي (٣/٩١٠)

الرسالة

حضرة العلامة الفاضل :

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

حفظه الله

تحياتى إليكم وشكرى لعنايتكم بعملى الأدبى الذى تفضلتم فاعتبرتموه مساهمة مذكورة فى خدمة الأدب العربى ، وقد أرسلت إليكم مع هذا آخر صورة شمسية ظهرت فى هذه الأيام وأرجو أن أتلقى من آثاركم النفيسة ماتنوون إصداره متمنيا لكم دوام الصحة والعافية والتوفر على إمداد الثقافة النافعة بعملكم المتّصل إن شاء الله

١٩٦٢/٣/٣ المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر : كتاب « تاريخ الأدب العربى » (أمام صفحة ٢٥٦) للمستشرق المجرى المسلم جيولا (يوليوس) جرمانوس الذى تسمى بعد إسلامه باسم الحاج عبد الكريم جرمانوس .

AZARAB IRODALOM TORTENETE.

GERMANUS GYULA - 1962.

حضرة العلامة الفاضل :

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

حفظه الله

تحياتي إليكم وشكري لعنايتكم بعملي الأدبي الذي
تفضلتم فاعتبرتموه مساهمة مذكورة في نهضة الأدب العربي ،
وقد أرسلت إليكم مع هذا آخر صورة شمسية ظهرت في
هذه الأيام وأرجو أن ألتقي من آثاركم النفيسة ما
تنوون إصداره متمنيا لكم دوام الصحة والعافية والتوفر
على إمداد الثقافة النافعة بعملكم المتصل إن شاء الله

المخلص

عباس محمود العقاد

١٢/٢/١٩٦٢

Mahmud Abbász al-Aqqád levele a szerzőhöz

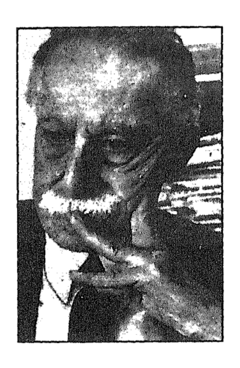
التعليق على الرسالة

كان المستشرق المجرى المسلم الحاج عبد الكريم جرمانوس يزور مصر كثيراً ، وكان على صلةٍ طيبة بكثير من الأدباء والكتاب فيها ، وله معهم مراسلات عديدة . وقد أصدر فى سنة ١٩٦٢ كتابه « تاريخ الأدب العربى » باللغة الهنغارية ترجم فيه لنخبة من الأدباء والشعراء العرب القدامى والمعاصرين ، منهم الأستاذ العقاد الذى أورد له ترجمة موجزة عدّد فيها جملةً من مؤلفاته .

وقد كان الحاج عبد الكريم جرمانوس ؛ على الرغم من اتصاله الشخصى بالعقاد والتقائه به أكثر من مرة ؛ لا يصحح أحياناً اسم العقاد ، فيسمّيه فى كتابه « محمود عباس العقاد » . ومثل هذا الوهم كان يقع كثيراً فى كتابات بعض المستشرقين وكتّاب الصحافة الإفرنجية فى مصر ، وسبقهم إلى ذلك الأب لويس شيخو فى كتابه « الآداب العربية فى الربع الأول من القرن العشرين » (بيروت ١٩٢٦) ، إذْ سمّاه مرّة عباس محمد العقاد وأخرى محمود عباس العقاد !

* * *

رسالة إلى
الأستاذ توفيق الحكيم (*)
(١٨٩٨ - ١٩٨٧)



[.. من الفصل الأول أدركت أن الأستاذ العقاد لديه ما يقول ، وأن الكلام الذى عنده يرغمنا على أن نصغى إليه ، وأن كل ماعرف من قبل عن النبى محمد لن يغنينا عما عند العقاد .. لأن العقاد قد درس وفكر واستنتج لنفسه ، ثم صنع للنبى صورة لايمكن أن نرى نظيرها على هذا التمام فى صفحات مثل صفحات كتابه .. إنه لم يكتب سيرة كما فعل الذين سبقوه ، ولم يَرْوِ لنا قصة ، ولم يسرد تاريخاً ، ولو أنه فعل ماكان قد أتى بجديد ، ولكنه رسم ملامح وخط قسمات أبرزت ذلك الوجه الشريف الجليل ، وعكست مافى أعماق تلك النفس الرحبة العظيمة .. لقد تقصى أثر محمد فى مختلف نواحيه .. فى الحق أن أظهر ظاهرة فى الكتاب هى قوة الاستنتاج العقلى التى تستولد من الحوادث الصماء خصائص ومقومات تلك الشخصية الإنسانية الكاملة ..]

(توفيق الحكيم : عبقرية محمد ، مجلة الثقافة ، العدد ١٧٥ فى ٥ مايو ١٩٤٢)

(*) انظر ترجمته فى : أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ١٤٧) وعدد مجلة الهلال الخاص عنه (فبراير ١٩٦٨) وهو أحد رموز مصر ، وتاريخ حىّ لا يؤرخ بالميلاد والوفاة ، والكتب التى تناولت فنه وأدبه وحياته أكثر من أن تحصى .

الرسالة

أخى الأستاذ توفيق

حفظه الله

عدتُ من أسوان وعاد إلىّ كتابكم الجديد أمس (من عند المجلد) وهو كما ذكرتم ، بحقّ ، كتاب جدّ محبوب ، ولكنى - والحق يقال أيضاً - لا أعرف لكم كتاباً « غير محبوب » عندى وعند قرائكم المحبين ... إلاّ أن (خناقات الأحباب) أكثر من خناقات الغرباء ، ولعل كراهة كتاب من كتبكم تهمة أجزى عليها بالتصييف على حسابكم ، ولكن بغير السلاسل والحلاوة الطحينية ! .. سلمتم ودمتم فى سلامة وسلام

١٩٦٣/٣/٢٠

المخلص

عباس محمود العقاد

المصدر :

صفحات من التاريخ الأدبى لتوفيق الحكيم من واقع رسائل ووثائق . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ (ص ١٠٥ ، ١٥٦) .

وأعيد نشر الرسالة فى الطبعة الثانية التى صدرت عن كتاب اليوم (العدد ١٢٠) بعنوان « وثائق من كواليس الأدباء » ، فبراير ١٩٧٧ ، صفر ١٢٩٧ هـ (ص ١٦٩ - ١٧٠) .

أخى الأستاذ توفيق … حفظه الله

عباس العقاد … ١٩٦٢/٢/٢٠

فى البرواز صورة رسالة من الأستاذ عباس محمود العقاد فى ١٩٦٣.٢/٢٠

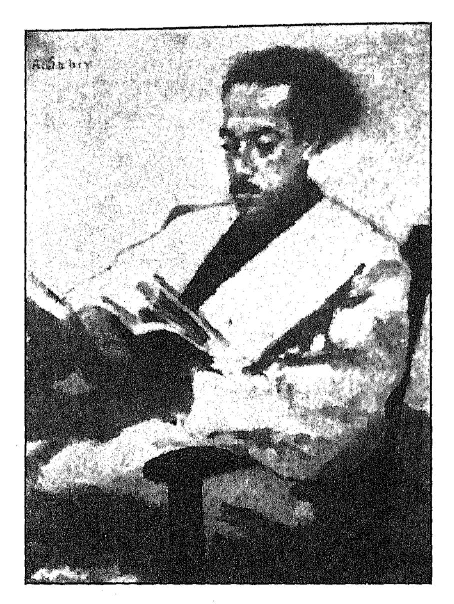
هكذا نشر الأستاذ الحكيم صورةرسالة العقاد إليه فى ذيل رسالة أخرى ، فكأنما ضنّ عليها بصفحة مفردة جَرْياً على مذهبه فى كراهة الإسراف !

التعليق على الرسالة

كتب الأستاذ توفيق الحكيم فى كتابه عن صفحات من تاريخه الأدبى تحت عنوان « إيضاح لرسالة ٢٠ مارس ١٩٦٣ » يقول :

عندما ظهرت مسرحيتى « ياطالع الشجرة » وهى من نوع « اللامعقول » وجدت نفوراً منها لدى العقليين والمناطقة من إخواننا الأدباء والمفكرين ، وخاصة الشيوخ منهم ، فدهشوا كما دهش الشباب كيف أن شيخاً مثلى فى هذه المرحلة من عمره وإنتاجه يخرج عن الخط الذى كان يسير فيه كى يغامر فى تجديدات لم يقم بها بعد - كما قالوا - شبابنا المجدد الثائر .. وصرّح عباس محمود العقاد وطه حسين بهذا النفور ، كل منهما بأسلوبٍ مختلف . فطه حسين كان صريحاً مريراً . أما العقاد فكان مداعباً ممازحاً . فأرسلت إلى العقاد الطبعة الثانية من كتاب كنت أعلم أنه يحبه هو كتاب « ذكريات الفن والقضاء » الذى ظهر فى طبعته الثانية باسم « عدالة وفن » بعد أن زدت فيه فصولاً . وكتبت له فى الإهداء أداعبه بقولى إنى أرسل إليه كتاباً محبوباً لديه عوضاً عن الكتاب الآخر المكروه وهو « ياطالع الشجرة » ، فجاءتنى منه هذه الرسالة القصيرة . وقد أشار فيها إلى فصلٍ فى الكتاب (عدالة وفن) عن أولئك المساجين الذين أتوا بهم إلىّ فى مصيف رأس البر يوماً وأنا وكيل نيابة ، وهم فى السلاسل ، وكانوا جائعين فأمرت لهم على حسابى بخبز وحلاوة طحينية ..

* * *



توفيق الحكيم
بريشة أحمد صبرى



توفيق الحكيم

صورته فى الكهولة ، وعليها توقيعه

من الآثار المطوية للعقاد

مقال لم ينشر فى كتاب

شهر زاد
تأليف الأستاذ توفيق الحكيم (*)

شهرزاد من أشخاص القصص التى تستهوى الخيال بأفانين شتّى من السحر والملاحة ، فهى مخلوق يعيش فى عالم العشق والترف الشرقى والخطر والخرافة والدهاء والأسرار ، وفى كل أولئك استهواء يلبّيه الخيال وتتفتح له القريحة ، وحسبك أن تذكر شهرزاد لتذكر ألف ليلة وتذكر مافيها وما حولها من نسج الوهم وتمثيل الحقيقة ، بل تذكر الرخّ والمارد والسندباد وعرائس واق الواق وسحر المجوس وعجائب المخلوقات ، وترى الطبيعة كأنها مفسرة مرسومة فى كتاب من كتب الطفولة التى ترجو فالدنيا كلها عرائس وألعاب ! وتخاف فالدنيا كلها وحش وجان !

والعلاقة بين شهرزاد والملك الذى كان يبنى كل مساءٍ بزوجة جديدة ثم يقتلها فى الصباح علاقة صالحة للتمثيل الغنائى والروايات التى تمتزج فيها الشعريات بالدراسات النفسية . وقد أوحت إلىّ قبل نيّفٍ وعشرين سنة أن أنظم فيها قصيدة أسميتها « شهرزاد أو سحر الحديث » وجعلت الملك فيها يعدل عن قتل العرائس لأنه عرف الدنيا والحياة بأحاديث شهرزاد ، لا لأنه أحب هذه الفتاة أو أخذته فتنة التشويق ، وفى تلك القصيدة أقول :

عرفتْ طِبَّ دائه « شهرزاد »	فدعته وهو الشقى سعيدا
كان فظًّا فؤادُه مغلقَ النف	سِ ، كظيماً لا يُستلان ، عنيدا
فألَانَتْه بالمقال فأصغى	ومن القول ما يلين الحديدا
وأَرَتْه أحاظِىَ الناسِ من قب	لُ نحوساً مقسومةً وسعودا
فرأى قلبه وكان فريداً	لم يَعُدْ بَعْدُ فى القلوب فريدا

(*) نشر هذا المقال فى صحيفة « الجهاد » ، العدد ٩٠٤ ، بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٣٤

جذلاً كان صَغْوُه لا غراماً وجد الآن قلبَه المفقودا
وانثنى يستطيب من ذلك الثَّغْـ ـرِ الأحاديثَ لا الرُّضابَ البَرُودا
إنما السحر آيتان ، فمن يَمْـ ـلكْهما يملك الملوك عبيدا (*)

وهذا موضوع يتسع للدواوين فضلاً عن القصائد ، وللروايات المطولة فضلاً عن المواقف .

فلما وصلت إليّ رواية « شهرزاد » للأستاذ توفيق الحكيم سألت نفسى : ترى من أىّ ناحية تناول هذا الموضوع ؟ فإن « شهرزاد » صالحة لأن توحى بعشر روايات لا تتلاقى فى المغزى أو السياق . وسرنى بعد أن تصفحت الرواية أن أراه يتناولها من ناحية « التصوف والكهانة » التى أحسبها أقرب إليه وأقمن بالإجادة على يديه .

فكل بطلٍ من أبطال رواية الأستاذ الحكيم هو فى كلامه وشارته كاهن أو نصف كاهن ، وكل كلمة فيها تكاد تحجب شيئاً وتبدى شيئاً كما يفعل المتصوفة فى معارض الكلام ، وكل ممثّل فيها صاحب دور مكتوب له فى لوحة القدر قبل أن يكتب له فى فصول الرواية !

وأبطال الرواية البارزون هم شهريار وقمر الزمان والعبد وشهرزاد وماعدا هؤلاء فهم أبطال مُلْحَقُون يتخلّلون الفصول ولا يقومون فيها بدور أصيل .

فأما شهريار فهو الملك زوج شهرزاد ، وهو مثال الرجل الذى شبع من أبهة السلطان ومتعة الجثمان ، فودّ لو يهرب فلم يجد مهرباً يستريح إليه لأنه يحمل جسده حيث سار ، فهو قد هجر الأرض ولم يصعد إلى السماء ! .. وانتهت به الحكمة كما انتهت بسليمان حيث قال « باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح » !

وأما قمر الزمان فهو الوزير الأمين ، وهو فتىً فى مقتبل العمر يحب المرأة حب الأحلام والتقديس ، ويراها فى صورة بوذا وفى صورة إيزيس ، ويرتفع بها فى ضميره فوق منال الشبهات ، فإذا ظهر له إسفافها ونقصها لم تطب له الحياة .

(*) ديوان العقاد : الجزء الأول ص ٩٦ (الطبعة الأولى ١٩١٦) وص ١٠١ من المجلد الواحد (طبعة سنة ١٩٢٨) .

وأما العبد فهو حيوان آدمي شهوان لا مزية له غير الحيوانية والرغائب البدنية .

وأما شهرزاد فهى الأنثى بجسمها والأنثى بذكائها والأنثى بروحها ، تحب شهريار حبَّ العرف وامتحان القدرة بالاستيلاء عليه ، وتحب قمر الزمان حبَّ القلب والعبث والتقارب فى الهوى والشعور ، وتحب العبد حبَّ الشهوات الذى لا يعيش إلاّ تحت أطباق الظلام ولا يصبر على ضوء النهار ، وتحب هؤلاء جميعاً لأنها تجد فى الجمع بينهم فرصة تشحذ بها سلاح الخبث والمجازفة الذى يستقر فى طبيعة كل ذكاءٍ محبوس .

ويجرى الحوار بين هؤلاء الأبطال وغيرهم على هذه المعانى التى أفرغت عليهم آخر الأمر تلك الصور والملامح ، فيتفق للمؤلف فى إدارة الحوار إبداع جميل يبلغ حدّ الإحكام فى بعض الأقوال ، ولا يعيبه أحياناً إلاّ اعتساف الكهانة واقتضاب الحوار فى معظم الأحاديث على طريقة الشاعر البلجيكى موريس مترلنك (*) ، حتى ليكاد الحوار أن يكون « كلمة وردّ غطائها » كما يقولون .. وذلك أسلوب يعاب حتى فى مسرحيات ذلك الشاعر النابه التى قلّما تعالج فى التمثيل إلاّ كرامةً لأدبه وبعد صيته .

وليس للرواية فصول ولكنها مقسمة إلى سبعة مناظر تطول وتقصر على حسب المقام ، وتقوم الحركة فيها جميعاً على جمال الحوار ولطف التشويق والإيماء ، وقلّ أن يخلو منظر من كلمة ذات مغزى أو عبارة ذات موقع من الأسماع والبدائه .

ففى المنظر الثانى حوار حسن بين شهرزاد والوزير يجرى على هذا المثال :

شهرزاد – لابأس ؛ فلنعد إلى حديثنا السالف . لماذا تظن أنى أحب شهريار ؟ هل رأيتنى يوماً أقبّله ؟

الوزير – إنك فعلت أكثر من هذا : إنك بَعَثْتِهِ .

شهرزاد – أميّتاً كان هو ؟

(*) موريس مترلنك Maurice Maeterlinck (١٨٦٢ – ١٩٤٩) شاعر بلجيكا الكبير وعالمها المتصوف ، يقول عنه الأستاذ العقاد « إن نصيبه من خيال المتصوفة أوفر من نصيبه من خيال الشعراء » (انظر : ساعات بين الكتب الجزء الثانى ، صفحة ٤١) .

الوزير – كان أكثر من ميت ، كان جسداً بلا قلب ، ومادة بلا روح .
شهرزاد باسمة – وماذا ترانى صنعت به ؟
الوزير – خلقته من جديد .
شهرزاد – فى سبعة أيام ؟
الوزير – فى ألف ليلة وليلة
شهرزاد – هذا كثير .
الوزير – أليست قصص شهرزاد .. قد فعلت بهذا الهمجى مافعلته كتب الأنبياء بالبشرية الأولى ..

* * *

وفى موقف آخر يقول شهريار وهو يجيب شهرزاد : « تبّاً للصفاء وكل شئ صافٍ . لشدّ مايخيفنى هذا الماء الصافى ! ويل لمن يغرق فى ماء صاف » .

ثم يقول : « قناعها منسوج من هذا الصفاء ، السماء الصافية ، الأعين الصافية ، الماء الصافى ، الهواء ، الفضاء ، كل ماهو صاف ! مابعد الصفاء !؟ إن الحجب الكثيفة لأشفّ من الصفاء » .

وفى غير هذا الموقف يقول الوزير للملك : « هل يحسب مولاى أنه لو جاب الدنيا طولاً وعرضاً يعلم أكثر مما يعلم وهو فى حجرته هذه ؟ » .

وبعد ذلك يجرى حديث شهرزاد والعبد على هذا النحو :

العبد – لماذا جئت إلى هذا البهو الليلة ؟ إنك تفكرين فيه ! « يشير إلى شهريار »
شهرزاد – نعم ، أريد أن يعود .
العبد – أرأيت ؟
شهرزاد – بل أريد عودته حتى لا أشبع منك ؟
العبد – لست أفهم .
شهرزاد – إذا عاد شهريار فلن أراك إلاّ فى الظلام والناس نيام .
العبد – الظلام .. !
شهرزاد – نعم ، إن أردت الحياة ياحبيبى فاسْعَ فى الظلام كالثعبان ، احذر أن يدركك الصباح فتقتل .
العبد – إذا رآنى الملك !

شهرزاد – بل أنا .. حبى لك لا يحيا إلاّ فى الظلام .

العبد – فهمت . بئس غرامك أيتها المرأة . الجهر ، العلانية ، تقتل فيك الشهوة كما يقتل ضوء الشمس بعض الجراثيم .

شهرزاد – لا تهزنى هكذا . « تدفعه إذ يهزها حانقاً »

العبد – إنى أحس قرب أجلى وأنك قاتلتى .

شهرزاد – من أين تأتيك هذه الأوهام ؟

العبد – ألست أنت التى ما قصّت على زوجها قصة عبدٍ دهم فى خِدْر امرأةٍ إلاّ وقدرت للعبد أن يقتل كما يقتل ثعبان وجد فى حنايا جسد ؟

شهرزاد – نعم قدرت ذلك . لكن هل استطاع رجل حتى الآن أن يقتل عبداً ؟

العبد – كيف ذلك ؟

شهرزاد – أتعرف كيف يقتل العبد ؟

العبد – كيف ؟

شهرزاد – يعتقه !

وهكذا يجرى الحوار فى مواقف أخرى على نسق تتلاحق فيه الأحاديث والجمل البارعة ولا يندّ عن سبيل الصدق والفطنة .

وقلّ أن تقع فى أحاديث المتحدثين على ذلك النسق « مُفارقة » أو أغلوطة غير معقولة من المتحدث ، فإن وقع شئ من ذلك نادراً فكما جرى ذكر الشمس وقتل الجراثيم فى حديث العبد المتقدم ، وهو قول لا يعقل صدوره من عبد فى زماننا فضلاً عن ذلك الزمان .

وقد ورد ذكر بيدبا ثلاث مرات فى الرواية إذْ يقول شهريار لوزيره :

« هل كان بيدبا أيضاً امرأة مثلها حتى تصيح صيحتك أمام صورته فى الهند ؟ » فيجيبه الوزير قائلا : « بيدبا ؟ نعم ، إن عينى بيدبا هما عيناها فى صفائهما العجيب » .

فهل يقصد المؤلف بيدبا الفيلسوف أو يقصد تمثال بوذا صاحب الدين المشهور؟ ما أظنه إلاّ قد سها فقصد بوذا وذكر بيدبا ، لأن تمثال بوذا فى الهند يناسب تمثال إيزيس الذى سبقت الإشارة إليه فى سياق هذا الحديث .

* * *

أما اللغة فهى فى رواية شهر زاد أسلم منها فى رواية « أهل الكهف » . ولكن الرواية مع هذا لم تخل من خطأ ظاهر فى مواضع عدة ، كقوله فى صفحة ٥٤ « بل من أدراك أن ماتطلب موجودا » ، والصواب موجود .

وكقوله فى نحو أربعة مواضع أو خمسة «.يمكن له » وهى « يمكنه » لأنها تتعدى بغير اللام .

وكاستعماله « بلى » فى موضع « نعم » على الإطلاق تارة ، وفى موضع « لا » على الإطلاق تارة أخرى ، وهى حرف جواب خاص بالنفى يفيد إبطاله على أحوال مفصلة فى الكتب النحوية .

على أن الذى يروقنا فى الأستاذ توفيق الحكيم أن له اتجاهاً مطبوعاً إلى ناحية من الأدب ، وأنه يلتزم هذا الاتجاه ويحسن الاهتداء إليه ويثابر عليه ، فهو لهذا خليق أن يبلغ فيه حدّ التمام ، ولا سيّما إذا أوصد أذنيه دون المدح الجزاف الذى لا نفع فيه .

عباس محمود العقاد

رسالة إلى
الأستاذ أحمد حافظ عوض (*)
(١٨٧٤ - ١٩٥٠)



[عاش حافظ بسليقة المعلم والكاتب فى كل يوم من أيامه ، وكتب ليعلّم فى كثير من رسائله ومقالاته ، بل لعله كان يتحدث ليعلّم ويعتز بالخبرة التى تسوّغ له التعليم وتشفع له فيه . فأطلق عليه أصحابه ومريدوه وزملاؤه فى الصحافة اسم « المعلّم » لأنهم لم يجدوا له وصفاً يصدق عليه كما يصدق عليه وصف التعليم .. ولعله لم يكتب رسائله إلى ولده إلاّ ليكون معلّماً فى أبوّته وأباً فى تعليمه ، وإلاّ ليرضى فى نفسه سليقة التعليم وسليقة الكتابة مجتمعتين] .

العقاد

من كلمته فى حفل التأبين

(*) انظر ترجمته فى :

- الأعلام للزركلى (١/١٠٩) . وفيه أن تاريخ ميلاده فى سنة ١٨٧٧ ، وهو وهم .
- أعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٨٧) .

وانظر كلمة الأستاذ العقاد فى احتفال مجمع اللغة العربية بتأبين المرحوم أحمد حافظ عوض (مجلة المجمع ، الجزء الثامن ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٣٨٤ - ٣٩١) ، وقد جاء فى هذه الكلمة أن حافظ (بك) كتب بخطه على النسخة التى أهداها إلى دار الكتب من قصته « اليتيم » التى صدرت فى سنة ١٨٩٨ أنه « ولد فى دمنهور فى غرة ذى القعدة سنة ١٢٩١ هجرية ، أى فى العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٤ » .

الرسالة

(غير مؤرخة)

حضرة الأستاذ اللوذعى أحمد بك حافظ عوض

تلقيت بالشكر كتاب رسائلك الممتعة الموسومة بعنوان « من والد إلى ولده » وقرأت منها كل ما اتسع الوقت لقراءته ، فرأيت مايذكّر برسائل تشسترفيلد وهنرى سدنى وغيرهما ممن أحسنوا النصح والعبارة . نعم فى الرسائل مايخالف رأيى من بعض الوجوه ، ولكنى أعدّ ذلك ميزة لها ، لأن الكتاب الذى لا يجد فيه أحدٌ ما يخالفه غير حقيق بأن يقرأ .

وجملة القول كنتَ أباً واحداً فأصبحت بعد نشر هذه الرسائل أَلْفَ أبٍ ، بل أباً لكل ناشئ يطّلع عليها ويستفيد منها . فلك الشكر بقدر ما أفدت .

عباس محمود العقاد

المصدر : كتاب « من والد إلى ولده » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، صفحة (و) .

من الاستاذ العقاد

حضرة الأستاذ اللوذعي احمد بك حافظ عوض

تلقيت بالشكر كتاب رسائلك الممتعة المرسومة بعنوان « من والد الى ولده » وقرأت منها كل ما اتسع الوقت لقراءته ، فرأيت ما يذكر ا برسائل تشسترفيلد وهنرى سدنى وغيرهما ممن أحسنوا النصح والعبارة. نعم في الرسائل ما يخالف رأيي من بعض الوجوه ، ولكنى أعد ذلك ميزة لها ، لان الكتاب الذى لا يجد فيه أحد ما يخالفه غير حقيق بان يقرأ.

وجملة القول كنت أبا واحداً فاصبحت بعد نشر هذه الرسائل ألف أب ، بل أبا لكل ناشىء يطلع عليها ويستفيد منها. فلك الشكر بقدر ما أفدت

عباس محمود العقاد

التعليق على الرسالة

نشرت هذه الرسالة فى صدر الطبعة الثانية من كتاب « من والد إلى ولده » وهى (رسائل فى التربية والتعليم والآداب كان يبعث بها إلى ولده من وقت لآخر الكاتب المشهور أحمد حافظ عوض « بك ») . ونشرت مع هذه الرسالة للأستاذ العقاد رسائل أخرى لبعض أعلام الكتّاب فى تقريظ الكتاب منهم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى والشيخ عبد العزيز البشرى والأساتذة إسماعيل مظهر وسليم سركيس وإلياس بك الأيوبى والآنسة ميّ وغيرهم .

وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت فى مارس سنة ١٩٢٣ عن مكتبة ومطبعة الشعب بالقاهرة ، وتصدّرها على صفحة الغلاف شعار « أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض » المأخوذ من بيت الشعر المعروف .

والكتاب من أسبق كتب « أدب الرسائل » التى ظهرت فى العصر الحديث ، وقد قرنه العقاد برسائل الكاتب الإنجليزى تشسترفيلد Lord chesterfield صاحب الرسائل المشهورة إلى ولده وهى من الآثار الأدبية المعدودة فى الأدب الإنجليزى فى القرن الثامن عشر .

ولبيان قيمة هذا الكتاب وأهميته من الناحية التربوية أورد فيما يلى مقتطفات من الرسالة الثامنة منه وموضوعها « اللغة العربية نحواً وأدباً » :

ولدى العزيز

لا يطلب منك يابني أن تكون رجلا لغوياً مبرزاً على غيرك فى دقائق اللغة وفنون الآداب العربية ، فإن ذلك غير ميسور لك ، ولا لأمثالك الذين يتربون تربية عصرية جامعة لعلوم شتى ومعارف جمة ولغات متعددة ، ثم ينقطعون إلي فن من الفنون العصرية النافعة فى معترك الحياة لمن يريد أن يكون مثلك من رجال النهضة العلمية العصرية ، ورجال الظهور فى الحياة الدنيا .

أقول إن ذلك غير ميسور لك للأسباب التى بينتها بايجاز فيما تقدم ، ولأننى لا أريد لك أن تنصرف بكل مجهوداتك للاقتصار على اللغة العربية لتكون من

أعلامها الذين يشار إليهم بالبنان ، وثقاتها الذين يرجع إليهم فى الدرس والتعليم ، لأن ذلك يقطع عليك سبيل الفوز على الأقران ، واكتساب الثروة والجاه العريض والمجد المؤثل . اللهم إلا إذا توجهت نفسك إلى خدمة اللغة العربية ، والتضحية بحياتك ومستقبلك فى هذا الباب دون سواه ، فتلك غاية محمودة فى نفسها ، ولكني أصرح لك أنك تعيش يائسا ، وتأسف على مجهودات بذلتها ، وأوقات قضيتها ، وتندم حين لا ينفع الندم .

لكل مرشد طريقة ، ولكل ذى رأى نصيحة ، وربما تهيأت نفسك لما أحذرك منه ، بل ربما سمعت من الناصحين عكس ما نبهتك إليه ، ولكن يجب عليك أن تقف بنفسك ، فى ميلها ، عند حد الإدراك ، بأن ماتذهب إليه من الشوق غير مخصب لحياتك ، ويجب أن تعرف فوق هذا أنني أنا والدك لا أريد لك السير فى هذا الطريق الذى أعرف مافيه من المتاعب والخسران ، وأننى أحب لك من صميم فؤادى ، أن تكون صالحا للعصر الجديد ، والحياة الواسعة التى أرشدك إلى سبيلها .

ولتعلمن أنك مقبل على عصر جديد شديد التزاحم ، وإن دائرته أوسع ، مما يسمح به التخصص في لغتنا العربية للفوز فى هذا المعترك . ومع هذا فإنى بمالى من الشغف بلغتنا العربية وآدابها ، وبما أعتقده من أن حياتنا القومية ومستقبلنا ، باعتبارنا أمة تطمح للرقي والنهوض إلى مصاف الأمم المتمدينة ، مرتبطة بحياة اللغة العربية وإعلاء شأنها ، وتكوين آدابها ، ونشر العلوم العصرية بها - أريد أن تأخذ من اللغة العربية بقسط وافر وأن تسمو فيها على أقرانك ، إجادة فى الكتابة والخطابة والفصاحة وحسن البيان وسرعة البديهة وظرف التعبير ورقة الأسلوب .

وقد يخالجك الشك فى معنى ما أريد بيانه ، أو يخيل لك بعض التناقض فيما عرضته عليك ، إذ تقول كيف يمكن أن آخذ من اللغة العربية بقسط وافر ، وأن أسمو فيها على الأقران إجادة فى الكتابة والخطابة والفصاحة وحسن البيان وسرعة البديهة وظرف التعبير ورقة الأسلوب .. إلى آخر ماتقول فى هذا الصدد - إذا أنا لم أكن لغويا مبرزًا على غيرى فى دقائق اللغة وآدابها؟؟ أليس فى هذا شئ من التناقض ؟ فأجيبك أن لا تناقض ولا تعارض إذا فقهت تماما ؛ القصد من هذه الرسالة . ولكى أزيدك بيانًا أدخل معك فى بعض التفصيل الذي يحتمله هذا المقام فأقول :

اعلم يابنى أن الحياة قصيرة ، والعلم طويل ، وأن اللغة العربية بحر خضم لا ساحل له ، وانك لو انقطعت لها طول حياتك جاعلا بغيتك النبوغ فيها دون سواها ، لاقتضى ذلك أن تترك ما عداها من العلوم والمعارف اللازمة لفوزك فى الحياة . ولكى تكون لغويًا أو شاعراً كبيراً ، يلزمك أن تنقطع إلى اللغة العربية دون سواها ، فتبدأ بحفظ القرآن الشريف والحديث وكتب اللغة المتعددة وتطلع على شعراء الجاهلية وتحفظ أشعارهم – وتتبع ذلك بشعراء الطبقة الأولى من المخضرمين ، وتقف على أيام العرب لتفهم بها مايقع فى أشعارهم منها ، وكذلك المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والخاصة ، ثم تنقطع إلى مادة اللغة ومعجماتها بحيث لا تفوتك منها شاردة ولاواردة ، وتجيد دراسة النحو والصرف والاشتقاق ، وتتبع اللغة فى تطوراتها ، وإن زدت فى ذلك رجعت إلى تاريخ اللغة وأصولها فى اللغات القديمة كالعربية والحميرية والنبطية والفارسية ، ودون ذلك خرط القتاد ، وإضاعة العمر ، ولا أقول فيما لا فائدة فيه . فكل اشتغال بعمل جدى له فائدة تذكر ، – ولكن أقول فيما لا يؤهلك للفوز والنجاح الصحيح فى العصر الجديد الذي أنت مقبل عليه . ولكل زمان أحكام ، ولكل عصر تربية واستعداد ، والعالم جهاد وجلاد ، وواجب على القائد الذي يدخل فى حرب أن يعد لها من القوة والنظم العسكرية مايوافق قوة أعدائه ونظمهم وخططهم ، ونوع أسلحتهم ، وإلا باء بالخيبة والخذلان ، بل والموت الزؤام .

والآن أقول لك من باب زيادة البيان ، والإيضاح عما أريد إنه ليس من الضروري ، لمن أراد أن يكون أديبا طلق اللسان ، فصيح الجنان ، بليغ العبارة ، طلى الإشارة ، فى اللغة العربية ، أن يتوغل فى فيافي اللغة ويبالغ فى الانكباب على دراسة نحوها وأصولها ، لأن الإنشاء مثلا ملكة فى النفس كالشعر والغناء والتصوير، لا يبرع فيه من لم يكن مهيئاً له ، وقد قال ابن خلدون فيلسوف الاجتماع ، وسيد الكتاب المنشئين المفكرين ، فى باب الأدب « إنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهى الإجادة فى فني المنثور والمنظوم » وقال أيضًا « إن جمع كلام العرب لا يستلزم دائما الاضطلاع بالأدب بل هناك استعداد فطرى يضعه الله فى صدر الإنسان ، وسر فى سويداء فؤاده وعلقة قلبه ، لا يعلمه إلا الذى أودعه ، وإنما يذكو على المطالعة ويربو بارتياد الأشكال الملائمة » .

* * *

رسائل العقاد
إلى
الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى
(١٨٩٨ - ١٩٧٩)



[كنت أسمع الكثير عن العقاد المتجهم ، وأسمع الكثير عن العقاد المتكبر ، ولكننى فى جلستين اثنتين معه عرفت مافى نفسه من مشاعر الفكاهة والمرح إلى جانب الاتزان والجد والصراحة فى إبداء الرأى لمن يأنس فيه الرغبة فى ذلك] .

طاهر الجبلاوى

(فى صحبة العقاد ، بدء التعارف ، صفحة ١٣)

رسائل العقاد
إلى الأستاذ طاهر الجبلاوى

لعل الأستاذ الشاعر محمد طاهر الجبلاوى (١٨٩٨ - ١٩٧٩) هو صاحب النصيب الأوفر من رسائل العقاد إلى أصدقائه المقربين ، ذلك أنه كان قديم الصلة بالعقاد ؛ لقيه أول مالقيه فى سنة ١٩٢٢ ، ثم اتّصل به ولازمه منذ سنة ١٩٢٥ ملازمة شبه دائمة ، وكان لفترةٍ من الزمن يشاركه مسكنه فى شبرا ثم فى مصر الجديدة . وكانت فيه طيبة وسماحة نفسٍ حبّبته إلى العقاد وجعلته محل ثقته وموضع سرّه ، ويقول فيه وفى شعره [(١)] :

لك شعرٌ يحكى سريرة نفسٍ رُكّبت من صراحةٍ ونقاءِ
جُبلت كالفراش فى أمّة الطيـ ـر خفوقًا بين الندى والضياء
واستوت فى الحياة فوق جناحٍ مُستطار الخُطَى رقيق الغشاء
أنت ياطاهر الفؤاد جديرٌ من محبّيك بالرضا والثناءِ

والأستاذ الجبلاوى أحد أعضاء « حديقة الحيوان الآدمية » التى أشرنا إليها فى بعض ماتقدّم من هذه الرسائل ، وكان مكانه منها - كما يذكر هو - « قفص الميامين » ، أو القرود ، وكان يشاركه فيه الفنان الكبير أحمد صبرى (١٨٨٩ - ١٩٥٥) ناظر الحديقة ومقرّرها الذى يتولى اختيار الأقفاص لكل عضوٍ من أعضائها ، وإليهما معاً يشير العقاد فى مطلع قصيدته فى صفة هذه الحديقة :

أورفيوس الفن سَوَّى بينها فتلاقى الدبّ فيها والقرودْ [(٢)]

وبلغ من توثّق الصلة بين العقاد وصاحبه أنه كان يأتمنه على أدقّ أسرار حياته ، ويعهد إليه أخصّ شئونه الشخصية . ومن ذلك ماهو معروف من أنه عهد إليه مهمة

---

(١) ديوان « هدية الكروان » ، صفحة ١٣٦ . والأبيات نظمت فى تقريظ ديوان الجبلاوى « ملتقى العبرات » .

(٢) وحى الأربعين ؛ حديقة حيوانات آدمية ، صفحة ١٥٧

« الرقابة » حين بدا له أن يراقب سلوك صاحبته « سارة » فى فترةٍ من فترات القطيعة بينها وبينه ، فكان الجبلاوى هو « الرقيب » الذى اختاره العقاد واطمأن إليه للقيام بهذه المهمة ، لأنه كما جاء وصفه فى الرواية : « يؤمن بالواجبات الشعرية أشدّ من إيمانه بجميع الواجبات الإنسانية ، وهو ذو أريحية ومروءة وصدق لسانٍ وصراحة شيمةٍ » [١] .. فهو « أمين » الذى ذكره العقاد فى الرواية بهذا الاسم .

وقد شاءت الظروف أن يقضى الأستاذ الجبلاوى زهاء عشر سنوات من حياته الوظيفية بعيداً عن القاهرة ، مُبْعداً مغضوبًا عليه فى بعض العهود ، حيث تنقل فى خلال هذه الفترة بين مدن القطر المختلفة ، من قنا فى « الصعيد الأقصى » إلى سوهاج وأسيوط والفيوم ، ممّا حال بينه وبين صحبة العقاد عن قرب ، فكانت الرسائل سبيلهما إلى التواصل وتبادل الأخبار والأحاديث . ويقول الجبلاوى فى هذا الصدد : « كانت الرسائل متبادلة بينى وبين العقاد طوال هذه المدة ، وكنت أزوره فى المواسم والأعياد الرسمية على الدوام . وكثيرًا ماكانت هذه الرسائل تحمل اللطيف والظريف من الأشعار والأزجال » [٢] . والحق أن العقاد لم يتبسط فى رسائله إلى أحدٍ من أصدقائه الأدباء تبسّطه فى رسائله إلى صاحبه الجبلاوى ، لطول الصحبة والعِشْرة بينهما ، فما شئت من أشعار المديح والهجاء ، وأزجال التبكيت والتنكيت ، ومن عبارات التقدير والتكريم إلى جانب عبارات السخرية والتهانف ، وذلك كله على محمل المداعبة البريئة والمزاح المقبول .

وقد نشر الأستاذ الجبلاوى فى حياته بعض رسائل العقاد إليه فى الكتاب الذى أصدره تحت عنوان « فى صحبة العقاد » [٣] . ثم أعاد نشره مع زيادات شتى بعنوان « من ذكرياتى فى صحبة العقاد » [٤] . وجاءت الرسائل فى الكتاب ، بطبعتيه ، بطريق النقل أو الرواية عن الأصول الخطّية ومع بعض الاختصار

---

(١) سارة ؛ صفحة ٦٧

(٢) فى صحبة العقاد : صفحة ٧١

(٣) محمد طاهر الجبلاوى : « فى صحبة العقاد » ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

(٤) محمد طاهر الجبلاوى : « من ذكرياتى فى صحبة العقاد » ، ٢٦٢ صفحة من القطع الكبير ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (١٩٦٧)

والتصرف أحياناً . ثم ظهرت بعد وفاته مجموعة من هذه الرسائل فى كتاب نشر بعنوان « العقاد وأنا » [١] ، وقد تضمن أصول الرسائل بخط الأستاذ العقاد . ولهذا السبب ، وخلافاً للخطة التى جريت عليها فى سائر فصول الكتاب ، توقفت عن إعادة نشر أصول هذه الرسائل رعايةً لحق ناشرها الأول .

على أنه لا يسعنا أن نتجاوز هذه الرسائل دون أن نعرض لما احتوته من إشارات وتفسيرات لبعض الوقائع والأحداث التى تتصل بسيرة العقاد وتؤرخ لبعض جوانب حياته العامة أو الخاصة ، والتى لا يتيسر الوقوف عليها إلاّ من خلال هذه الرسائل .

من ذلك ما يرويه العقاد عن سبب تركه الكتابة فى صحيفة « البلاغ » ، فى أواخر فبراير سنة ١٩٢٩ ، على عهد وزارة محمد محمود باشا الأولى (يونية ١٩٢٨ - اكتوبر ١٩٢٩) ، والعقاد يومئذ كاتب الوفد الأول ، وأكبر محرر فى صحيفة البلاغ . يقول العقاد فى رسالةٍ إلى صديقه الجبلاوى [٢] :

« ... لعلك تسأل لم لا أكتب فى هذه الأيام . فالسبب هو أننى تركت البلاغ ، أو أُلجئت إلى تركه إلجاءً ، ولكن الوفد يستمهلنى إعلان ذلك إلى حين .

وخلاصة المسألة أن صاحب البلاغ قد عاد بعد استئناف العمل [*] وهو شديد الخوف على جريدته . ولم تمض أيام حتى صارحنى بالرغبة فى الإقلال من الكتابة خوفًا على الجريدة . فكنت أكتب يومًا بعد يوم ، وكان فى بعض الأيام التى يقع علىّ فيها دور الكتابة يخاطبنى بالتليفون ليقول لى أنه سيكتب فلا لزوم لإتعاب نفسى .. ثم عمد إلى بعض الصبيانيات التى يعلم أنها لا تطاق ، فخرجت يوم السبت ٢٣ فبراير مُغْضبًا ، ومضت أربعة أيام بعد ذلك لم يحاول فيها أقلّ محاولة

---

(١) « العقاد وأنا ، بقلم طاهر الجبلاوى » إعداد عباس طاهر الجبلاوى ، الناشر صبرى غنيم ، ١٢٤ صفحة من القطع الوسط ، مطابع الأخبار ، القاهرة (بدون تاريخ) . وقد صدر فى سنة ١٩٨٥

(٢) من ذكرياتى فى صحبة العقاد : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ولم يذكر تاريخ الرسالة الذى نرجح أن يكون فى أواخر فبراير سنة ١٩٢٩

وهذه الرسالة لم يتضمنها كتاب « العقاد وأنا » .

(*) كان البلاغ قد عطّل تعطيلاً إداريا لمدة أربعة أشهر بين ١٥ سبتمبر ١٩٢٨ و ١٥ يناير ١٩٢٩، كما عطّل البلاغ الأسبوعى هذه المدة نفسها .

لإزالة هذا الغضب . ثم أرسل إلىّ كتبى وأوراقى دون أن أطلبها . فحمدت الله على أننى لم أتعجل الإعلان عن ترك البلاغ يوم السبت ، فكانت تخفى نيّته الحقيقية التى لا خفاء بها الآن . وكل ما آسف له الآن أن اضطر للسكوت فى وقتٍ لا أوثر فيه السكوت ، ولكن لابد لكل ذلك من تغيير » .

وبمتابعة مقالات العقاد فى البلاغ نجد أنه توقف عن نشر مقالاته السياسية اعتبارًا من اليوم الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٩٢٩ ، وهو التاريخ المذكور فى الرسالة ، كما توقف نشر المقالات الأدبية التى كانت تنشر فى البلاغ الأسبوعى تحت عنوان « ساعات بين الكتب » اعتباراً من الأسبوع التالى لذلك التاريخ [١] ، حيث اتجه العقاد بعده لنشر مقالاته الأدبية فى مجلة « الجديد » لصاحبها محمد حسن نائل المرصفى .

* * *

وشبيه بهذا الموقف من البلاغ ، موقف صحيفة « كوكب الشرق » ، فى مارس سنة ١٩٣٢ ، والعقاد يومذاك محرّرها الأول ، حيث نراه ينقطع فجأة عن نشر مقالاته السياسية فى الكوكب ، وحكاية ذلك مايرويه العقاد فى الرسالة التالية المؤرخة فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من مارس سنة ١٩٣٢ :

« ... وبعد ، فقد تركت الكوكب لأن صاحبه أراد أن يحصل من وزارة الحقانية على الإذن بنشر الإعلانات القضائية ، فاشترطوا عليه أن يحرجنى إلى الخروج من الصحيفة فى مقابل الإعلانات ففعل ، ولم يمض إلاّ يومان أو ثلاثة حتى كان فى الكوكب إعلانات قضائية كما قد ترى فيه إذا قلّبته . وهكذا فلتكن الوطنية والمعارضة السياسية ! وأنا الآن أكتب رسالة عن جيتى ربّما تمّ طبعها قبل حضورك فى العيد ... » [٢] .

وهكذا نقف على سرّ انقطاع العقاد عن الكتابة فى صحيفة كوكب الشرق

---

(١) انظر : ساعات بين الكتب ؛ الجزء الثانى (١٩٤٥) صفحة ١٩٨ و ٢٠٩ ودكتور حمدى السكوت : أعلام الأدب المعاصر فى مصر (٥) عباس محمود العقاد ؛ المجلد الأول ، صفحة ٣٨٠

(٢) من ذكرياتى فى صحبة العقاد ؛ صفحة ١٠٥ ، ولم ترد هذه الرسالة فى كتاب « العقاد وأنا » .

فى الفترة من اليوم الثانى عشر من مارس إلى الثلاثين من ابريل سنة ١٩٣٢ ، لغير سبب سياسىّ ظاهرٍ . وفى العدد الصادر فى التاريخ الأخير (٣٠ ابريل) نجد صاحب الكوكب ، الأستاذ أحمد حافظ عوض (١٨٧٤ - ١٩٥٠) يكتب فى صدر صحيفته الكلمة التالية :

« كان حضرة الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد قد شُغل ببعض المؤلفات الأدبية الرائعة عن متابعة جهاده السياسى اليومى ، فحرم قراء الكوكب من آثار قلمه الجبار حينًا ، والآن وقد انتهى الأستاذ من إظهار ذلك الأثر الأدبى النفيس « تذكار جيتى » واستعاد قوته وعافيته ، فإننا نهنئ القراء بعودة الأستاذ العقاد إلى تدبيج فصوله السياسية الممتعة فى صدر الكوكب ابتداءً من صباح الغد » [١] .

والقارئ ، لاشك ، يلحظ فى هذه الكلمة معنى الاعتذار الأدبى عن السبب الحقيقى الذى أشار إليه الأستاذ العقاد فى رسالته .

وقد صدر كتاب « تذكار جيتى » فى منتصف ابريل ١٩٣٢ ، ونوّهت به مجلة المقتطف فى عددها الصادر فى أول مايو من تلك السنة .

* * *

وفى بعض هذه الرسائل نجد تفسيرًا لمسألة ترشيح العقاد لوظيفة التدريس بالعراق ، فى سنة ١٩٢٩ ، ويستطيع القارئ أن يلمّ بأطراف هذه المسألة من خلال الرسائل الثلاث التالية :

الرسالة الأولى فى ٢٣ يولية ١٩٢٩ ، وفيها يقول العقاد :

« عُرضت علىّ وظيفة فى العراق لتدريس أدب اللغة بدار المعلمين فى بغداد . وسيكون لى مساعد فى هذه الوظيفة ففكرت فيك ، فتدبر الأمر وقل لى هل عندك مانع ؟ » .

ومعنى هذا ، كما هو واضح ، أن العقاد قَبِل هذا العرض من ناحية المبدأ .

الرسالة الثانية فى ٢ أغسطس ١٩٢٩ ، وفيها يقول :

« يظهر أن العدول عن مسألة العراق حصل من الجانبين ، فإنى استمهلت

---

(١) د. راسم الجمال : العقاد زعيماً ، سلسلة اقرأ ، العدد ٥٠٦ فى مارس ١٩٨٥ ، صفحة ٣٧ ، ٣٨

القنصلية هنا حتى ينجلى الموقف المصرى فى أواخر الشهر الماضى وتحضر إلىّ البرامج التى يجرى عليها نظام التعليم فى أدب اللغة بمدرسة المعلمين عندهم . وقد تغيّر رأيى بعدما حدث فى السياسة المصرية ، وإلى الآن لم تخاطبنى القنصلية كما وعدتْ ، فلا أدرى هل نشأ التأجيل من الأزمة الوزارية فى العراق ، أو من اعتراض الانجليز هناك على تعيينى . وعلى كل حال أرى - ويرى أصحابنا - أن السفر إلى العراق الآن أمر لا تدعو إليه الضرورة » .

وقد أورد الباحث العراقى الأستاذ جمال الدين الألوسى ، فى مقال له نشر بمجلة المورد العراقية عن الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة (١٨٨٤ - ١٩٦٨) ، إشارة موجزة إلى مسألة ترشيح العقاد جاء فيها : « كان أستاذنا الراوى (*) رحمه الله قد رشح (عباس محمود العقاد) لتدريس الأدب بدار المعلمين العالية ، غير أن الانتخابات النيابية المصرية كانت قد انتهت قبل ابتداء السنة الدراسية ١٩٢٩ ، وظهرت النتائج تعلن فوز قائمة الوفديين ، وفيهم الكاتب الكبير الوفدى عباس العقاد ، فرشّح الزيات بدلاً منه ... » (١)

ويبدو أن الحديث عن هذه المسألة تجدّد مرة أخرى بعد سنوات ، ولكن العقاد نفى ذلك تماماً . وقال فى رسالته المؤرخة فى الرابع عشر من اكتوبر سنة ١٩٣٦ : « لا صحّة على الإطلاق لحكاية العراق ، فلا أنا خوطبت فيها ولا أنا مستعد لقبولها » .

* * *

وتنطوى رسائل العقاد إلى الجبلاوى على كثير من الطرائف والمداعبات التى تتناول بعض الحوادث فى حياة صديقه أو تتصل بشأن من شئونه ، كالذى ورد فى إحدى الرسائل عن رواية « ديك الجن » ، وهى رواية مسرحية شعرية وضعها

(*) المقصود هو الأستاذ طه الراوى (١٨٩٢ - ١٩٤٦) وهو أديب عراقى مشهور ، كان عضواً بالمجمع اللغوى بالقاهرة والمجمع العلمى العربى بدمشق ، وأستاذًا فى دار المعلمين العالية ببغداد ، وله مؤلفات منها « أبو العلاء المعرى فى بغداد » ، و« بغداد مدينة السلام » .

(١) مجلة المورد ؛ المجلد السابع ، العدد الثالث ، خريف ١٩٧٨ (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ، صفحة ٣٤٦

الأستاذ الجبلاوى عن غرام الشاعر المشهور عبد السلام بن رغبان الملقب ديك الجن الحمصى (١٦١ – ٢٣٥ هـ) [١] ؛ فقد حدث أن نشر الأستاذ العقاد فصلاً من هذه المسرحية الشعرية فى الصفحة الأدبية بصحيفة « الجهاد » ، على سبيل التنويه بها ، فقُبض فى اليوم التالى على صاحب الجهاد الأستاذ محمد توفيق دياب (١٨٨٨ – ١٩٦٧) [٢] ، وأودع السجن رهن التحقيق فى قضية صحفية ، فأرسل العقاد إلى مؤلف ديك الجن زجلاً يقول فيه [٣] :

دِيكَكْ ياسِى طاهرْ   مِنْ منظرْ يظهرْ
سَتْرك ياساترْ   حِلْمُهْ بيتفسّر

* * *

توفيق فى سجنه   من صيحة ديكك
ابْعِدْ بَقَى عنّه   انت وتأليفكْ

كما أرسل إليه هذه « التحية » الشعرية الساخرة [٤] :

ياطُوَيْهِرَ الأدبِ   والخبير بالكتب
هل فرغت ، وَيْحك ، من   ديك جنّك الجَرِب
هل نتفت مفرقه   أو عبثت بالذنب
الديوك صائحةٌ   وهو بعدُ لم يُجب

---

(١) شاعر مجيد من شعراء العصر العباسى ماجن خليع ، كانت له جارية يهواها ، فاتهمها بغلام له اسمه وصيف ، فقتلهما ، ثم ندم على ذلك ندماً شديداً ورثاهما فى شعرٍ له مشهور .

ترجمته فى الأغانى ٥١/١٤ ، وفيات الأعيان ٣٥٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٦٣/١١ ، الأعلام للزركلى ١٢٨/٤

(٢) محمد توفيق دياب : أحد أقطاب الصحافة المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وخطيب مفوه من خطباء ثورة سنة ١٩١٩ .

أنشأ عدداً من الصحف أشهرها صحيفة الجهاد اليومية (١٩٣١ – ١٩٣٨) ، وكان يرأس تحريرها ، وعرف بمقالاته السياسية الساخنة ، ومنها مقالاته التى كان يكتبها فى السجن بعنوان « على البُرْش » . انتخب لعضوية مجلس النواب وعين عضواً بمجلس الشيوخ . واختير فى سنواته الأخيرة عضواً فى مجمع اللغة العربية .

(٣) من ذكرياتى فى صحبة العقاد : صفحة ٩١ ، و« العقاد وأنا » ، صفحة ٤٧

(٤) من ذكرياتى : صفحة ١١١ ، و« العقاد وأنا » : صفحة ٤٦

انْــفِ عــنــه نَــوْمــتَــهُ   فــالــدجــاج فــى صــخَــب
مــوقــظٌ وتــوقــظــه ؟   إنّ ذا مــن الــعــجــب
فــارْم فــى الــطــريــق بــه   أوْ فَــكُــلْــهُ وانــقــلــب !
الــقــدورُ مــاثــلــةٌ   إن حــضــرتَ لم تَــغِــب
سوف يدفن الفقيد على   مــســرحٍ هــنــا خَــرِب
بــومــة أراه ، فيا   وَيْــل كــلّ مــقــتــرب

* * *

وثمة قصة طريفة حول رواية شرع الأستاذ الجبلاوى فى وضعها أثناء إقامته بالفيوم ، فى سنة ١٩٣٤ ، وقد أرسلها إلى الأستاذ العقاد لاستطلاع رأيه فيها ، ومعها قفص من جوافة الفيوم كان الأستاذ يستريح إلى تناولها ويطلبها فى مواسمها . وأحد أطراف هذه القصة نقف عليه من رسالة العقاد المؤرخة فى الثالث عشر من شهر مارس ١٩٣٤ ، وقد جاء فيها :

« حضرة المؤلف المسرحى المجهول

جاءتنى جوافتك وأنا واثق من أنها حسنة لأنى تناولت منها كثيراً .. أمّا الرواية فليس لى بها كل هذه الثقة لأننى لم أقرأ منها إلاّ كلمات هنا وهناك استحسنتها باعتبارها أجوبةً فى حوارٍ ، ولكننى لم أنظر فيها باعتبارها رواية كاملة ، وسأفعل عمّا قريب ، ثم أتكفّل بتضييع هذه الرواية لتكون موضوعًا لروايةٍ ثالثةٍ إن شاء الله ! » (١) .

وفى سنة ١٩٣٧ أصدر الأستاذ الجبلاوى ، وكان يقيم فى سوهاج ، مسرحية سمّاها « الرواية الضائعة » (٢) وصفها بأنها « كوميدى أدبية فى ثلاثة فصول » ، وقد أهداها إلى عدد من الأدباء والشعراء ، وإلى آخرين من كبار المسئولين الذين

---

(١) « العقاد وأنا » : صفحة ٥٤ ، ٦٧ (بخط الأستاذ العقاد)

(٢) محمد طاهر الجبلاوى : الرواية الضائعة ، فى ١٥٥ صفحة من القطع الصغير ، مطبعة الآداب بسوهاج (بدون تاريخ) . ويرجح صدورها فى سنة ١٩٣٧ بالنظر إلى تاريخ الرسالة .

رجا أن يظفر بمساعدتهم فى أمر نقله إلى القاهرة – وكان هذا النقل شغله الشاغل وهمّه الأهم – فكتب إليه العقاد فى الثامن من مايو سنة ١٩٣٧ رســــالة قال فيها [١] :

« روايتك الضائعة رأيناها فى كل مكان عند الزعماء والفضلاء ، فيالها من رواية ضائعة توجد فى كل مكان !! » .

ويستطرد العقاد إلى ذكرما ينتظر الرواية من النقد والتقريظ فيقول : « التقريظات تراها رأى العين ولا تقرأها فى الرسائل ، ولا سيما تقريظات الأستاذ موفّق جلال الذى يدّخر لك تقريظةً فاخرة » ...

و« الأستاذ » موفق جلال هو ، آنذاك ، طفل لم يستكمل السنة الثانية من عمره ، وهو الذى يقول فيه العقاد :

ياصاحبى ، يا أصغر الـ أصحابِ فى سِنٍّ وقَدٍّ
ياشاغلاً من حيّز الآ مال والأحلام عندى
ماليس يشغله كبا رُ القوم فى قربٍ وبُعد
... ...
عشْ يا موفق دائم الـ توفيق مقرونًا بِسَعْد
مُستمتعاً بحنان أمٍّ برّةٍ ، وأبٍ وجدّ [٢]

والتقريظة المنتظرة فى هذه الحالة معروفة لامراء !

* * *

وفى الرسالة المؤرخة فى الحادى والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، يشير العقاد إلى قانون العفو السياسى الشامل الذى صدر فى ذلك الحين ، فيقول فيما يتعلق بشخصه : « مسألة العفو – على الرغم من تفسيراتك البارعة – لا تعنينى

---

(١) « العقاد وأنا » ، صفحة ٣٨ ، ٧٥ (بخط العقاد) .

(٢) عابر سبيل : « إلى صديقى موفق جلال فى الشهر الثامن عشر من عمره المديد » ، صفحة ١٣٨ ، والأب المشار إليه هو الأستاذ حافظ جلال من تلاميذ العقاد المقربين ، وأحد أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية . والجدّ هو إبراهيم بك جلال رجل الإدارة والكاتب المؤرخ المعروف . =

حضرة الأستاذ الجليل
خليل بك مطران
المخلص
٢٢/٤/٢٧ محمد طاهر الجبلاوي

محمد طاهر الجبلاوي

الرواية الضائعة

كوميدي أدبية في ثلاثة فصول

الثمن ٣٠ مليما

مطبعة الآداب بسوهاج

فتيلاً ولا أقلّ من « فتيلاً » ، وماكتبت فيها إلاّ لأظهر القوم لمن يجهلونهم ، إن كان في الأمة من يجهل حقيقتهم . وما أنا بحاجةٍ إلى عفوٍ يأتي على أيدى أناس يتصرفون هذا التصرف الهزيل فى تطبيق القوانين التى لا تقبل التأويل » [١] .

وكانت الوزارة القائمة فى الحكم يومذاك ؛ وهى الوزارة النحاسية الثانية والعقاد معارضٌ لها شديد المعارضة ؛ قد أرادت أن تفسرّ القانون بحيث تستثنى منه قضايا سياسية معينة كقضايا العيب فى الذات الملكية ، فلا يشمل العفو الأستاذ العقاد ، وألحت بعض الصحف إلى ذلك . فكتب العقاد بما يبين سوء النية فى هذا التفسير ، وكتب الدكتور طه حسين مؤيداً رأى العقاد ومتعاطفاً معه فى موقفه .

* * *

وفى رسالة بتاريخ الثلاثين من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، يشير العقاد ، إشارة عابرةً إلى التجوّزات اللغوية فى شعر شوقى ، فيقول ردًّا على ملاحظة الجبلاوى فى هذا الصدد : « إن صرف الممنوع ومنع المصروف من تجوّزات شوقى الشائعة ، وهى أخفّ مايلاحظ عليه » ، وهى إشارة تطّرد مع رأى العقاد فى مآخذ شعر شوقى على الإجمال .

* * *

وفى الرسالة المؤرخة فى السادس والعشرين من يناير سنة ١٩٢٥ ، يجمل العقاد رأيه فى الحياة السياسية فى مصر فى ذلك الوقت ، فيقول : « الأمر هنا فى جملته يسوء ولا يسرّ ، وعسى أن يكون المستقبل خيراً من الحاضر وأدنى منه إلى الرجاء » . ويدلنا تاريخ الرسالة على علّة هذا الرأى ، حيث يوافق تاريخها الوضع العصيب الذى آلت إليه الحالة السياسية فى البلاد بعد استقالة وزارة سعد زغلول على أثر حادث اغتيال السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى فى ذلك الوقت ، وخضوع الوزارة الزيورية لمطالب قوة الاحتلال المجحفة بحقوق مصر وبكرامتها ، وهى الوزارة التى قيل إنها جاءت « لإنقاذ مايمكن إنقاذه » .

= وبعد وفاة العقاد بأيام رأيت على سور الأزبكية نسخة من كتاب سعد زغلول للعقاد وعليها هذا الإهداء الطريف : « إلى أستاذى موفق جلال من تلميذه عباس محمود العقاد » . وقد فاتنى يومئذٍ اقتناؤها .

(١) « العقاد وأنا » ، صفحة ٧٩ (بخط العقاد) .

وفى رسالةٍ غير مؤرخة يشير العقاد مرة أخرى إلى الحياة السياسية فى مصر فيقول : « الحالة السياسية كأسوأ مايمكن أن تكون ، وشرّ العهود منذ النهضة الوطنية هذا العهد المشئوم الذى نحن فيه » . وتدلنا محتويات الرسالة على أنها كتبت فى الوقت الذى أصدر فيه العقاد صحيفة « الضياء » ، فى فبراير سنة ١٩٣٦ . وهى الفترة التى واجه فيها حرباً عنيفةً بالغة العنف من حزب الوفد بعد انفصاله عنه . وهذا هو السبب فى وصف ذلك العهد بأنه شرّ العهود . وأنه هو العهد المشئوم .

* * *

وقد كان القاسم المشترك الأعظم فى رسائل العقاد إلى صديقه الجبلاوى موضوعًا واحدًا لا يتغير ، هو بيان المحاولات المستمرة والمساعى الدائبة لتحقيق أمل الجبلاوى ، بل أقصى آماله ، فى النقل إلى القاهرة . وكأنما كان العقاد يستشعر فى نفسه مسئوليته الأدبية عن وضع صاحبه الذى كان اسمه يقيّد فى كشوف المنقولين سياسيًّا مقترناً بهذه العبارة « ينقل لصلته بالأستاذ عباس العقاد » ؛ وهذه رواية الجبلاوى ، وما نحسب أن الأمر كان كذلك على إطلاقه . على أن العقاد حمل هذه التبعة راضيًا مختارًا ، ولعله لقى فى سبيلها غير قليلٍ من الحرج ، أو من العنت ، ممّا لا وجه لتفصيله فى هذا المقام . وقد طال أمد هذه المحاولات وتتابعت عليها عهود مختلفة وظروف متباينة ، وجاءت رسائل العقاد تبعاً لذلك متأرجحة بين الأمل واليأس ، وبين الرضى والسخط ، مطمئنة واعدة حيناً يائسةً ومؤيِسَةً حينًا آخر ، معتصمةً بالكِبْر والشمم والإباء على الدوام .

وفى الفقرات التالية التى استخرجناها من الرسائل بحسب ترتيبها التاريخى على قدر الإمكان – حيث جاء بعضها غفلاً من التاريخ – تصوير دقيق وتفصيل وافٍ لما سبق أن أجملناه :

١ – من رسالة إلى الجبلاوى فى قنا – سنة ١٩٣٤ :

« لا أدرى إلى أين ينتهى جدّك السعيد ، ولكننا نوالى السعى فى أمر نقلك بما فى أيدينا من وسائل ، وآخر ما اتفق عليه الرأى أن تكتب إلى سكرتير الوزارة باسمه

تطلب النقل إلى القاهرة لعذرٍ من الأعذار الصحية أو البيتية ... » [(١)] .

٢ – من رسالةٍ إليه فى قنا – أغسطس ١٩٣٤ :

« لوحظت مسألتكم بما ينبغى ، واتّصل بى الساعةَ أنّها قد انتهت على خير ، فنهنئكم .. » [(٢)] .

٣ – إليه فى قنا – يناير ١٩٣٥ :

« كل مايمكن عمله فى مسألتك يعمل الآن . وليس فى نيّتى الظهور بسعيٍ فى هذه المسألة ، لأننى لا أضمن حسن النتيجة ، ولكن إخواننا يفكرون ويهتمون ، ولا معنى للحرج الذى « تتحذلق » بتخيّله لأن النقل لم يكن فرصة للمفاخرة وتسجيل الوطنية ، وإن كان كذلك فليست الوزارة الحاضرة أو غيرها بالحكم فى مقادير الوطنيين وغير الوطنيين » [(٣)]

٤ – إليه فى قنا – ١٢ ابريل ١٩٣٥

« حضرة القنائى أبدًا « على ما يظهر » !

أرجو أن تكون على يقين من شئ واحد على الأقل ، وهو أننى أعمل ما أستطيع فى مسألتك . وأرجو أن تعتقد أيضًا أننى إذا عرفت شيئًا يحسن إنباؤك به لم أتأخر عن الكتابة به إليك .

إنى مشغول كثيراً لأننى استأنفت الكتابة فى سيرة سعد ، ولا أعرف هل أستطيع أن أبشرك قريباً بخبرٍ عن نقلك ، أو لابدّ من الانتظار ، وعلى أية حال ليس لدينا الساعة بشارة فى هذا الموضوع ، فعسى أن تتبدل الأحوال عما قريب » [(٤)] .

٥ – إليه فى قنا – سنة ١٩٣٥

« حضرة القنائى حالاً ، القاهرى قريباً ... أبادر إلى تهنئتك بقرب عودتك إلى القاهرة وإقامتك فى « الفيلاّ » الجميلة التى لا تزال فى انتظار تشريفك السعيد .

---

(١) « العقاد وأنا » ، صفحة ٧٧ (بخط العقاد) .

(٢) « العقاد وأنا » ، صفحة ٩٢ (بخط العقاد) .

(٣) « العقاد وأنا » صفحة ٩٣ (بخط العقاد) .

(٤) « العقاد وأنا » ، صفحة ٨٧ (بخط العقاد) .

ولى رجاء إليك أن لا تفرط فى تعليق الرجاء على الوزارة الجديدة (*) فإن رجاءك فيها هو الذى أتى بنجيب بك الهلالى وزيراً للمعارف فكدنا نيأس من إنصافك وإنصاف زملائك . فالرجاء إليك - حرصاً على مصلحة الأمة والدولة ومصلحتك - أن تصطنع اليأس وتتكلف الزهد حتى تنال ماتريد .

الأستاذ غانم بك (**) على وشْك العوْد إلى مكانه فى ديوان الوزارة وأنا أكتب هذه السطور ، وأعتقد أن أوّل أعماله سيكون التفكير فى إعادتكم أجمعين » [1] .

٦ - إليه فى سوهاج - ١٤ يناير ١٩٣٦

« ... نرجو أن نقف على جلية أخبارك فى انتظار لقائك بعد نقلك من سوهاجك ! ومتى يكون هذا ؟ لقد سخفت هذه الدنيا حتى أصبح النقل من سوهاج إلى القاهرة بعد سنوات طوال أمنية من كبار الأمانى ! وفى أى وقت ؟ فى الوقت الذى تكال فيه المرتبات والدرجات والعلاوات والترقيات لمن لم يلاقوا فى حياتهم نصبًا ولا جهدًا من أجل وطن ولا حزب ولا رأى ، إلاّ النصب الذى يحتمله أمثالهم وهو عليهم هيّن .. وأرجو أن تتحقق الأمانى فى وقت قريب » [2] .

٧ - إليه فى سوهاج ١٩٣٦/٦/٥

« إن مسألتك تتحرك وتبشر بالخير ولعلك تنقل بأسرع مما تقدّر . وقد كانت هناك معاكسات فى عهد علوبة باشا (*) معظمها من أثر الصغار

(*) المقصود وزارة محمد توفيق نسيم باشا الثالثة (نوفمبر ١٩٣٤ - يناير ١٩٣٦) وكان أحمد نجيب الهلالى (بك) وزير المعارف بها .

(**) الأستاذ غانم محمد من كبار رجال وزارة المعارف العمومية ، وكان قد نقل من مكانه فى الوزاة ثم أعيد إليه بعد حين . وهو من أصدقاء العقاد المقربين ، وتوفى فجأة فى صبيحة يوم عيد ورثاه العقاد بأبيات يقول فى مطلعها :

أكان وداعاً يوم صافحت «غانماً» وهنأته بالعيد ، والعيد يسخر

(ديوان عابر سبيل ، صفحة ١٤٧) .

ومن آثار الأستاذ غانم الأدبية كتابه القيّم عن جان دارك ، وهو والد الأستاذ فتحى غانم الروائى المعروف اليوم .

(١) « العقاد وأنا » صفحة ٨٢ (بخط العقاد) . (٢) من ذكرياتى .. صفحة ١٠٧

(*) محمد على علوبة « باشا » (١٨٧٥ - ١٩٥٦) كان عضواً بالحزب الوطنى بزعامة =

والرقعاء ! فقد كلمت الوزير ولا أذكر أننى رجوت فى مسألة كما رجوت فى هذه المسألة ، فحالت الظروف والمعاكسات ونحسك الأغرّ قبل كل شئ دون النجاح . فعسى أن يكون ما سمعت صدقًا ونراك فى هذه الأيام » [(١)]

٨ – إليه فى سوهاج – ١٤ يناير ١٩٣٦

« .. خاطبت فى مسألتكم كل من تلزم مخاطبته ولى أمل فى النجاح ، ولولا أن مسألتكم معلقة بنظام التنقلات كما قيل لى لنقلتم الآن كما نقل السيد صدقى . فلا تتعجلوا ولا تخاطبوا أحداً فى هذا الموضوع لأن الكلام فيه عندكم قد يفسده عليكم ... » [(٢)] .

٩ – إليه فى سوهاج – ١٤ أكتوبر ١٩٣٦

« سوهاجى أفندى

احتجاجًا على بقائك فى سوهاج قررنا أن نضرب عن الكتابة إليك فيها ، وأن نعتبرك منقولاً إلى القاهرة مقيماً بين ربوعها ، فلا حاجة إلى الكتابة إليك لأننا نراك ونتملى بنور محيّاك !

مارأيك فى هذا الحل الموفق السعيد ؟

أليس هو خيراً من جميع الحلول الموفقة السعيدة ؟

ألا يحقق لك النقل كما تحقق المعاهدة لمصر استقلالها من منابع النيل إلى مَصَابِّه ، أو مُصابِه ؟

بلى : فمبروك . مبروك عليك وعلى البلاد ! » [(٣)] .

= محمد فريد ، ثم عضو حزب الوفد بزعامة سعد زغلول ، وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين عند تكوينه . تولى منصب الوزارة عدة مرات ، وعرف بمشاركاته فى الدفاع عن قضايا العروبة وفى مجالات الإصلاح الاجتماعى المختلفة .

ترجمته فى الأعلام للزركلى (٣٠٧/٦) ، وأعلام مصر فى القرن العشرين (صفحة ٤٣١) وفيه أنه ولد سنة ١٨٩٢ ، وهو خطأ بيّن .

(١) « العقاد وأنا » صفحة ٨٠ (بخط العقاد) .

(٢) « العقاد وأنا » ، صفحة ٥١ وصدقى هو الأستاذ عبد الرحمن صدقى .

(٣) « العقاد وأنا » صفحة ٩١ (بخط العقاد) .

١٠ - إليه فى سوهاج - ٢٧ يناير ١٩٣٧

« حضرة الصعيد الأوسط

وصلت إلى أسوان ومكثت بها أيامًا ، وعوّلت على العودة إلى القاهرة يوم الجمعة المقبل ، فأرجو أن أراك على المحطة عند مرور القطار بسوهاج ، وأظنه يمر فى نحو الساعة الحادية عشرة (*) . وسلامى إلى اللقاء

الصعيد الأقصى

وبلغةٍ : « شئ من الذكاء »

عباس محمود العقاد (**) (١) .

* * *

تلك خلاصة مجملة لما كانت تدور عليه رسائل العقاد إلى واحدٍ من أقرب أصدقائه المقربين ، والتى كان ينطلق فيها على سجيته غير متحرز ولا متحفظ . وقد عمد فى بعضها إلى استعمال اللغة العامية ولا سيما فى الأزجال وبعض الأشعار التى قصد بها إلى الدعابة والترويح عن النفس .

ولعلنا نرى منها كيف شغل العقاد نفسه بأمر صديقه فوق مشغولياته الجسام فى الكتابة الصحفية وفى التأليف وفى شتى مطالب النفس ومنادح الحياة ؛ وتلك ضريبة الصداقة على كل حال : وكأنما كانت تطوف برأسه هذه الخواطر حين كتب إلى صاحبه يجيبه فيما يبدو على سؤاله عما يشغله فقال : « مشغولون ياطيطهور بمراجعة الديوان ونسخه وطبعه وتصحيحه وقد يظهر فى العاشر من الشهر القادم ، فهل أنت على استعداد للقراءة !! ومشغولون ياشينقور بالتحقيق

(*) فى الأصل بخط العقاد : الساعة الحادية العاشرة ، وهو سهو ظاهر .

(**) كان العقاد يدعو الجبلاوى بالصعيد الأوسط حين يكون فى إحدى مدن وسط الصعيد كسوهاج وأسيوط . والصعيد الأقصى هو الاسم الذى يوقع به العقاد رسائله إلى الجبلاوى حين يكون فى أسوان . أما « شئ من الذكاء » فله قصة ، ذلك أن الجبلاوى كتب فى مفكرته ذات يوم أنه ، أى الجبلاوى ، أعظم إنسان فى العالم ، وأن العقاد على شئ من الذكاء ، فتندر بها العقاد وجعلها بديلاً من اسمه فى بعض رسائله إلى الجبلاوى وحسب .

(١) العقاد وأنا ، صفحة (٨٦)

والتدقيق . ومشغولون بكثير من الأمور التى لايفرغ منها مصرى صحفى أديب . ومشغولون بالصحة والعلاج .. » [١] ولو شاء العقاد لذكر فوق ماذكر عشرات الشواغل والمسئوليات والأعباء .

* * *

ونحسب أنه من الوهم البيّن القول بأن العقاد كان يربط بين حملاته السياسية فى بعض العهود ، ومنها حملته العنيفة على وزارة توفيق نسيم ووزير المعارف فيها الأستاذ أحمد نجيب الهلالى ، وبين اضطهاد هذا الوزير لأصدقاء العقاد فى الوزارة ونقلهم خارج القاهرة ، ومنهم الأستاذان عبد الرحمن صدقى ومحمد طاهر الجبلاوى ، فهذا غير صحيح فى جملته ولكنه سبب واحد من أسباب . ويكفى أن نعلم أن مساعى العقاد لنقل الجبلاوى سابقة على تقلّد الهلالى لوزارة المعارف بسنوات ، وشملت هذا الوزير وغيره من الوزراء ومنهم من كان موالياً للعقاد . أما صدقى فلم يكن نقله موضع شكوى قطّ ، ولم يتحدث بشأنه إلى العقاد أو غيره . وحسبنا أخيراً أن نذكر ماقاله العقاد حين كتب فى تلك الأيام يقول : « إننى لاأحجم عن رأيٍ أبديه لراحة صديق أو قريب ، وإن امرءاً يرضى لى مثل هذا الإحجام لايكون من أصدقائى ولا ممن تطول العِشرة بينهم وبينى . وإنى لراضٍ بذلك ، وإن أصدقائى به لجدّ راضين » [٢] .

* * *

(١) العقاد وأنا : صفحة (٨٤)

(٢) دكتور راسم الجمال : العقاد زعيما ، صفحة ٩٠

وانظر مقالات العقاد بعنوان « وزير المعارف يحلم » بصحيفة روزاليوسف اليومية من ٦ إلى ١٢ أغسطس ١٩٣٥

من الرسائل الرسمية

- العقاد وجوائز الدولة
- العقاد وإجراءات مصلحة الضرائب

رسالة إلى
لجنة الفحص لنيل جوائز الدولة
التقديرية
(مارس ١٩٥٩)

نشرت صحيفة صباحية بعنوان « العقاد يحتج ويطالب بجائزة الدولة » مايلي :

(أرسل عباس العقاد خطاب احتجاج إلى لجنة جوائز الدولة التقديرية بمجلس الفنون والآداب ، قال فيه إن الهيئات الأدبية والعلمية فى مصر لم ترشحه للجائزة لأنها لا تقدر العبقريات ولا الكفاءة وأن كل مايهمها هو أن يكون المرشح حائزاً على شهادة .. والمعروف أن من حق لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب أن ترشح العقاد للجائزة ولكنها لم ترشحه لها والعقاد رئيس لها) .

وظاهرٌ من كلام الصحيفة أن خبر الخطاب لم يصل إليها من جانبى ، وأصبحت فى حلٍّ من نشر خطابى على حقيقته ، بعد أن كان مقصوداً لتبليغ اللجنة اعتذارى عن حضور جلساتها .

وظاهرٌ كذلك أن الصحيفة كان فى وسعها لو شاءت أن تعلم أننى لا أسعى لترشيح نفسى كما ادّعت ، وإلاّ لما فاتنى أن أطلب ذلك بلسان أحدٍ من المختصين ، بل لما فاتنى على الأقل أن أعرض الأمر على لجنة الشعر التى أنا مقررها لكى تنظر فيه .

ولهذا أبعث إلى سيادتكم نص الخطاب الذى أشارت إليه الصحيفة ، وقوّلتنى فى كلامها مالم أقله وماليس من شأنى أن أقوله . وهذا هو نص الخطاب :

١٩٥٩/٣/١٦

حضرة السيد المحترم سكرتير لجنة الفحص لنيل جوائز الدولة التقديرية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

أرجو أن تتفضلوا بتبليغ رسالتى هذه إلى اللجنة الموقرة فى جلستها التى تنعقد اليوم (١٦ مارس سنة ١٩٥٩) :

حضرات الزملاء الأجلاء

لوحظ أن ترشيحات الهيئات التى بلغتها الدعوة لا تحسب حساباً لشئ غير التقديرات الجامعية ، وأنها جاءت جميعاً بمثابة تكرار لتلك التقديرات التى كان فيها الكفاية لأداء رسالتها المحترمة إلى الآن ، بغير حاجةٍ إلى جائزةٍ مستقلة عنها .

على حين أن الجوائز الكبرى ، عالمية وقومية ، إنما توضع لكى تستدرك النقص الضرورى فى تلك التقديرات وتحيط بالاعتبارات الواسعة التى لا تنحصر ، ولن تنحصر ، فى الأوضاع المفروغ منها . ولقد نال جوائز الأدب العالمية أناس من ذوى النبوغ المستقل كانوا – على الدوام – ممّن لا يحملون لقباً ولا تقوم مكانتهم عليه . وبذلك تحققت رسالة الجوائز الكبرى ، وهى إحياء موارد التجديد المستمر وإطلاق الفكر الإنسانى من قيود الأشكال التقليدية .

ولهذا أرى أن قاعدة الترشيحات بحاجةٍ إلى تفهيم وتوضيح ، وأنها ليست مما يمكن الاكتفاء به للوصول إلى تقدير صحيح شامل لنواحى الثقافة الأدبية . ويشقّ علىّ أن أشترك فى العمل على قاعدة لا أقرها . وأشقّ من ذلك أن أجنح إلى قاعدةٍ لا تدعنى فى مقام الحيدة الواجبة ، فأرجو المعذرة للتخلف عن جلسات اللجنة . وأسأل لكم التوفيق والفلاح .

عباس محمود العقاد

المصدر : صحيفة الأخبار ؛ مارس ١٩٥٩

العقاد وجائزة الدولة..


العقاد

نشرت صحيفة صباحية بعنوان (العقاد يحتج ويطالب بجائزة الدولة) مايلي :

(ارسل عباس العقاد خطاب احتجاج الى لجنة جوائز الدولة التقديرية بمجلس الفنون والآداب . قال فيه ان الهيئات الادبية العليا في مصر لم ترشحه للجائزة لانها لا تقدر العبقريات ولا الكفاءات وان كل مايهمها هو ان يكون المرشح حائزا على شهادة .. والمعروف ان من حق لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب ان ترشح العقاد للجائزة ولكنها لم ترشحه لها والعقاد رئيس لها)

وظاهر من كلام الصحيفة ان خبر الخطاب لم يصل اليها من جانبي واصبحت في حل من نشر خطابي على حقيقته بعد أن كان مقصودا لتبليغه اللجنة اعتذاري عن حضور جلساتها.

وظاهر لذلك ان الصحيفة كان في وسعها لو شاءت ان تعلم انني لا أسعى لترشيح نفسي كما ادعت والا لما فاتني ان اطلب ذلك بلسان احد من المختصين بل لما فاتني على الاقل ان اعرض الامر على لجنة الشعر التي انا مقررها الكي تنظر فيه .

ولهذا ابعث الى سيادتكم بنص الخطاب الذي اشارت اليه الصحيفة وقولتني في كلامها ما لم اقله وما ليس من شأني ان اقوله وهذا هو نص الخطاب

١٦ / ٣ / ١٩٥٩

حضرة السيد المحترم . سكرتير لجنة الفحص لنيل جائزة الدولة التقديرية . بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية .

ارجو ان تتفضلوا بتبليغ رسالتي هذه الى اللجنة الموقرة في جلستها التي تنعقد اليوم (١٦ مارس سنة ١٩٥٩)

حضرات الزملاء الاجلاء

نلاحظ ان ترشيحات الهيئات التي بلغتها الدعوة لا تحسب حسابا لشيء من التقديرات الجامعية وانها جاءت جميعا بمثابة تكرار لتلك التقديرات التي كان فيها الكفاية لاداء رسالتها المحترمة الى الان بغير حاجة الى جائزة مستقلة عنها على حين أن الجوائز الكبرى عالمية وقومية - انما توضع لكي تستدرك النقص الضروري في تلك التقديرات وتحيط بالاعتبارات الواسعة التي لاتنحصر - ولن تنحصر - في الاوضاع المفروغ منها .

ولقد نال جوائز الادب العالمية اناس من ذوي النبوغ المستقل كانوا - على الدوام - ممن لايحملون لقبا ولا تقوم مكانتهم عليه وبذلك تحققت رسالة الجوائز الكبرى وهي احياء موارد التجديد المستمر واطلاق الفكر الانساني من قيود الاشكال التقليدية

ولهذا ارى ان قاعدة الترشيحات بحاجة الى تفهيم وتوسيع وانها ليست مما يمكن الاكتفاء به للوصول الى تقدير صحيح شامل لنواحي الثقافة الادبية ويشق علي ان اشترك في العمل على قاعدة لا اقرها واشق من ذلك ان اجنح الى قاعدة لاتدعني في مقام الحيدة الواجبة فارجو المعذرة للتخلف عن جلسات اللجنة ، واسال لكم التوفيق والفلاح

عباس محمود العقاد

العقاد وإجراءات مصلحة الضرائب

حضرة السيد المحترم مدير مكتب السيد الوزير

وزارة التربية والتعليم المركزية

أحييكم تحية الاحترام ، وأبلغ سيادتكم أننى تسلمت اليوم خطابكم المؤرخ (١٩٦٠/١٢/١٢) عن شكواى الخاصة بإجراءات مصلحة الضرائب . وأرجو أن تتفضلوا بتبليغ السيد الوزير الأجلّ شكرى لعنايته بهذه الشكوى ، فقد أمكنت مراجعة الحساب كله بعد مقابلة حضرات الموظفين المختصين بمكتب مأمورية الضرائب (مصر الجديدة) وكان لنشاطهم فضل محمود فى إتمام المراجعة التى أعقبها على الأثر سداد المطلوب منى ، ثم تلقيت منذ أيام آخر الإشعارات بالسداد من المصلحة ، فأكرر الشكر الجزيل راجياً للسيد الوزير العامل كل توفيق فى جهده المتواصل لتحقيق الخير والإنصاف .

وأود أن تسمحوا لى بتعليق وجيز على ماجاء فى خطابكم الأخير ، فإننى لا أشكو يوماً من المطالبة أو المقاصة ، وإنما شكواى أن تظل الطلبات معلقة من سنة ١٩٥١ إلى هذه السنة وأننى مع إقامتى بمصر الجديدة معظم العام واستعدادى الدائم للوفاء بالمطلوب أتلقى الطلب تارة حيث أقيم بأسوان أو بالإسكندرية نشداناً للراحة التى أحتاج إليها بعد العمل المرهق ، وفى هذه الحالة يكون الطلب موقوتاً بأيام محدودة لاستيفاء بيانات معينة ، وربما انتهى أكثر الموعد يوم وصول الخطاب إلىّ ، والمفروض إذن أننى أحمل معى مستندات تسع سنين حيثما ذهبت أو أبادر بالعودة إلى القاهرة على الأثر ، وهذا كله إجراء لا حاجة إليه مع استعداد الممول للسداد ، بل لسداد فوق المطلوب أكثر الأحيان ، ومن عجائب الطلب أن المصلحة تحمّل الممول فوائد على التأخير الذى لا لوم فيه على الممول ، وتتخذ اعتذارها بازدحام العمل واضطرارها إلى الإرجاء حجة لإدانة الممول فلا يقبل منه فى هذه الحالة اعتذار .

حضرة السيد المحترم مدير مكتب السيد الوزير

وزارة التربية والتعليم المركزية

اهديكم تحية الاحترام، وابلغكم انني تسلمت [illegible] خطابكم المؤرخ (١٢/١٢/١٩٦٠) عن شكواي الخاصة باجراءات مصلحة الضرائب، وارجو ان تتفضلوا بتبليغ السيد الوزير الفاضل شكري لعنايته بهذه الشكوى، فقد امكنني مراجعة الحساب كله بعد مقابلة حضرات الموظفين المختصين بمكتب مأمورية الضرائب (مصر الجديدة)، وكان لنشاطهم فضل محمود في اتمام المراجعة التي اجريتها على الاثر وسداد المطلوب مني، ثم تلقيت اخطار [illegible] بالسداد من المصلحة، فاكرر الشكر الجزيل راجيا للسيد الوزير كل التوفيق في جهده المتواصل لتحقيق الخير والانصاف واستعدادي الدائم للوفاء بالمطلوب.

واود ان تسمحوا لي بتعليق وجيز على ما جاء في خطابكم الاخير، فانني لا اشكو يوما من المطالبة او المناقشة، وانما شكواي ان تظل الطلبات معلقة من سنة ١٩٥١ الى هذه السنة، وانني مع اقامتي بمصر الجديدة [illegible] اتلقى الطلب تارة حيث اقيم باسوان او بالاسكندرية [illegible] تارة اخرى اعلان اليها بعد [illegible]، وفي هذه الحالة يكون الطلب مؤشرا بايام

ولولا غرابة هذا الإجراء لما أبحت لنفسى أن أبلغ السيد الوزير أية شكوى من تصرف يوجبه القانون .

وأختم هذا البيان اللازم بتكرار الشكر وإبداء التحية والاحترام .

١٩٦٠/١٢/٢١

المصدر :

من أوراق صديقنا الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف الخاصة ، وهى مسودة الأصل بخط العقاد .

محدودة لا ستيفاء بيانات معينة، وربما استبقى الكم الموعد بضعة أيام وصول الخطاب اليه، والمفروض انني ارسل معي مستندات تسع شيئاً صحيحاً ذهبت او اباد بالعوارق الى القاهرة على الاثر، وهذا كله اجراء لا حاجة اليه مع استعداد المحول للسداد، بل لسداد فوق المطلوب أثر الاعلان، ومن جانب الطلب ان المصلحة تحمل المحول فوق على القانون الذي لا لوم فيه على المحول، وتتخذ اعتذارها بازدحام العمل واضطرارها الى الارجاء حجة لادانة المحول فلا يقبل منه في هذه الحال اعتذار

ولولا غرابة هذا الاجراء لما أبحت لنفسي ان ابلغ السيد الوزير اية شكوى من تصرف يوجبه القانون،

واختتم هذا البيان اللازم بتكرار الشكر وابداء الاحترام

٢١/١٢/١٩٦٠

رسالتان إلى المؤلف

الرسالة الأولى

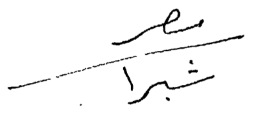
حضرة الأديب محمد محمود أفندى حمدان

قرأت قصيدتيك وما وصل إلىّ من مقالاتك . وإنى لشاكرٌ لك صدق ودّك وحسن قصدك وراجٍ لك مستقبلاً محمودًا فى خدمة الأدب والثقافة حقّقه الله وهيّأ لك من أسبابِ التقدم والنبوغ كل ما تصبو إليه . وسلامى إليك وشكرى وتحيتى .

١٩٤٢/٥/١٠

المخلص
عباس محمود العقاد







حضرة الاديب الفاضل محمد محمود افندي حمدان

١٥ شارع البراد خلف التوفيقية

شبرا

حضرة الأديب محمد محمود أفندي حمدان

قرأت قصيدتيك وما وصل إليّ من مقالاتك . وإني شاكر
لك صدق ودك وحسن تقديرك وأرجو لك مستقبلا محمودا
في خدمة الأدب والثقافة حققه الله وهيأ لك من
أسباب التقدم والنبوغ كل ما تصبو إليه . وسلام إليك
وشكري وتحيتي ؟

المخلص

عباس محمود العقاد

١٠/٥/١٩٤٤

التعليق على الرسالة

القصيدتان المشار إليهما فى الرسالة نظمتُ أولاهما تحيةً للأستاذ العقاد بعقب صدور كتابه الفذ « عبقرية محمد » فى أوائل سنة ١٩٤٢ ، وقد كان صدوره فى حينه حدثاً أدبيًا بالغ الوقع وكأنّه شئ غير منتظر . ونشرتُ القصيدة فى صحيفة « الأفكار » التى كنت أكتب فيها وأوافى الأستاذ الكبير بأعدادها الأسبوعية . وأذكر أننى قلت فى مطلعها :

أطلع الوحْىُ عبقرية أحمد   صدق الوعد إنه الأمس أَوْعدْ

وحرصت فى النسخة المرسلة إلى الأستاذ على وضع خط تحت كلمة (أوعد) تنبيهاً إلى أنها خطأ لغوى لم يسعف الوزن الشعرى باجتنابه ! ولست أذكر منها غير هذا البيت .

أما القصيدة الثانية فكانت تهنئة للأستاذ الكبير بعيدٍ من الأعياد ، بعثت بها طىّ رسالة خاصة ، قلت منها :

مولاى دامت لك الأيّامُ
رضيّةً يحفّها السلام
والوحْىُ ، وحْىُ الشعر ، والإلهام
والخيرُ ، كل الخير ، والإنعام
والسَّعْد ، والنعمة ، والإكرام
وكلّ مايُرْجى وما يُرام
والدَّهرُ للعبّاس بَسَّام

وقد تلقيت على أثرهما الرسالة المتقدمة ، وهى آية من آيات العطف والتشجيع من الأستاذ الكبير لمريده الناشئ الصغير .

الرسالة الأخيرة

(برقية فى ٣٠ يونية ١٩٥٩)

٢ ٤ مصر الجديدة ٢٠ ٣٠ ٨١٨

الأستاذ محمد محمود حمدان بوزارة الشئون الاجتماعية المركزية مصر

تقبّلوا الشكر لجميل الثناء وصادق الدعاء ودوموا للأدب والوفاء

عباس العقاد

ب س

٢ ٤ مصر الجديده ٢٠ ٣٠ ٨١٨
الاستاذ محمد محمود حمدان بوزاره الشئون الاجتماعية المركزية مصر

تقبلوا الشكر لجميل الثناء وصادق الدعاء ودوموا
للادب والوفاء . عباس العقاد

التعليق على الرسالة البرقية

فى عيد الميلاد السبعين للأستاذ العقاد بعثت إليه بالرسالة البرقية التالية :

الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد
١٣ شارع السلطان سليم مصر الجديدة

أستاذى ومولاى

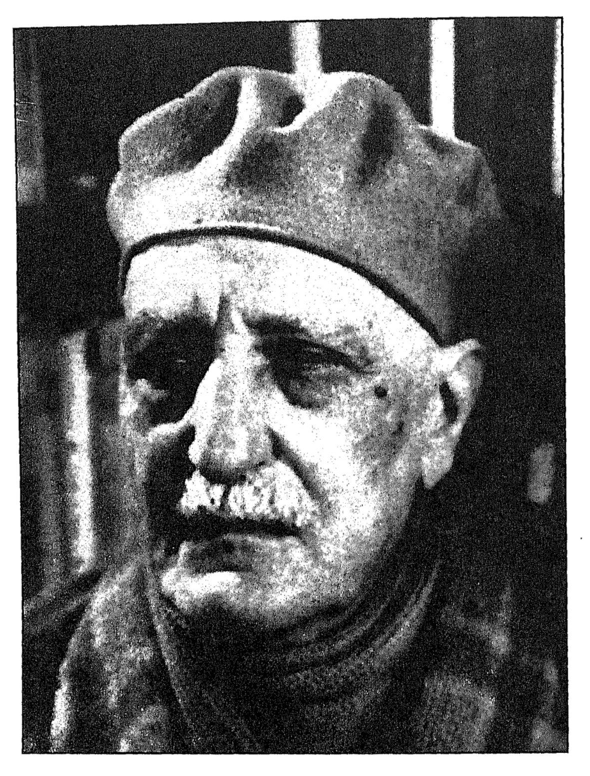
لقد ظل اسم « العقاد » الرائد العملاق فى عالم الأدب والفكر والثقافة ، لنصف قرنٍ أو يزيد ، عَلَماً على العبقرية والسَّبْق والصدق والطبع الأصيل ، وكان ولا يزال لأكثر من جيل بمثابة الرائد والأستاذ والقدوة والإمام ، وإنّ من أسباب العظمة فى عليا مراتبها أن يستوى فى تقديره والإعجاب به ميزان العقل والتفكير وميزان العاطفة والشعور . فإلى مولاى وأستاذى الجليل فى عيد ميلاده السبعين أصدق التهنئة وأجلّ التحية من مريدٍ يدين لأستاذيته الموحية وأبوّته الروحية بفضل تسديد النظرة وتقويم الفكرة وتجديد الحياة ، مع تحيات الإجلال والتقدير عامًا بعد عام على امتداد الأيام والأعوام .

٢٨ يونية ١٩٥٩

الوفى المخلص

محمد محمود حمدان

فجاءتنى من الأستاذ الرسالة البرقية المتقدمة .



أَغْنى البريّة عن حلى لقبٍ   من كان يشرف باسمه فَرْدا

العقاد

تنويه

روعى فى ترتيب الرسائل التسلسل التاريخى بالنسبة للرسالة الأولى من كل مجموعة ، وكذلك لبقية الرسائل فى كل مجموعة على حدةٍ

والشروح التى وردت فى حواشى الكتاب لبعض ماجاء فى نصوص الرسائل مميّزة بالنجوم دون الأرقام ، هى من عملى وليست فى الأصل .

* * *

استدراك

فى الرسالة الأولى من الرسائل الثلاث إلى الأستاذ طاهر راشد ، والتى لم يسبق نشرها (صفحة ٩٠) ، سقطت فى النصّ المطبوع – دون الأصل المخطوط – عبارة « أليست كذلك الصلاة ؟؟ » ، قبل عبارة « أليس كذلك ترضى الآلهة ؟؟ » ، وكأنما أراد الله لها أن تسقط ، فهى فى الحق ، وفى موضعها من الرسالة ؛ كلمة عائرة لا تصدُر عن رأيٍ سديد ، فضلاً عن أن يكون رأى العقاد . ولعله انساق إليها عن غير قصد أو نيّة ، والأقوال ، بعدُ ، كالأعمال بالنيّات .

أما الرأى السديد ، والرشيد ، فهو ما قاله العقاد فى أحد فصول كتابه « مايقال عن الإسلام » وهو يتحدث عن الصلاة فوصفها بأنها ظاهرة كونيّة ورياضة روحية وصلة وثيقة بالله سبحانه وتعالى . وأنها فى الأديان العليا علامة من علامات التقدم الإنسانى فى فهم حقائق الكون وفهم الصفات الإلهية ، فلا قوام لدينٍ من الأديان بغير الإيمان بالصلاة على معنى الطلب والدعاء ، مع الإيمان برياضتها الروحية وصلتها الوثيقة التى تربط عالم الشهادة بعالم الغيب ، وتجعل وجود الإله حقيقة أعلى من حقيقة النواميس أو حقيقة الحوادث الكونية التى تهم الإنسان فى مطالب معيشته كما تهمه فى مطالب ضميره .

ورحم الله العقاد وغفر له .

* * *

فهرس الرسائل

* * *

تصحيح

فى صفحة ١٧ سطر ١٩ اقرأ :

(وهكذا لعل توفيق الحكيم فى قصته عصفور من الشرق)

من رسائل العقاد

إلى الأساتذة

- محمد لطفى جمعه
- محمد طاهر راشد
- محمود محمد صادق
- عبد الرحمن صدقى
- أحمد عبيد
- الآنسة مىّ
- ميخائيل نعيمه
- الدكتور طه حسين
- عزيز أباظة
- كليم أبو سيف
- الدكتور حسين همت
- محمد حسن آل ضياء الدين
- الدكتور عثمان أمين
- أحمد إبراهيم الشريف
- الدكتور عبد الفتاح الديدى
- محمد خليفة التونسى
- أحمد محمود العقاد
- الدكتور عبد الكريم جرمانوس
- توفيق الحكيم
- أحمد حافظ عوض
- محمدطاهر الجبلاوى
- المؤلف

